الفصـــل الثانى

تنظير الموروث

أولا: الخصائص العامة للفكر الشيعى.

ليس بمحض المصادفة أن يقع الفكر الفلسفى الشيعى فى "التراكم الفلسفى" فى "تنظير الموروث" وليس فى "التأليف"، " تمثل الوافد" أو "تمثل الوافد قبل تنظير الموروث" أو "تمثل الوافد مع تنظير الموروث" أو حتى فى "التراكم الفلسفى"، "تنظير الموروث قبل تمثل الوافد" أو"الإبداع الخالص". مما يجعل للفكر الشيعى خصائص معينة تجعله يقع فى نوع أدبى خاص "تنظير الموروث" دون الاعتماد على الوافد. يكفى الواقع السياسى من ناحية والموروث الأصلى، القرآن، من ناحية أخرى(١).

وهى حلقة مفقودة لم ينتبه إليها مؤرخوا الفكر الفلسفى الذين انتقلوا مباشرة من الفارابى (٣٣٩هـ) إلى ابن سينا (٤٢٨هـ) باستثناء ذكر أبى الحسن العامرى(٣٨١هـ) وكأن الفكر الفلسفى قد انتقل من الفارابى إلى ابن سينا مباشرة عبر قرن من الزمان دون تطور. فى حين أن الفارابى كان معاصرا لأبى حاتم الرازى (٣٣١هـ) وأبى يعقوب السجستانى (٣٣١هـ)، والكرمانى (٤١١هـ) كان معاصرا لابن سينا (٤٢٨هـ). وكان إخوان الصفا وهم من الإسماعيلية من قبل هم حلقة الاتصال بين الكندى (٢٥٢هـ) والفارابى. إذ تدل الشواهد على أنها ظهرت حوالى (٢٧٠هـ) أى فى النصف الثانى من القرن الثالث. وقد كان أبو سليمان السجستانى هو الشخصية الرئيسية فى "المقابسات" لأبى حيان التوحيدى (٤٠٣هـ). ومع ذلك فالتقابل ليس حادا بين الفكر الفلسفى الجامع بين تمثل الوافد وتنظير الموروث والفكر الفلسفى القائم على تنظير الموروث فحسب. كما لا يمكن أن يقال أن هذين الخطين يمثلان الفكر الفلسفى السنى والفكر الفلسفى الشيعى لأن ابن سينا هو الذى قام بالعرض النسقى المنطقى وقدم بناء الفلسفة (٢). وهو شيعى أمامى

---

(١) لعلنا بهذا الفصل استدركنا ما عيب علينا من تجاهلنا للعقائد الشيعية فى "من العقيدة إلى الثورة" وعدم تعرضنا له إلا من خلال كتب أهل السنة واعتذارنا غير المقبول عن ذلك بأن عقائد الشيعة لا تعيش فى وجداننا القومي، وهى جزء من العقائد الشعبية فى الوجدان السنى، حب آل البيت وتعظيم على والحسين وذريتهما، وفتوى الشيخ شلتوت باعتبار الفقه الجعفرى المذهب الفقهى الخامس وكل جهود التقريب.

(٢) وذلك يمكن اعتباره أشبه بهيجل فى الفلسفة الغربية المعاصرة. فبنية الفلسفة عند ابن سينا فى "الشفاء"و"النجاة" و"الإشارات والتنبيهات"، المنطق والطبيعيات والإلهيات، هى نفسها بنية الفلسفة عند=

اثنا عشرى. وإخوان الصفا من الإسماعيلية. والفكر الشيعى متأخر عن الفكر السنى بقرن من الزمان، من الكندى (٢٥٢هـ) حتى النسفى (٣٣١هـ).

وربما كان أحد أسباب مؤامرة الصمت فى تاريخ الفكر الفلسفى السنى هو أن مفكرى الشيعة كانوا من الثوار الذين استشهد معظمهم فى ثورة ٣٣١هـ. كانوا من المعارضين للسلطان، استمرارا فى ثورة الأئمة من آل البيت. كان يمثل فكر المعارضة وليس فكر السلطة، يعبر عن الواقع السياسى العريض ضد استئثار فرقة واحدة بالسلطة السياسية هى فرقة أهل السنة. كانوا يمثلون الفرق الهالكة الاثنين وسبعين ضد الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة[1]. لم يأخذوا خلعا أو صررا من السلطان. ولم يكونوا فى معيته. بل كانوا ينقدون فقهاء السلطان وفقهاء الحيض والنفاس المأجورين المستوزرين، فلاسفة البلاط ومنشدى وعازفى الآلات للأمراء وأطباء الخلفاء وزينة المجالس.

وإذا كان التراكم الفلسفى قد ظهر فى الفكر الفلسفى فى تعليقات ابن باجه على الفارابى، وشرح ابن طفيل لألفاظ الحكمة المشرقية عند ابن سينا، ونقد الغزلى للفلاسفة فى "تهافت الفلاسفة"، ونقد ابن رشد للغزالى فى تهافت التهافت فقد ظهر التراكم الفلسفى فى الفكر الشيعى منذ أن كتب النسفى "المحصول" ثم نقد بوجه خاص الرازى له فى "الإصلاح" ثم دفاع السجستانى عن "المحصول" فى "النصرة" ثم حكم الكرمانى تلميذ السجستانى بين "الإصلاح" و"النصرة" فى "الرياض" ناقدا أستاذه[2]. لذلك كثيرا ما يظهر "التناص" الفلسفى فى "الرياض". صاحب الإصلاح يقول، وصاحب النصرة يقول، وصاحب الرياض يقول.

ونظرا لكثرة المنقول وشرحه شرحا مباشرا بخطاب عادى شعبى غير إصلاحى وبحماس غالب يصبح الفكر الشيعى أقرب إلى الفكر الفقهى السنى والخطب المنبرية التى

= هيجل فى"دائرة المعارف الفلسفية" المنطق، فلسفة الطبيعة، فلسفة الروح.

(١) انظر تضعيف هذا الحديث ونقده فى "من العقيدة إلى الثورة"، المجلد الخامس، "الإيمان والعمل"، الامامة من الفرقة العقائدية إلى الوحدة الوطنية، مدبولى القاهرة ١٩٨٨ ص ٣٩٣-٦٥٤.

(٢) أبو عبد الله بن أحمد النسفى أو النخشبى البردغى تلميذ الداعى الكبير الأمير الحسين بن على المروروزى داعى فراسان والذى حول مذهب الدولة السامانية إلى الإسماعيلية. استشهد عام٣٣١هـ. كان قريبا من الأمراء والقواد على غير العادة ربما من أجل قلب السلطة كما هو الحال فى الجماعات الإسلامية المعاصرة. مؤلفاته مفقودة وفى مقدمتها "المحصول". وأبو حاتم الرازى داعى شمال غربى فارس. نقد "المحصول" فى "الإصلاح"، ودافع عن "المحصول" فى "النصرة". وحميد الدين الكرمانى حجة العراقيين رد أيضا على حسن الفرغانى الذى قال بألوهية الحاكم بأمر الله فى "الرسالة المواعظية".

تزدحم بالآيات وكما هو معروف فى المدرسة السلفية عند أحمد بين حنبل، وابن تيمية، وابن القيم، وابن الصلاح، ومحمد بن عبد الوهاب، ورشيد رضا. القرآن هو المصدر الرئيسى ثم بعد ذلك قصص الأنبياء أى القرآن متحققا فى التاريخ. الآيات القرآنية أكثر وروداً من الأحاديث النبوية، فالقرآن هو الأصل متفاعلا مع الواقع السياسى والاجتماعى وموجها نحوه. وقد يكون للشيعة قراءتهم الخاصة للقرآن والتى تختلف أحيانا مع قراءة أهل السنة فى بعض الحروف الآن. ولا يذكر اسم العلم إلا خارج الآية ومشتقاتها. فالآية هى مصدر أسماء الأعلام. هى بمفردها دليل دون عرض نظرى كاف كما هو الحال فى فكر الفقهاء. ومن هنا تبدو أهمية ابن سينا . فبالرغم من أنه من الأمامية الاثنى عشرية إلا أنه استطاع تجاوز النص الخام إلى العقل الخالص.

والفكر الشيعى مثل الفكر الفقهى إجابات على أسئلة يطرحها السائل. فهو إجابة عن أسئلة يطرحها الواقع وليس تنظيرا مجردا. لذلك تبدو فيه روح" المشيخة" وطابع المؤسسة الدينية. واتهامه بالانحراف والخروج والمروق هى من فعل الخصوم. والإجابة قدر الإمكان دون قطع أو جزم أو غلق لباب الاجتهاد. وإذا كان السؤال عن آية فان الإجابة تحولها إلى نظر عقلى كما هو الحال فى نشأة علم الكلام. وأحيانا تتحول الآية إلى عبارة شارحة، لافرق بينها وبين أسلوب عرضها مع تغيير الضمير. ويتداخل القرآن الحر مع الآيات حتى أنه يصعب التفرقة بينهما. بل وهناك عدم دقة فى القرآن الحرفى والقرآن الحر حتى يسهل عدم الفصل بينهما. ولا توجد مسافة بين الوحى نقلا والوحى إبداعا. وقد يكون السؤال عن آية أو عن معنى آية أو عن فكرة أو موضوع مثل منزلة سائر النطقاء وحدودهم وأهل الظاهر. وتكون الإجابة مثل السؤال بآية أومعنى آية أو فكرة أو موضوع. وقد تذكر الآية أكثر من مرة وبنفس المعنى مما يدل على أن القضية أزمة نفسية، تذهب وتعود. ويكون السؤال أيضا عن معنى الحديث ولكن بصورة أقل[1]. وبالرغم من اعتماد الفكر الشيعى على الموروث الأصلى، الآيات القرآنية أكثر من الحديث بل والإكثار منها كحجة سلطة فى مواجهة سوء استعماله عند أهل السنة والسلطة القائمة يأتى دور العقل مكملا للنقل فى مواجهة احتكار أهل السنة لتفسير النقل بحجة ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾. بل يظهر العقل النقدى بما له من قدرة على الاعتراض. وتدل كثرة النقل على وقوف سلطة أمام سلطة، سلطة المعارضة ضد سلطة الدولة. وكل فريق يزايد على الآخر بكثرة النصوص كما هو الحال عند

---

(١) القاضى النعمانى: المذهبة ص ٤٠/ ٥٨-٥٩/٦٦-٦٩/٧٣-٧٧/٨١/٩١.

إخوان الصفا. وكلهم إلى رسول الله منتسب.

ويقل المنقول كلما تطور الفكر الشيعى من القرن الثالث إلى الرابع، ومن السجستانى إلى الكرمانى. تكثر الآيات فى بداية الفكر الشيعى مما يجعل "راحة العقل" للكرمانى أكثر المؤلفات إحكاما من ناحية النظر والبنية الداخلية ومنطق الاستدلال. لذلك نجح ابن سينا فيما لم ينجح فيه الفكر الشيعى بما فى ذلك إخوان الصفا فى تقديم الفكر الشيعى إلى أهل السنة اعتمادا على العقل وحده.

ليست الفلسفة حكمة متعالية أو فلسفة تأملية نظرية بل هى طريق الخلاص من استئثار السلطة القائمة بالدين والسياسة واحتكار السلطتين، الدينية والسياسية. الفلسفة تحرر، والدين قيد. الفلسفة تمرد على السلطة ومقاومة للطغيان. ليست الغاية التوفيق بين الفلسفة والدين. فذلك ما يقوم به حكماء السلطان بل التمسك بالفلسفة وحدها لتأويل الدين ونزعه كسلاح من أيدى الخصوم على عكس حكماء السلطان الذين كانوا يدينون لتفاق الفلسفة والدين لصالح الدين مثل الكندى والفارابى وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن رشد. كان حكماء الشيعة من قادة ثورات العامة فى حين كان حكماء البلاط من خاصة السلطان. لذلك ظهرت الفلسفة السياسية بوضوح وكأن السياسة هى أساس الدين والحكمة فى مقابل تسييس عقائد السنة باسم الدين وعلى حساب الحكمة كما بدا ذلك فى عقائد الاشاعرة وفى فلسفة الفارابى والتصور الهرمى للعالم. ثم تحولت الفلسفة السياسية إلى فلسفة تاريخ لمعرفة دورات الأمم ومصائر الشعوب وتداول الأيام بين الناس. وهى فلسفة تقوم على التقدم والنهوض والخلاص باسم المهدى بعد أن جعل أهل السنة التاريخ منهارا "خير القرون قرنى" إلى غير رجعة. الفكر الشيعى فكر ملتزم، صاحب قضية، الالتزام بالشرعية الدينية ونقد التسلط والطغيان، الدفاع عن الحق ضد الباطل، والعدل ضد الظلم، والشرعية ضد اللاشرعية، والأئمة ضد الملوك[1].

وكما كان معظم أهل السنة من العرب كان معظم الشيعة من العجم. فقد دخلت شعوب كثيرة الإسلام لا فرق بين عرب وعجم حتى بدأ التشيع فى الظهور. فانضم العجم إلى المعارضة بعد أن استولى العرب على السلطة باسم قريش وبحجة "الإمامة فى قريش" وكرد فعل عليها روى أيضا "العلم فى فارس" و "لو كان العلم فى الثريا لناله رجال من أهل فارس".

وللإنسانيات الأولوية على المنطق. وتشمل الإنسانيات الطبيعيات والإلهيات والأخلاقيات

---

(١) السجستانى: الينابيع ص ٧٢.

والاجتماعيات والسياسيات. المنطق تجريد لا تقوى الثورات على استعماله، وأقيسه شكلية لا تقدر على فهم حركة المجتمع وصراع القوى فيه. وعندما يكون المجتمع فى أزمة والناس فى قهر يتم التحرر عن طريق العقائد الدينية التى تتحول إلى تصورات فلسفية مثل إبداع الكون والنبوة والمعاد والإمامة وقصص الأنبياء من أجل وضع المجتمع فى حركة التاريخ وتحديد علاقة الحاكم بالمحكوم. يغيب منها النسق الثلاثى الصارم للحكمة: المنطق، والطبيعيات، والإلهيات الذى يجعل الفلسفة بناء ثابتا لا يتغير من أجل فلسفة تقوم على حركة الإنسان والمجتمع والتاريخ.

والخطاب الفلسفى الشيعى خطاب خال من المصطلحات الفلسفية الوافدة أو الموروثة ومحمل بمصطلحات إبداعية خالصة من ألقاب الأئمة مثل القائم والأساس والباب. وهو خطاب سهل الفهم بعيد عن التجريد، مباشر يدخل إلى القلب أكثر مما يخاطب العقل، ويعبر عن تجربة حية معاشة أكثر مما يعبر عن تحليل عقلى رصين. بل يكون أحيانا أقرب إلى الخطاب الشعبى لاخوان الصفا يهدف إلى تجنيد الجماهير وحشد المضطهدين. وكثيرا ما يعتمد على التراث الشعبى مثل إخوان الصفا والأساطير الشعبية والأسلوب العربى القويم بعيدا عن ركاكة الأعجام مع أنهم كانوا أيضا من العجم. ويبدو أن الاضطهاد يفرض أسلوبه المباشر ضد فيقهات الخاصة المستقرين فى البلاط. يبدو أرسطو خياليا، مثاليا حالما أقرب إلى الشعر الفلسفى، والملحمة الإنسانية مثل بطولات الأساطير وحياة الشهداء، وأساطير السقوط والخلاص فى كل الديانات مثل الديانة المسيحية. ويقدم القرآن صورا فنية بليغة للتأثير على الناس. فالبداية تخييل وتصوير دون محكم ومتشابه، حقيقة ومجاز، ظاهر ومؤول، مجمل ومبين. الكل ناطق صامت. الناطق فى حاجة إلى تأويل والصامت فى حاجة إلى تخييل. ويظهر أسلوب الرد على الاعتراضات المتخيلة من أجل الأحكام النظرى. وقد يكون الاعتراض بآية والرد عليها بآية[1].

ويتم وصف الفكر الشيعى دون حجاج معه، معه أو عليه كما فعل أهل السنة. فقد كان الفكر السنى الرسمى فكر سلطة والفكر الشيعى الشعبى فكر معارضة. فلا حجاج مع السلطة ضد المعارضة كما كان الحال قديما. بل قد يكون هناك حجاج مع المعارضة ضد السلطة كما هو الوضع حاليا. يكفى فى ذلك سلاح الألقاب. فالسنة أهل الاستقامة والحديث الذين يسيرون على الصراط المستقيم والسنة القويمة. أما الشيعة فانهم أهل الهوى والميل والتشيع والانحراف عن الطريق المستقيم. أهل السنة هم الفرقة الناجية، والشيعة هم

---

(١) السجستانى: النبوات ص ٤٢/٢٦.

الفرقة الضالة الهالكة طبقا لحديث الفرقة الناجية الذى استعمله أهل السنة منذ الغزالى فى "الاقتصاد فى الاعتقاد" ضد خصوم الدولة من الشيعة والباطنية والمعتزلة.

والنص الشيعى نص واحد بالرغم من اختلاف المؤلفين عليه. يمثل وحدة فكرية واحدة، وموقعا سياسيا واحدا. يكمل بعضه بعضا بصرف النظر عن مؤلفه، وحدة النص وتعدد مؤلفيه. وتكرار نفس النص يدل على أن هناك وحدات أولى تم التأليف منها، وهو النص الأم. وقد يعنى توارد خواطر واتفاق فى الأفكار، فالظروف الواحدة تخلق موقفا فكريا واحدا يتم تدوينه فى نص واحد. قد يزيد نص فكرة دون التكرار الأصم. وتتراكم الزيادات على النص الأم وتصبح نصا واحدا. يمكن تحليل الموروث نصا نصا وكذلك أشكال التعبير وآليات الإبداع. أما المضمون فانه يتم تحليله باعتباره نصا واحدا. فالفكر الشيعى تيار فلسفى مستقل عن الأشخاص[1]. وعلى الرغم من عدم الدقة فى النشر العلمى المحقق أحيانا للنصوص الشيعية وغياب الفهارس للمصطلحات والاعلام وتخريج الآيات والأحاديث إلا أن ذلك لا يمنع من تحليل المضمون لمعرفة مكونات النص وتوجهاته العامة.

ثانيا: حضور الموروث وغياب الوافد.

كانت الفكرة الشائعة هى أن علوم الحكمة هى اجتماع الوافد والموروث، سواء كان الوافد من اليونان والرومان غربا أو من فارس والهند شرقا. وخص اليونان بالوافد على الأصالة نظرا لكثرة الترجمة منه. والحقيقة أن الفكر الفلسفى الشيعى فى معظمه تنظير للموروث دون تمثل الوافد. نشأ من توجيه الموروث الأول، القرآن، نحو الواقع السياسى والاجتماعى. نشأ الفكر الشيعى من الداخل وليس من الخارج مثل الفكر الأصولى مع أن الترجمة كانت قد تمت فى القرن الثانى الهجرى وتمثلها الكندى والرازى والفارابى من قبل. نشأ من تفاعل الوحى والواقع[2]. ويبدو ذلك من عناوين مؤلفات حكماء الشيعة، وما تتضمنه من انفعالات وثنائيات تعبر عن المقاومة، والصراع بين الحق والباطل، والعدل والظلم وحضور الموروث وغياب الوافد[3]. مثال ذلك "الينابيع"

---

(١) حللنا نماذج من الفكر الفلسفى الشيعى فى مجموعة مختارة من النصوص وليس مجموع الفكر الفلسفى الشيعى عبر العصور. فذاك ما يحتاج إلى دراسة خاصة مع إقامة واتصال مباشر بإحدى الحوزات العلمية فى قم أو فى النجف الأشرف بالعراق.

(٢) انظر دراستنا "الوحى والواقع"، دراسة فى أسباب النزول، هموم الفكر والوطن حـ١ التراث والعصر والحداثة، دار قباء القاهرة ١٩٩٨ص١٧-٥٦.

(٣) بعض المؤلفات المفقودة للنسفى: عنوان الدين، الدعوة الناجية، أصول الشرع، كون العالم، ومن -

للسجستانى أى التأويل الداخلي، وانبثاق الحقائق من الداخل ضد الاستيلاء على السلطة فى الخارج. وقد يكون إبداعا خالصا فى حالة غياب الموروث، وبالتالى يكون قد بلغ قمة التراكم الفلسفى فى مواجهة الحكم الاستشراقى الذى جعله أيضا أفلاطونى النزعة بالرغم من عدم ذكر أفلاطون، وأن الاستشراق تجربة روحية نفسية اجتماعية فى كل حضارة [1]. فإذا حضر أفلاطون مصادفة فان السبب فى ذلك هو ارتباط الثورة بالمثال، والغضب بالانفعال والمعارضة بالعاطفة والظلم بالمدينة الفاضلة، والواقع بالخيال، واليأس بالحلم. وإذا حضر الوافد مصادفة فانه يكون موضع نقد باعتباره الدخيل الذى استعمله حكماء السلطان ضد الأصيل مثل معارضة الرازى لأرسطو.

وقد ظهر الفكر الشيعى بعد عصر الترجمة. وكان من الطبيعى أن يعتمد على المعقول والمنقول. كان فكر المعتزلة قد انتشر قبل أن ينقلب الأشعرى عليه.

ويصعب تحليل كامل لمضمون الفكر الشيعى لأنه يكاد يخلو تقريبا من تمثل الوافد وأقرب إلى تنظير الموروث. إذ أن أهمية تحليل المضمون هو قياس نسبة الوافد إلى الموروث عن طريق تردد أسماء الأعلام خاصة. وذلك يثبت مقدار الاستقلال الحضارى عن الوافد ونشأة الفكر الفلسفى من الداخل دون استعانة بالخارج، وأنه يكفى تفاعل الأصول الأولى، الكتاب والسنة، مع الواقع السياسى الاجتماعى. وهو أحد أشكال الإبداع قبل أن يتحول إلى إبداع خالص، استقلال النصّ عن الوافد والموروث معا.

١- **أبو جعفر بن منصور.** ففى **"كتاب العالم والغلام"** لأبى جعفر بن منصور اليمنى (القرن الثالث) يحضر الموروث ويغيب الوافد[2]. ليس لأن الوافد كان مجهولا فقد

- مؤلفات الرازى: الزينة، الجامع. ومن مؤلفات السجستانى: إثبات النبوات، حيلة الأحزان، مسلم النجاة. سرائر المعاد والمعاش، كشف المحجوب، الدعوة، تحفة المستجيبين، أسس البقاء، خزانة الأدلة، تآلف الأرواح، تأويل الشريعة، أساس الموازين، الينابيع، الافتخار، الوعظ، أبو يعقوب السجستانى: الينابيع، مقدمة ص ٣٦-٤٥، تحفة المستجيبين ص ٤٧. كما تظهر البيئة المحلية مثل المجالس البغدادية والبصرية. ومن مؤلفات الكرمانى: رسالة البشارات، رسالة المصابيح، تنبيه الهادى والمستهدى، كعكاب عاصم الهدى، الإصابة فى تفضيل الصحابة، الأقوال الذهبية فى الدفاع عن أبى حاتم الرازى، فصل الخطاب وإبانة الحق المتجلى عن الارتياب، راحة العقل، ومن رسائله: الرسالة الدرية، رسالة النظم، الرسالة الحاوية، الرسالة الواعظة، الرسالة الكافية، رسالة المعاد، الفهرست، المقادير والحقائق، العقول، ميدان العقل، النقد والإلزام، الكيل النفسى، المقاييس، المجالس البغدادية والبصرية، رسالة الشعرى والخواص. ويكفى تحليل عينة من النصوص للحكم على حضور الموروث وغياب الوافد.

(١) هذا هو حكم كوربان.

(٢) أربع كتب حقانية، تقديم وتحقيق د.مصطفى غالب. مجد، بيروت ١٩٨٧ ص ١٥-٧٥.

ازدهرت الترجمة فى القرن الثانى واستمرت حتى الثالث والرابع بل عرفه الشيعة وكان أقرب إلى الثقافة العالمية التى يستعملها حكماء البلاط. كان حكماء الشيعة يريدون تنظير الموروث مباشرة بالتفاعل مع الواقع المباشر والاتجاه إلى الناس مباشرة لتثويرهم ضد حكم الظلم والطغيان. بل إن العنوان الجامع لمجموعة من الرسائل "الحقانية" تدل على نسبتها إلى الحق أى إلى الواقع وليس إلى الوافد أو الموروث. والموروث هو القرآن أساسا ثم قصص الأنبياء وتاريخ الأديان من الكتب المقدسة السابقة كما يفعل إخوان الصفا. ولا يوجد حديث. يأتى القرآن أولا ثم الأنبياء، موسى ثم عيسى وابراهيم ثم داوود، والياس، ويوشع، ويونس، ويوسف، ويحيى، وزكريا، وسليمان، وإسماعيل، واسحق، ويعقوب. بل يذكر أعداء الأنبياء مثل جالوت. ويذكر التوراة والانجيل ثم الزبور ومن آل البيت يذكر على بن أبى طالب. وتذكر أسماء مستعارة للتخفى مثل أبو مالك، البخترى، عبد الجبار، كعب الأحبار، ومن الشعوب والأقوام يذكر فارس والعرب اى الشيعة والسنة [1].

والعنوان جميل يدل على علاقة الشيخ بالمريد. يدل على الإحساس بالتاريخ، وتوعية الجيل السابق للجيل اللاحق، واستمرار الرسالة عبر الأجيال. أقرب إلى الأدب الشعبى والأسلوب العربى الرصين، فقد كتبت فى عصر الجاحظ. وأحيانا يتجاوز الأسلوب إلى الرمز فى علاقة الشيخ بالمريد كما هو الحال عند الصوفية وليس فقهاء السلطان، وهو الإمام والمأموم أو الله والإنسان. يعبر عن عالم مثالى للمضطهدين، العتق والحرية، الملك والمملوك[2]. وتظهر القدرة على إبداع المصطلحات مثل "الأوان" وهى الإرادة التى بها خلق الله ما أراده وأمر بما يشاء. كما تظهر ألقاب الشيعة التى تعبر عن قيادة الأئمة ومسارهم التاريخى. حبل الله هو الإمام، والأساس على بن أبى طالب كرد فعل على إزاحته عن الحكم وتصفيته، وقد تسقط الأسماء كلية ويكتفى بالألقاب مثل: الأساس، القائم، كعب الأحبار. وأخيرا يتحول قصص الأنبياء إلا فلسفة فى التاريخ: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، والقائم. كل نبى له فترة، وله ضد، وله نائب روحى. النبى وضده، جدل التاريخ، وصراع الأضداد. والنائب الروحى تفاؤل باستمرار النضال لو أخذ فى الأساس. وقد تظهر أنبياء فى الفترات مثل إسماعيل واسحق ويعقوب

---

(١) القرآن (١٧)، موسى (٥)، عيسى ابراهيم(٣)، داوود، الياس، يوشع، يونس، يحيى، زكريا، سليمان، إسماعيل، اسحق، يعقوب (١) التوراة، الإنجيل (٣)، الزبور(١)، جالوت (١)، على بن أبى طالب (١)، أبو مالك، صالح، البخترى، عبد الجبار، كعب الأخبار(١)، فارس، العرب(١).

(٢) جعفر بن منصور: العالم والغلام ص ١٥-١٧/٤٥، أربع كتب حقانية ص ١٣-٧٥.

ويوسف ويونس وشعيب من إبراهيم إلى موسى. فلا يخلو جيل من نبى. وبعد موسى يظهر يوشع والياس وطالوت وداوود وسليمان وزكريا ويحيى حتى عيسى. ويتعاطف الشيعة مع الأنبياء المضطهدين مثل موسى وعيسى وإبراهيم. وتبدو القراءة الشيعية لتاريخ الأنبياء مثل غيبة موسى. وتبدأ الرسالة بالبسملات وتنتهى بالحمدلات[١].

٢- **السجستانى.** أ- وفى "**الينابيع**" للسجستانى (٣٣١هـ) يغيب الوافد اليونانى كلية ويحضر الوافد الشرقى باعتباره ثقافة وطنية لحكماء الشيعة. كما يحضر الشعر العربى باعتباره ثقافة وطنية للسنة. فتظهر فرق الثنوية والمجوسية والبهافريذية فى بيان أن الشر لا أصل له فى الإبداع ضد ديانات الشرق فى الينبوع الخامس والعشرين. فقد قالت الثنوية بالنور والظلمة. وقالت المجوس والبهاقريذية بالهرمذ دون الأهرمن. واستكفوا من جعل الشر مخلوقا فجعلوه أزليا مع الخير. ثم اختلفت مذاهب الشرق. فبينما جعل أحدهما أن صاحب الخير يهلك وصاحب الشر فى نهاية الزمان، مثل قتل المسيح الدجال، وقعوا فى التناقض لأنه يستحيل إهلاك الأزلى[٢]. كما يغيب الموروث الفلسفى لأن الفلسفة كانت وما تزال فى بدايتها الأولى، تعتمد على التنظير المباشر للواقع دون قراءة لتراث فلسفى سابق. ويحضر الموروث الأصلى، القرآن ثم الحديث، ولفظ قرآن، وتاريخ الأنبياء، والكتب المقدسة السابقة مثل الإنجيل[٣]. القرآن هو كلام الله بالحقيقة أى الأساس الذى اتحد بالسابق من جهة التأويل. ويظهر لفظا القرآن والإنجيل. ويقتبس من نص الإنجيل لإثبات الثواب الأبدى. فالدين واحد، والله منزه عن المنافع والمضار ضد التصور اليهودى. والترجمة العربية القديمة للإنجيل ترجمة عربية سليمة عكس الترجمات اللبنانية الحالية عن اللغات الأوروبية[٤].

ويتم تأويل القرآن مثل ﴿ يس، والقرآن لحكيم﴾، الياء والسين على الأسماء السبعة. وهم أصحاب أدوار حدود الدين المحركون للأنفس إلى العبادة والتصور. القرآن هو الأساس، والحكيم صاحب التأويل، والأئمة المنصوص عليهم من آل البيت، وكل ذلك داخل فى حساب الحروف. ويذكر حديث واحد فى معنى الشهادة" لا اله إلا الله مفتاح الجنة". والجنة كلمة الله تعالى التى بها أبدع الأشياء[٥].

---

(١) السابق ص ٧١-٧٢.

(٢) أبو يعقوب السجستانى: الينابيع، تقديم وتحقيق مصطفى غالب، بيروت ١٩٦٥.

(٣) القرآن(٢٠) الحديث(٢)، لفظ القرآن(٣)، الإنجيل(١)، تاريخ الأنبياء: عيسى(٢)، آدم، محمد(١).

(٤) الينابيع ص١٤٦/١٥٣/١٦٥/١٦٧.

(٥) السابق ص ٧٥/١٤٥.

والعقل الأول مبدع. خاطبه الله فى ﴿ كن ﴾. ولا يخاطب إلا العقلاء. فلما بلغه الأمر إلى إظهار العالم السفلى أضاف الخلق والتقطير فى ﴿ خلق السموات والأرض ﴾، وجعل الظلمات والنور، فاطر السموات والأرض ﴿ إنا خلقناكم من تراب ﴾، لا إلى أمر ﴿ كن ﴾ التى تعنى علاقة الله بالعالم، والعقل لا يفسد. إذا جاء العقل أمر كن لم يزد عليه، ولم ينقص منه، ولا أتى بخلافه. الفساد كيفية والعقل لا يفسد[1]. وتذكر آيتان قرآنيتان فى كيفية ابتداء الإنسان. فالإنسان فى جميع الأزمنة على نسق واحد كما دل القرآن على ذلك ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق﴾، وأيضا ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ﴾. والله لديه قدرة على إبداع خلق كثير على دفعة واحدة وليس بالضرورة من الإنسان الأول والتناسل كما هو الحال فى الغنم والأبقار. كما خلق السموات والأرض دفعة واحدة. وخلق العالم فى ستة أيام بنص الآية ﴿ خلق السموات والأرض فى ستة أيام ﴾ لأن الزوج المركب الذى يتلو الأربعة هو الستة. فالقرآن له تفسير عددى. والنفس لا تبلغ مبلغ المبدع بالرغم من عدم نفادها ﴿ لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ﴾[2].

والثواب هو العلم الدائم وليس اللذة الحسية المنقطعة. وكل نفس تنال ما تشتهى. وفى ذلك تتفاوت الأنفس وتتفاضل. والثواب والعقاب أساس خلق الكون وإلا كان عبثا. وتبعث النفوس إلى دار المعاد لذلك. وعلى النفس يلزم اللوم إن خالفت العقل[3].

وفى قصص الأنبياء وتاريخ الأديان يظهر عيسى ثم آدم ومحمد. ويخصص لعيسى الينبوع الحادى والثلاثين فى معنى الصليب لعيسى بن مريم. يعبر المسيح المصلوب عن الكشف وقد كان صلبه يوم الكشف ﴿ يوم يكشف عن ساق، ويدعون إلى السجود﴾. عيسى هو صاحب يوم القيامة وعلامته كشف حقيقة الشرائع. وآدم محمد دوران من الأدوار الستة، آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى محمد، وهم أولو العزم من الرسل عند المتكلمين. وهم ستة لأن الزوج المركب الذى يتلو الأربعة ستة[4]. والهدى أمر النطقاء السبعة وهو المسجد الأقصى. وقد احتوت كلمات الأنبياء جميع ما فى العالم الجسمانى والعالم الروحانى من أقسام وحدود ﴿ لو يشاء الله لهدى الناس جميعا، ولكن أكثرهم للحق كارهون ﴾.

---

(١) السابق ص ٨٠-٨١ / ٨٤-٨٥.
(٢) السابق ص ١٢٠/١٢٣/١٥٣/١٥٧.
(٣) السابق ص ١٣٥/١٤١/١٦٤-١٦٥.
(٤) السابق ص ١٤٦/١٥٣/١٥٩/١٦٨.

ب- وفى "إثبات النبوات" للسجستانى أيضا تغيب الاشارة إلى الوافد اليونانى كلية [1]. ولفظ "الحكماء" لفظ عام. ولا يعنى تعبير "أهل اليونان" أو النطوط أو الأنباط أى إحالة إلى حكماء اليونان بل مجرد أمثلة[2]. ويحضر الوافد الشرقى سواء الشعوب والأقاليم مثل العجم ثم المجوس ثم الهند ثم السند والصين، ثم الهند والسند، والترك والجزر، والصقالبة، والسريانية، والعبرية، ثم الزنج والخزر. ومن أنبياء وملوك الشرق مانى ثم مزدك، وزرادشت، وبهافريد ومروى، ثم كسرى. ومن فرق الشرق الثنوية[3].

ومن الموروث يظهر القرآن ثم الحديث ثم لفظ القرآن. ويتفوق القرآن عشرات المرات لأنه حجة سلطة فى مواجهة سلطة سياسية. ومن الأنبياء يذكر آدم ثم نوح ثم إسماعيل واسحق، ثم هارون ثم مريم. وتزداد أهميـــة الأنبياء صعودا من المسيح ومحمد إلى آدم ونوح. ومن أنبياء بنى إسرائيل شمعون ثم سام وأشعيا وشيث. ومن شخصيات التوراة ابن عمران، وزكريا، ويوشع ويحيى. ومن شخصيات تاريخ الأنبياء يأجوج ومأجوج، وهابيل. ومن شخصيات الإنجيل يهوذا. ومن الكتب المقدسة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. ومن الفرق اليهود ثم الصابئة. ومن رؤساء الفرق المسيحية ديصان ومرقون. يستمد الفكر الشيعى أصوله من مدينة السماء المنتصرة لتقويته على مدينة الأرض الطاغية. فالماضى أقوى من الحاضر، والتاريخ أقوى من الدولة[4].

---

(١) السجستانى إثبات النبوات، حققه وقدم له عارف تامر، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.

(٢) أهل يونان (٢)، النطوط، الانباط، الروم (١)، العجم (٧)، المجوس (٦)، الهند (٤)، السند، الصين (٣)، الهند والسند، الترك والجزر، الصقالبة، السريانية، العبرانية (٢)، الزنج، الجزر (١) ومن أنبياء الشرق: مانى (٥)، مزدك، زراد شتت، بهافريد، مروى،(٤) كسرى(٢). ومن فرق الشرق، الثنوية(٢).

(٣) (القرآن) ١٩٩، الحديث (٦)، لفظ القرآن (١٨)، ومن الأنبياء: آدم (١٥)، نوح (١٣)، إسماعيل، اسحق (٧)، هارون (٥)، مريم (٢). ومن أنبياء بنى إسرائيل: شمعون (٣)، سام، أشعيا، شيث (٢)، ومن شخصيات التوراة: ابن عمران، زكريا، يوشع، يحيى (١). ومن شخصيات تاريخ الأنبياء: يأجوج ومأجوج، هابيل (١). ومن شخصيات الإنجيل: يهوذا (١). ومن الكتب المقدسة: التوراة، الإنجيل، الزبور، الفرقان (١). ومن الفرق: اليهود (١٠)، الصابئة (٢). ومن الفرق المسيحية: ديصان، مرقون (٤).

(٤) الأئمة: على بن أبى طالب (٤)،الحسين بن على (٢)، على بن الحسين، محمد الباقر، الصادق، جعفر (١). ومن الفرق الإسلامية: القدرية، الرافضة، الحرورية، الجهمية (١). ومن الفرق غير الإسلامية: النصارى (١). ومن الشخصيات فى التاريخ الإسلامى: يزيد(٢)، حامد، خالد، خزيمة(١). ومن القبائل: قريش(١). ومن الأسماء العربية: أولاد يتيم، عدى، أمية، مسيلمة، طلحة، القطرى، بنومدلج، بنو أسد (٢). ومن الأماكن الشهيرة: بيت المقدس،نيسابور(٥)، جبل الطور، غدير قم، الشام، تهامة، المدينة(٢). ويذكر الإسلام والمسلمون(٣٠)، والعرب والعربية(١٤).

ومن الموروث الإسلامى، يذكر من الأئمة على بن أبى طالب، ثم الحسين بن على، ثم على بن الحسين، ومحمد الباقر، والصادق وجعفر. ومن الفرق الإسلامية القدرية، والرافضة، والحروية والجهمية. ومن الفرق غير الإسلامية النصارى. ومن الشخصيات فى التاريخ الإسلامى يزيد، ثم حامد، وخالد وخزيمة. ومن القبائل قريش. ومن الأسماء العربية أولاد يتيم، عدي، أمية، مسيلمة، طلحة، القطرى، بنو مدلج، بنو أسد. ومن الأماكن الشهيرة بيت المقدس، نيسابور، ثم جبل الطور، وغدير قم، والشام، وتهامة، والمدينة. كما يذكر الإسلام والمسلمون، ثم العرب والعربية. هذا هو الواقع الذى يتفاعل مع الموروث الأصلى ليبدع فكرا فلسفيا لا صلة له بالوافد اليونانى.

جـ- وفى "تحفة المستجيبين" للسجستانى كذلك لا يوجد ذكر للوافد اليونانى أوالشرقى[1]. ويستعمل لفظ الحكماء على العموم ليضم الوافد والموروث. ومن الموروث الأول يأتى القرآن ثم الحديث ثم لفظا القرآن ومحمد. ومن الأنبياء يذكر نوح، وإبراهيم، وإسماعيل وموسى، ويوشع، وعيسى. ومن أنبياء بنى إسرائيل سام، وشمعون. ومن الأئمة على، والحسن، والحسين، وعلى زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وإسماعيل بن جعفر، ومحمد بن إسماعيل. فالأئمة خلفاء الرسل[2].

٣ – القاضى النعمانى: وفى **"الرسالة المذهبة"** للقاضى النعمانى (٣٦٣هـ) يغيب الوافد اليونانى والشرقى كلية. ويذكر لفظ "الحكيم" على الإطلاق. ويذكر الموروث الأول، القرآن، ثم لفظ القرآن ثم الحديث. ومن الأنبياء آدم ثم محمد ثم عيسى (المسيح)، ثم إبراهيم، ثم نوح، ثم إسماعيل، ثم سليمان ثم هارون، ويوسف، وزكريا، واسحق، ثم داوود، وشعيب، والخضر. ومن أنبياء إسرائيل يوشع ومريم. ومن الشخصيات التورانية، فرعون. ومن الكتب المقدسة التوراة. ومن الأئمة على ثم جعفر بن محمد ثم عبد الله الصادق. ومن الشخصيات الإسلامية المعز لدين الله ثم سلمان الفارسى ومن الفرق،

---

(١) السجستانى: تحفة المستجيبين.

(٢) القرآن (١٦٥)، لفظ القرآن (٢)، الحديث (٢١). ومن الأنبياء: آدم (٣٣)، محمد (٢٩)، عيسى (المسيح) (٢٥)، إبراهيم (١٨)، نوح (٢١)، إسماعيل (٧)، سليمان (٤)، هارون، يوسف، زكريا، اسحق (٣)، داود، شعيب، الخضر (١). ومن أنبياء بنى إسرائيل، مريم، يوشع (١). ومن الأئمة: على (٩)، جعفر بن محمد (٣)، عبد الله بن الصادق (١). ومن الشخصيات الإسلامية: المعز لدين الله (٥)، سلمان الفارسى (١). ومن الفرق: المجوس، النصارى، الصابئة، المسلمون، العلوية، الروحانيون (٢)، اليهود، المتقلبة، المتقدمون، الشيعة (١). ومن الشخصيات العربية: مصعب بن الوليد، المهدى النعمان (١). ومن الأقوام: العرب، بنو العباس (١)، ومن الأماكن: بغداد، غديرقم (١).

المجوس والنصارى والصائبة والمسلمون والعلوية، والروحانيون ثم اليهود، والمتقلبة والمتقدمون والشيعة. ومن الشخصيات العربية مصعب بن الوليد، المهدى النعمان. ومن الأقوام العرب وبنو العباس. ومن الأماكن بغداد وغدير قم[١].

٤- **حاتم بن عمران:** وفى "**الأصول والأحكام**" لحاتم بن عمران (٤٩٧هـ) يغيب الوافد اليونانى كلية ويظهر على نحو قليل الوافد الشرقى أسفارى ثم أرمخشد ثم غابر. ويستعمل لفظا الحكماء والفلاسفة على الإطلاق دون تمييز بين وافد وموروث. ولا يوجد اسم علم يونانى واحد. فى حين يظهر الموروث وحده طاغيا. الموروث الأول القرآن ثم الحديث. ومن الأنبياء آدم ثم محمد، ثم موسى، ثم اسحق، ثم المسيح، ثم هارون، ثم إسماعيل، ثم يوسف، ثم شعيب وزكريا ثم يونس، وداوود، ولوط، وسليمان، ثم صالح، والياس، ويحيى، وذو القرنين، ومريم، وإدريس، وذو الكفل، ثم يعقوب، والمسيح، واليسع. ومن شخصيات التوراة، هامان وقارون[٢].

ويظهر أنبياء بنو إسرائيل غير المذكورين فى القرآن مع بعض الشخصيات التاريخية عند بنى إسرائيل مثل شعيث، ثم شمعون الصفا، ثم سام، وناقور، ويوشع، وهابيل، وفالغ، ثم قابيل. ولاؤى، وحواء، وشحول، ثم شامخ، وأرغو، ومرقيا، ومهائيل، ومرامش، وحزقيل، وحرقيل، وأرميا، وأشعيا، ودنيال، وقنيدار، ثم متوشالح، وتارخ، ونمرود، وبختنصر، ثم عمران، وأنوش، وميخائيل، وفالع، وقيدار بن بنيامين، ومهلائيل، وبرد، وفرعون، والفراعنة. ومن الفرق اليهود. ومن الشخصيات المسيحية جرجس، ويهوذا، ثم اصطفانوس، ثم بقيانوس وفيثان. ومن أئمة الشيعة،جعفر الصادق، ثم محمد بن إسماعيل، والحسن، ثم الحسين، ثم على زين العابدين. ومن الفرق الإسلامية الإسماعيلية. ومن الشخصيات الإسلامية والآلهة العربية فاطمة، ثم دحية الكلبى، وخزيمة، وعبد الله بن سعيد، وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن ميمون، وبنو العباس، ثم المعز لدين الله، وعمار، وحسام، وبرد، ويغوث، ونسرى. ومن الأماكن المحلية المغرب، ثم مكة، ثم اليمن، والشام، وبيت المقدس، ثم الطائف[٣].

---

(١) لفظ الحكماء (٥)، الفلاسفة (٢). القرآن (٨٧)، الحديث (٩)، تاريخ الأنبياء: آدم (٣١)، محمد (٢٤)، موسى (١٧)، اسحق (١٦)، المسيح (١٥)، هارون (١٣)، إسماعيل (١٠)، يوسف (٦)، شعيب (٥)، زكريا، يونس، داوود، لوط، سليمان (٣)، صالح، الياس، يحيى، ذو القرنين، ذو الكفل، مريم، ادريس (٢)، يعقوب، الميح، اليسع(١) ومن شخصيات التوراة: قارون، هامان(١). ومن الوافد الشرقى: أسفارى(٢)، أرمخشد، غابر(١).

(٢) حاتم بن عمران: الأصول والأحكام.

(٣) شيث (٦)، شمعون الصفا (٥)، سام، ناقور، يوشع، هابيل، فالغ (٤)، قابيل، لانوى، حواء، شعول =

٥- **قيس بن منصور:** وفى "رسالة الأسابيع" لقيس بن منصور من القرن السابع يختفى الوافد اليونانى والشرقى على الاطلاق. ويذكر الحكماء على العموم. ويضم الوافد والموروث معا. ومن المروث الأصلى يذكر القرآن، ولفظ القرآن، ثم الحديث. ومن الأنبياء آم ثم موسى، ثم عيسى ومحمد، ثم نوح، وإبراهيم، وشيث، ثم إسماعيل، ويوشع، وشمعون، وحواء. ومن شخصيات التوراة فرعون. ومن الأئمة يذكر على، ثم محمد ثم مهدى، وحسين، وجعفر، وإسماعيل[١].

٦- **محمد بن سعيد بن داود** وفى "الرسالة الكافية" لمحمد بن سعيد بن داوود من القرن التاسع يغيب الوافد اليونانى والشرقى على الإطلاق[٢]. ويحال إلى الموروث الأول، القرآن ثم إلى الأنبياء، محمد وإسماعيل، ثم يوسف، وموسى، واسحق.ومن الأئمة على ثم جعفر، وإسماعيل، ومحمد، وعبد الله الأكبر، والحسين[٣].

ويأتى القرآن استطرادا لضرب الأمثلة أو للاستشهاد به. فالقرآن يعمل فى الذهن كمثل لممثول. ويؤخذ كأداة للحوار، ويتحدث بديلا عن الحكيم فى أسلوب روائى. كما تظهر آيات النور التى يسهل تأويلها طبقا لنظرية الفيض، ومقامات الشكر والتوبة. وتكرر الآية، مرة كاملة متواصلة ومرة متقطعة لشرحها وتفسيرها وتأويلها حتى تدخل فى النسق الفكرى العام دون التمييز بين ما يأتى من الآية موضوعيا وما يأتى من النفس ذاتيا. ويظهر الجانب الإنسانى فى التأويل، تحويل النص إلى تجربة بشرية وكأنه نزل القلب وليس فى الواقع، فى الداخل وليس فى الخارج سواء فى علاقة الأبناء بالآباء أو البر

= (٣)، شامخ، أرغو، مرقيا، مهائيل، مرامش، حزقيل، حرفيل، أرميا، أشعيا، دانيال، قيدار (٢)، متوشالح، تارخ، نمرود، بختنصر (٢)، عمران، أنوش، ميخائيل، فالع، مهلائيل، برد، فرعون، الفراعنة (١). ومن الفرق: اليهود (٢). ومن الشخصيات المسيحية: جرجس، يهوذا (٣)، اصطفانوس (٢)، بفيانوس، فتيان (١). ومن أئمة الشيعة: جعفر الصادق، على، محمد بن إسماعيل، الحسن (٦)، الحسين (٥)، على زين العبدين (٤).ومن الفرق الإسلامية: الإسماعيلية (١). ومن الشخصيات والآلهة العربية والإسلامية: فاطمة (٣)، دحية الكلبي، خديجة، عبد الله عمار، حسام، برد، يفوت، نسرى (١).ومن الأماكن المحلية: المغرب (٦)، مكة (٣)، اليمن، الشام، بيت المقدس (٢)، الطائف (١).

(١) آيات القرآن (٢٣)، لفظ القرآن (١)، الحديث (٣). الأنبياء: آدم (٦)، موسى (٥)، عيسى، محمد (٣)، نوح، إبراهيم، شيث (٢)، إسماعيل: يوشع، شمعون. ومن الشخصيات: حواء، فرعون (١). ومن الأئمة: على (٦)، محمد (٢)، مهدي، حسين، جعفر، إسماعيل (١).

(٢) محمد بن سعيد بن داوود: الرسالة الكافية.

(٣) القرآن (٢٠)، الأنبياء: محمد (٣)، إسماعيل (٢)، يوسف، موسى، اسحق (١). الأئمة: على (٢)، جعفر، إسماعيل، محمد، عبد الله الأكبر، الحسين (١).

بالوالدين كرمز للعلاقة بين الإنسان والله. كما يدل الوالدان على الأصليين فى الخلق الكاف والنون(كن). ويتضح التأويل المذهبى. فالعمل الصالح هو تسليم الأمر لصاحب الرتبة القائم مقام الله، وهو ما ينفى حرية الاختيار، وما يؤكد خلافة الإمام لله على الأرض كما هو الحال فى الحكم الالهى. وهو أكبر رد فعل على الحكم الإنسانى الظالم. فلا يقوى على رد الظلم إلا الله ﴿ ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين﴾. والباطن هو الحقيقة، والظاهر هو الزيف. الباطن هو الثورة على الظلم، السلطة الروحية الحقيقية، والظاهر هو الحرف. الظلم سلطة العسكر والإرهاب واغتصاب السلطة. والعدل سلطة الشريعة والمقاومة واسترداد الشرعية. والمسلمون هم الذين يردون مقاديرهم إلى القائمين والكاتبين إلى الأئمة تأكيدا لطاعتهم لهم وانتزاعا لطاعتهم لأئمة الظلم الأمويين. والمؤمنون المسبحون هم النقباء المتصلون بالله والملائكة والأنفس. كما يتضح الوسطاء كطريق إلى الله كما هو الحال فى المسيحية بتوسط السيد المسيح والكنيسة والقس. وهى وسائط روحانية وصور حقيقية. كل ذلك فلسفة المقاومة عن طريق الخيال والتوسط والروح[1].

٧ – **مؤلف مجهول "والمقالة السابعة عن أسرار القرآن"**، بالرغم من أنها ناقصة إلا أنه يلاحظ أيضا غياب الوافد اليونانى أو الشرقى مع أنه كان بإمكان الشيعة استعمال الوافد لضرب الموروث الذى احتكره أهل السنة. ولكنهم فضلوا تأويل الموروث أى النقد الداخلى وليس النقد الخارجى[2].

ثالثا: آليات الإبداع.

١ – **أفعال القول والبيان وجدل الكاتب والقارئ.** واستعمال أفعال القول ومشتقاته عادة متبعة لدى كل المؤلفين وليست فقط قاصرة على الوافد، أرسطو أو فلاسفة اليونان بل تشمل أيضا الموروث، حكماء الشيعة والسنة. وتأتى معظمها قبل القول فى ضمير المتكلم المفرد "أقول" أو الجمع " نقول" أو الغائب "يقول". فالمؤلف هو الذى يتكلم وليس الآخر الغائب. وضمير المتكلم الجمع أكثر من ضمير المتكلم لأن المؤلف هو العقل الحضارى والوعى الجمعى وليس شخص المؤلف بمفرده. وعادة ما يكون مقرونا بالإضافة "كذلك نقول" من أجل تأكيد القول أو بالتعليل "لذلك نقول" من أجل بيان السبب. وغالبا ما يكون فى زمن المضارع تأكيدا لحقيقة وليس فى الماضى إثباتا لتاريخ فى صيغة "قلنا" إلا فى معرض التذكير بالقول السابق، وإحالة القول الحاضر إليه. كما يظهر

---

(١) السابق ص ٩٤.

(٢) ومؤلفها مجهول.

فعل القول فى توقع اعتراض المعترض وقول القائل فى صيغة "فان قال قائل" والرد عليه بصيغة "قيل له" سواء كان الاعتراض من فرد أو من جماعة "يقال لهم" فى المضارع "يقال" أو فى الماضى "قيل". وأحيانا يستعمل اسم القول مع فعل آخر مثل "أجمل" فى صيغة المتكلم الجمع "ولنجمل القول". وتحليل هذه الآليات من صيغ العبارات لا تقوم على إحصاء شامل ودقيق بل يكشف فقط عن مسار الفكر، ويكفى فى إدراك الدلالة باستقراء معنوى كما يقول الأصوليون أو باستقراء ناقص مبنى على مبدأ الاطراد كما يقول المناطقة الغربيون المحدثون.وهو ليس هدفا فى حد ذاته بل مجرد كاشف لمضمون الفكر. قد يكون ثقيلا، وقد لا يراه البعض دالا كليا أو جزئيا(١).

ويوضح المؤلف فكره، ويبين مضمون قوله، ولا يشرح فكرا خارجيا لأرسطو أو لغيره. لذلك يكثر استعمال فعل "البيان" فى الماضى والحاضر سواء بضمير المتكلم وفعل إرادى "نبين" أو بفعل لا شخصى "فقد بان أن" وكأن الموضوع يكشف عن نفسه، وهو الأكثر شيوعا. وقد يكون البيان مختصرا أو مطولا ولكنه إلى الاختصار أقرب(٢). والقرآن نفسه بيان، والله هو المبين كما تظهر أفعال الشرح والتوضيح. فالشرح فعل مستمر للعقل. وقد يذكر بالاسم مثل شرح وتوضيح. وقد يجمع بين فعلين(٣).

والفكر الشيعى ليس مجرد تعبير عن أزمة اجتماعية وسياسية بل هو فكر برهانى يقوم على إثبات الموضوع، وينتهى بالإعلان عن ذلك. وتنتهى معظم عبارات نهايات الفقرات بالأداة "إذن" كما هو الحال فى العلوم الرياضية أو بأسماء الإشارة "هذا" أو "هذه" للإعلان عن الموضوع المطلوب إثباته. كما تستعمل أفعال "ثبت"، "صح"، "ظهر"، "وجب"،"بان" لنفس الغاية. وقد تبدأ العبارة بفعلين مثل "فقد بان وصح". وأحيانا يتم الإعلان عن النتيجة بالقول "قلنا إذن". وأحيانا تكون النتيجة معروفة للقارئ، وتتم مخاطبته بفعل "فاعلم" و"فعلمت" فى الماضى أو"فتعلم" فى المضارع. فالنتيجة والاستدلال له(٤)، كما تدل بعض الأفعال مثل ذكر، قدم، أورد، أخبر، رجع، عاد، سبق،على إحالة

---

(١) فى الينابيع والنبوات: نقول (١٧)، أقول (٤)، قلنا (١)، فان قال قائل (١٥)، ولنجعل القول (٢) .

(٢) النبوات ص١٠٢/١١٠-١١/١٢٣/٢٦/٨٢/١٥/٣٤/٥٥/١٣٠/٣٦. الينابيع ص١٧٣ المذهبة ص٤٣/٥٤/١٣٢/٦٤.

(٣) شرح(١٤)، بين(٧)، وضح(٢)، النبوات ص٢٢/٢٧-٢٨/٥٣/١١/١٥٥/٦٠/٣٨ المذهبة ص٦٣/٣١/٤٢/٤٩/٥٧/٦٤/١٣٠/١٤٣/٥٧/٦٤/١٣٧.

(٤) إذن (٢٢)، هذا، هذه (١١)، ثبت (٧)، صح (٦)، ظهر، وجب، بان (٢)، النبوات، إذن، ص١٠١/١٠٣/١٠٩/١٢٩/١٣٢-١٣٣/١٣٦-١٣٩/١٦٢-١٦٨/١٤٦-١٤٧/١٤٠/١٤٢-١٤٤/١٥٨-١٥٩/-

الفكر إلى نفسه. يضع الفكر نفسه ثم يعود إلى ما وضع. يضع المقدمات ثم يرجع النتائج إليها. ويظهر الاستدلال فى صيغ العبارات الشرطية، فعل الشرط وجوابه مما يشير إلى مسار الفكر من المقدمات إلى النتائج، وأحيانا فى عبارات التعليل لبيان الأوسط الذى يربط بين النتائج والمقدمات(١).

ويحيل المؤلف الشيعى إلى عدة مؤلفات ليست له. فيذكر كتاب الحيوان بطريقة لا شخصية دون ذكر أرسطو. فقد أصبح الكتاب ملكا للجميع، عنوانا لعلم بصرف النظر عن صاحبه الذى مات. تحول الواقد إلى موضوع مستقل. ويشار إلى كتب مفكرى الشيعة الآخرين مثل عبدان. وقد يشار إلى مؤلفه ويتحدث عنه مبينا غرضه وتكامل مشروعه الفكرى. وقد يحال إلى باقى مؤلفاته الأخرى التى تعرض لنفس الموضوع. ولا تخلو العناوين من جمل تدل على الموقف الفكرى والنفسى والحضارى مثل "تحفة المستجيبين"، "الينابيع"، "الأصول والأحكام"، "الابتداء"، "العالم"، "المعاد"، "الكامل"، "النبوات"، "راحة العقل"... الخ(٢).

ويخاطب المؤلف القارئ بفعل "اعلم". فهو صاحب رسالة يريد إيصالها إلى الناس. والعلم رسالة متبادلة بين المؤلف والقارئ، ذو طابع شخصى بين المتكلم والمخاطب دون الغائب، أرسطو أو غيره. وقد يشفع بالعلم "يا أخى" تأكيدا لرابطة الأخوة بين الاثنين(٣). وقد يشفع بفعل الأمر "اعلم" بدعوة قصيرة مثل "أيدك الله" أو بدعوة أطول لإعداد القارئ نفسيا وتأهيله لقبول الرسالة، دعوة له بالخير كما هو الحال فى رسائل

- ١٧٤-١٧٥، هذا، هذه ٧٨/١٨/٢٠/١٥٢-١٥٣/١٩٠/١٧٧، ثبت ص١٢٧/١٢٨/١٢٢/١١٦/١٢٧ صح ص٩٨/٤١/١١٣/١٦٧/١٨٥/١١٤، ظهر ص٦٩، وجب ص٧٢/١٦٢، بان وصح ص٧٤/٨٢، قلنا ص ٧٩، تعلمت ص١٠٧/١٢٨، وافق ص ١٣٦.

(١) النبوات، ذكرنا ص ١٢٨/١٨٢، المذهبة ص ٤٧، الأصول والأحكام ص ١٠٨/١٧٤. قدمنا، النبوات ص ٥٠/١٢٢، المذهبة ص ٥٨/٦٠/٦٥-٦٦/٧٥/٨٢. الكاذبة ص٩٢-٩٣ الينابيع ص ٩٨. ثم تعود إلى ما ذكرناه، المذهبة ص٣١/٣٥/٦١، الأصول والأحكام ص١٠٨-١٠٩/١٢١/١٢٣/١٣٠. وقد سبق أن بينا، المذهبة ص٦٤، الأصول والأحكام ص١١٦/١٣٠، الأسابيع ص١٧٦، الكافية ص ٩٤. الصيغ الشرطية، النبوات ص٢٢/٢٤، الينابيع ص١٧٧.

(٢) النبوات ص ٢٨/٩٠، تحفة المستجيبين ص ١٤٦، المذهبة ص٤١/٤٣/٥٧.

(٣) اعلم أن، المذهبة ص٣٢/٤٣/٥٤/٦٦-٦٩/٨١، النبوات ص١٩٢/١٩٣، الكافية ص٩٤، الأصول والأحكام ص١٠٤/١١٠-١١١/١١٦-١١٧/١٢٤/١١٨،الأسابيع ص١٦٥/١٧١-١٧٣/١٧٨، اعلم يا أخي، المذهبة ص٣٨/٤٧،اعلم أيها الأخ البار الرحيم أن، الأصول والأحكام ص١٠١/١٠٣/١٠٧، الكافية ص٩٧، اعلم أيها الأخ، الكافية ص ٩٥.

إخوان الصفا. وقد يستبدل بفعل "اعلم" فعل "اعرف" أو "تفهم"[1]. وقد يكون النص إجابة على سؤال في عدة صيغ مثل "لقد سألت عن"، "وأما سؤالك عن"، "وأما ما سألت عنه" كما هو الحال في الفتاوى الفقهية بل وفي القرآن في الآيات التي تجيب على أسئلة في صيغة "ويسألونك عن"[2]. وقد يكون الدعاء للمتكلم والمخاطب، للمؤلف والقارئ دون فعل "اعلم" مع مخاطبة القارئ في صيغة الجمع تأكيدا للتقدير والاحترام. ويتحول الدعاء إلى رجاء من المؤلف إلى القارئ بالمبادرة إلى رحمة الله خشية ضياع الوقت وفوات الأوان والاعتبار، والنظر في حال الدول، نهضتها وسقوطها[3].

وكما تتم مخاطبة القارئ في البداية إشراكا له في الموضوع تتم أيضا مخاطبته في النهاية لتوصيته وتحذيره. وهو خطاب فلسفي خالص، مغرق في الفكر الشيعي مثل تحذير القارئ من عدم طلب هوية وراء السابق بعد ظهوره لأن الكلمة علته. كما يلجأ الخطاب إلى كشف مأساة الإنسان في الحياة، وانغماسه في الحياة المادية، وإشراق جوهره من الحياة الروحية. ويطالب القارئ كما يفعل الصوفية بالتجرد عن أثقال البدن حتى تخف الروح وتشاهد بواطن القلوب، والسبع الطباق مشاهدة الذات للذات. هذا الإغراق في التصوف تعويض عن مآسي الحاضر. وهو ما يتسم به فكر المضطهدين من أجل الخلاص في المستقبل. والغاية سلب القارئ من إرادته وتخليصه من عالمه، وإدخاله في عالم الخلاص الوهمي لطاعة قيادة جديدة يكون لها النصر فيا لمستقبل. ويتم الاعتماد على الأسلوب، السجع والبيان من أجل التأثير في النفس. فالحقائق صور وليست وقائع في الخارج. تهبط من العالم العلوي ولا توجد في العالم السفلي كما هو الحال في نظرية الفيض، من الأول، الفرد العلوي المبدع إلى الثاني الزوج المنصت..الخ. وتظهر لغة النور والظلمة، النور صعودا والظلمة هبوطا، النفس والبدن. والطريق إلى ذلك البحث عن إمام الزمان، والسلوك في دعوته، وطاعة أوامره . فهو فكر يهدف إلى إقامة تنظيم

---

(١) اعلم أيدك الله، المذهبة ص٥٨/٦٦/٨٠/٨٣، اعلم علمك الخير، المذهبة ص ٣٨،فاعلم علمك الله الخير وجعلك من أهله، المذهبة ص ٣٥. فاعرفه، الينابيع ص٧٥/٧٨/٨٠/٨٣/٩٢/٩٩-١٠٠/١٠٣-١٠٤/ ١٠٨-١٠٩/١١١/ ١١٤/١٢١/١٣٢/١٣٩/١٥٧/١٦٦، النبوات ص٦٣/٩٦/١٢٤/١٣٢/١٣٤-١٣٥/١٤٥/١٥٨/١٦٢/ ١٦٤-١٦٦/١٧٦/١٨٢/١٨٨-١٨٩/١٩١، فاعرف رحمك الله، المذهبة ص ٤١، فتفهم ذلك، النبوات ص ٢٨، فافهم ذلك وترشد، المذهبة ص ٨٣.

(٢) سألت عن، المذهبة ص٦٨/٧٢/٧١/٤٩/٥٨/٦٥-٧٣/٧٩-٨٣/٨٥/٦٠/٦٣/٧٤-٧٧، وأما سؤالك، المذهبة ص ٥٥-٧٥، ما سألت عنه، المذهبة ص٤٩/٦٠،وسألت أن، المذهبة ص٦٤/٦٧-٦٨/٧٠.

(٣) المذهبة ص٣٧/٦٤/٧٦/٨٧ ، النبوات ص١٢٥،١١٧، الأصول والأحكام ص ١٠١/١٠٧.

سرى باسم الحكمة، وجذب البساط من تحت النظام القاهر. كلها انسانيات وعاطفيات من أجل التعارض بين عالمى الواقع والخيال، والدعوة إلى الانسلاخ عن العالم تعويضا أوهروبا. تقوم على التشبيهات والتحليلات النفسية. والسجع والإنشاء، والمترادفات العقلية التى لا تدل على شئ. وأحيانا تكون الدعوات مشتركة بين المؤلف والقارئ بأن يجعلهما معا من أنصار التأويل واتباع الشريعة. والايمان بالرسل، والاعتماد على العقل، وعدم اختيار الامامة بالأهواء[1].

وتظهر البدايات والنهايات الدينية الإيمانية فى أول الرسائل وأواخرها. فتبدأ بالبسملة بمفردها أو مع الاستعانة بالله. وتتكرر عدة لازمات مثل "الحمد لله الموفق والشكر للملهم" أو "إن شاء الله تعالى" أو "تبارك الله أحسن الخالقين" فى قائمة المقالات. فالعلم اللدنى أقوى أثرا وأشد يقينا وأعظم صوابا من العلم البشرى الذى يقوم على الأهواء والصراعات وظلم الظالم وتسلط المتسلط. وهناك نهايات أخرى غير نمطية تصلى وتسلم على الرسول وآله. وقد تجمع لازمتين مثل "إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق" أو "وبالله التوفيق" وحدها[2]. ولا يهم إذا كانت هذه النهايات من المؤلف أو الناسخ أو القارئ أو المالك. فالوثيقة عمل جماعى. فبعد الدعوات والحمدلات والصلوات يضع الناسخ اسمه طالبا أيضا المغفرة ومعبرا عن أحواله وبلده وساعة الفراغ منها. ولا توجد فى كل الرسائل عبارات النساخ ولكن فقط الحمدلات والصلوات وأحيانا التعبير عن الانتساب للدعوة الإسماعيلية[3].

وفى الخاتمة قد لا يوجد فرق أحيانا بين أهل السنة والشيعة فى الدعوة إلى السلطان القائم. فالسلطة والمعارضة كلاهما طلاب سلطة. فتدعو الرسائل إلى إمامة المعز لدين الله الفاطمى وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المتممين. بل أنه اعتبر مفكرا وكاتبا وصاحب رأى سديد ومقياسا للفكر برفض تعدد الآلهة والتناسخ. وهو منصوص عليه ليس فقط فى سلسة الأئمة بل فى الكون. فإذا كان الكوكب الدرى دليلا على عبد المطلب بن عدنان فان السابع الثانى أتى من المغرب وهو صاحب الهجرة المصرية المعز لدين الله الفاطمى. بل أنه كاتب

---

(١) الينابيع ص ٧٢، الكافية ص ٩٤-٩٧، النبوات ص ٥٣/٥٦.

(٢) تحفة المستجيبين ص ١٤٩، الأصول والأحكام ص ٢٠٠، الأسابيع ص ١٥٨، الكافية ص ٩٠، الينابيع ص ٢٥، النبوات ص ٤٨/٨٥/١١٨/١٤٤/١٨٠/٢٢/٩٨/٣١/١٣٧/١٧٠/١٥٨/١٧٣، الينابيع ص ١١٧/١٦١/٢٧/٧١/٩٣/٢٨-٢٩/٣١/٥٦/١٥٠.

(٣) الينابيع ص ١٧٣-١٧٤، الأصول والأحكام ص ١٤٣، الأسابيع ص ١٧٩، الكافية ص ٩٧.

ومؤلف، وفى خلاف بين رجلين حول معرفة الامام بالغيب بين الإيجاب والسلب. رفض النعمان الفصل فى الخلاف تملقا للسلطان الذى أفتى بأن الغيب على ثلاثة أنواع: ما احتفظ به الله، وما هو مخزون لصاحب القيامة، وما هو محتاج إليه فى الشريعة[١].

٢- **الألفاظ والمصطلحات.** وتظهر أحيانا بعض الألفاظ المعربة مثل "الكروبي" لوصف الملائكة والجن. وهو لفظ يونانى تم تعريبه أو عربى. وبين كل لفظ ومعناه مناسبة خاصة. فلو ترجم اللفظ الى آخر قد يتغير المعنى. وبتعبير آخر، بين الخاطرات واللغات مناسبات روحانية وشاكلات نفسانية، بالسريانية أو بالعبرانية أو بالعبرية، ولكل منها أسلوبها. فإذا ما تم التعبير عنها فى مشكلة أخرى تغير الأسلوب[٢]، وتظهر ألفاظ أخرى معربة مثل الاسطقس، السقمونيا أو ألفاظ مترجمة مثل الأركان بمعنى الأصول. ولا تعنى "العناصر" ترجمة للفظ اليونانى "اسطقسات" بل تعنى الأسس الثانية لأى شئ وهو المعنى العام مثل أركان العالم[٣].

واللفظ العربى الغالب الذى تم نحته تلقائيا عند الكندى هو لفظ الأيس مفردا والأيسيات جمعا، وأيس فعلا والليس نفيا. وقد تصل كثرة الاستعمال إلى حد الركاكة وتغليب المصطلح على سلاسة الأسلوب. بل يظهر فى الأدعية الأولى مع البسملات والحمدلات مما يدل على شيوعه وألفته وتحوله من مصطلح فلسفى إلى لغة الحياة اليومية. والغالب هو الأيس ثم الأيسية والأيسيات واسم الفاعل مؤيس ثم اسم الفعل تأييس، والنفى ليس. وقد تضاف صفة إلى اللفظ مثل الأيس الأول، والأيسيات الأرضية، والأيسية الإنسانية، والأيسية الحيوانية. وقد توضع الصفة قبل الاسم مثل "أول أيس". يوضع اللفظ فى عديد من العبارات الفلسفية مثل: المعانى تجعل الأيس ثانيا. والأيس لا يصير ليسا، وأول أيس صور الأشياء كلها، والموجودات متساوية فى حيز الأيس. والأيسيات متناهية. والله هو الذى جاء بتأييس الآيات لا من أيس[٤]. وتستعمل الأمثلة العربية مثل"زيد"، "خالد" فى القضية، موضوعا أو محمولا أو مضافا إليه[٥].

---

(١) المذهبة ص ٣٨/٤٣-٤٤/٥٣/٥٦/٨٢، الأصول والأحكام ص ١٢٦.
(٢) المذهبة ص ٥٧/٧٤/٨٠/٥٠/٥٤، النبوات ص ١٤٨-١٤٩
(٣) النبوات ص ٤٧/٢/٩٦/٢٤-٢٥/١٤٦، الأصول والأحكام ص ١١٣، الينابيع ص ٦٤/١٧٠/٦٧-٦٩.
(٤) فى النبوات يتردد اللفظ على النحو الآتي: أيس (١٣)، أيسيات(٧)، أيسية(٦)، مؤيسها(٤)، تأييس(٢)، ليس(١) النبوات ص ١٣٩/١٨٢/١٥٥/٢/٧٠/١٥٥/٢، الينابيع ص ٩٩-١٠٢/٢-٣/٧٠.
(٥) النبوات ص ٢/٧٠، الأسابيع ص ١٦٢.

ولا تظهر بعض الألفاظ اليونانية وحدها بل تظهر بعض الألفاظ من اللغات الشرقية مثل السندية والهندية والتركية والفارسية والزنجية. فهى مختلفة بالعبارة وفى مخارج حروفها، الحلق واللسان والأنف والشفتان. ولا يعنى هذا الاختلاف فى الحروف والمخارج أن تكون لكل لغة آلة وأداة خلاف اللغة الأخرى. هناك علم اللغة العام وعلم اللغة الخاص، وهى التفرقة المشهورة بين علم اللسانيات وعلم النحو[1]. ومهما تعددت أوضاع الرسل وتباينت شرائعهم فان معدنا واحدا يتصلون به واليه يدعون، ولغة واحدة وهدفا واحدا. فتعدد اللغات لا ينفى وحدة القصد. وقد قيل أن أول صلاة فرضت تسمى بالفارسية "مارنين" [2].

ولفظ "الحكماء" هو اللفظ الموروث وليس لفظ الفلاسفة وهو اللفظ اليونانى الوافد. وقد يتم تخصيصهم بالحكماء المنطقيين أى البرهانيين[3]. ولا يذكر المفرد إلا نادرا. وهم فرقة مثل المتقدمين والروحانيين. أما لفظ الفلاسفة فيستعمل على الإطلاق. ونادرا ما يتم تخصيصه بالفلاسفة اليونانيين. ولا يعنى لفظ "الحكماء" المعنى اليونانى العتيق، محبة الحكمة بل يعنى العلماء فى مقابل الجهال السفهاء. كلامهم مستمد من كلام الرسل، فالعقل والنقل بتعبير المتكلمين شئ واحد، ولا فرق بين كلام الحكماء وكلام الرسل أولى العزم. وكما قسم الحكماء الحكمة إلى علم وعمل كذلك فعلت الرسالة. فالحكيم له أستاذ وهو الرسول، والرسول له أستاذ مثل الحكيم. ومع أن الفلاسفة ليسوا من نسل النبوة إلا انهم توصلوا إليها. فلا فرق بين التنزيل والتأويل، بين الشريعة والحكمة، بين الوحى والعقل. ويستعمل اللفظ فى معنيين، إيجابى وسلبى ومحايد. المعنى السلبى موضع نقد، والإيجابى موضع تأييد، والمحايد مجرد عرض لعلوم الحكماء. والسلبى هو الأكثر شيوعا مما يدل على الموقف النقدى لحكماء لشيعة[4]، والمعنى المحايد مثل قسمة الناس إلى أبرار وأتقياء وعلماء وحكماء مقابل الفجار والأشقياء والجهال والسفهاء. وهو معنى يقبله العقل ولا يعارضه النقل. والحكماء هم أساسا المناطقة وتعريفهم للإضافة أى النسبة وتقسيمهم الضد ثلاثة أقسام، والجنس أربعة أقسام، والحكمة ثلاثة أقسام علم الطب والصناعات، وهو العلم الدنى، وعلم التنجيم وحركات الأجرام العلوية وهو العلم الأوسط، وعلم

---

(١) هى التفرقة المشهورة فى اللغات الأجنبية المعاصرة بين Langue, Language.

(٢) النبوات ص ١٤٦، الأصول والأحكام ص ١٣٤.

(٣) الحكماء (١٩)، الحكماء المنطقيين، الحكيم، المتقدمون، الروحانيون، الفلاسفة، الفلاسفة اليونانيون (١).

(٤) النبوات ص ١١٤/١١٩.

اللاهوت، وهو العلم الأعلى. أما العمل فهو أيضا ثلاثة أقسام، سياسة العامة، وسياسة العامة الخاصة، وسياسة الخاصة. وهى نفس القسمة للنبوة والرسالة. إذ أنها أوجبت معرفة الله ومعرفة السموات والنجوم والأرض والتفكر فيها، ومعرفة الأبدان، منافعها ومضارها، ومعرفة السياسات العامة والخاصة[1].

ومع ذلك يظل التمييز بين الحكمة والنبوة قائما. فسياسة العامة عند الحكماء تعنى بناء المدن، وكيفية اللباس فى حين أنها فى النبوة إقامة الصلوات، وتسبيح الله، وإيتاء الزكاة وتوزيعها على الضعفاء، ووضع ناموس شرعى به صلاح الناس. والحقيقة أنه لا فرق بين الاثنين. فالسياسة العامة عند الحكماء والأنبياء أعمار الأرض، والشعائر فى النبوة مؤسسات اجتماعية وعمرانية. وضع الحكماء أساس المدينة الفاضلة للناس كما وضع الأنبياء أسس الشريعة للامة. وقد يكون الفرق بين الحكماء والأنبياء أن المعانى اللاحقة فى أنفس الحكماء غير كاملة لأنهم وصلوا إليها بالمقدمات والقضايا المقترنة المتعاونة أى بأساليب البرهان وليس بالوحى المرسل، بالتأويل وليس بالتنزيل. وهو تمييز غير دقيق. فالبرهان هو الطريق إلى التنزيل، وما لا دليل عليه يجب نفيه. والتنزيل نفسه يطالب بالبرهان، ويجعل النظر أول الواجبات. وقد يوجد فرق آخر بين الحكماء والأنبياء هى العبارات والمصطلحات مثل جبريل وميكائيل. هى معانى عند الحكماء وصور عند الأنبياء. فالخلاف فى اللفظ وليس فى المعنى. ما يسميه الحكماء العقول والنفوس المفارقة يسميه الأنبياء الملائكة. قام الحكماء بعلمية التشكل الكاذب، استبدال الألفاظ الجديدة ألفاظ الحكمة بالألفاظ القديمة، ألفاظ الدين. لذلك قال بعض الحكماء الاسم غير المسمى وهو دليل عليه. وكانوا على وعى بهذا الاستبدال اللغوى بدلا من البارى استعملوا ألفاظ الموجود الأول، المبدأ العقلى، القوة الفاعلة، وهو ما أطلق عليه الحكماء أيضا أسماء العقل أو القلم فكان منها أثر منفعل هى النفس الكلية. فالفيض عند الحكماء هو إحدى صور الخلق عند الأنبياء. ومع ذلك يمكن الاعتراض بأن المعارف موجودة من دون الرسل، وأن الحكماء قد استطاعوا الوصول بالعقل الصريح إلى الحكمة ومن ثم يكون السؤال: وما وجه الحاجة إلى الرسل؟ والجواب أن الحكمة تلقين من أستاذ إلى أستاذ، ولا يوجد أستاذ أول. فى حين أن فى النبوة هناك تعلم من الرسول الذى فى غنى عن الأستاذ. وهى حجة أشبه بإثبات وجود الله واستحالة التسلسل إلى ما لانهاية. وقد توصل الحكماء إلى بعض المعارف. منهم أطباء ومنجمون ومهندسون وموسيقيون[2].

---

(١) السابق ص ٨٤/٨٦/١١٤-١١٥/١٢٠.

(٢) النبوات ص ١٧٠-١٧٣، تحفة المستجيبين ص ١٥٥، الأصول والأحكام ص ١٣٠/١٥١.

والمرة الوحيدة التى أشير فيها إلى الفلاسفة اليونانيين قلبيان حدودهم وقصورهم عن النبوة بالرغم من محاولاتهم الوصول إلى حقائقها. وكل من أراد إدراك النبوة من المذاهب الأخرى، يونانية أو غيرها لم يستطع حتى لو بذل أقصى الجهد. فقد وضع فلاسفة اليونان أصولا كثيرة من الطبيعيات والرياضيات حتى استطاعوا من خلال الرياضيات إدراك الروحانيات ولكنهم قصروا فى إدراك عالم النفس والعبادة، الأمر والنهى، والوعد والوعيد. وأقصى ما وصلوا إليه حكايات ورموز متناقضة لا برهان عليها على عكس ما أتى به الرسل الذين سبقوهم وإقرارهم بالمبدع، إرادته وخلقه وكأن المحك هي صور المعاد. وهذا ظلم للحكماء لأنهم أيضا أثبتوا خلود النفس، ثوابها وعقابها. والرموز والحكايات مشتركة بين الحكمة والشريعة، بين الفلسفة والدين. كما استعمل الفلاسفة البراهين والأدلة على وجود المحرك الأول ووحدانيته. فالفكر الشيعى هنا أقل انفتاحا من الفكر الفلسفى الخالص الذى وحد بين الفلسفة والدين كلية، ومن ثم ظل أقرب إلى الكلام منه إلى الفلسفة. وقد ذكر الحكيم مرة واحدة، وبطريقة لا مشخصة فى علاقة النظر بالعمل، النظر ممهد للعمل، ونهاية الفكر أول العمل[1].

وقد يعنى الشيعة بالحكماء أئمتهم أى حكماء الشيعة خاصة. فقد خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام عند الحكماء وذلك على النطقاء الست. كما أن صفات الفعل هم الحكماء الأربعة وأوصيائهم الأربعة. وقد صرح أمير المؤمنين على بن أبى طالب أن الحكماء المطيعين للأئمة علموا أن الشهادتين تدل على حدود الله. وهى نفى واثبات. وهى ثلاثة حروف: ألف ولام وهاء اله تشمل جميع ما خلق الله، وما سن من شرائع نظرا للتطابق بين الحروف والأشياء والشرائع. وعند الحكماء يتم توارث الامامة ولدا عن ولد، يمدون حججهم ولواحقهم بالتأييد. وبهذا المعنى يذكر أحد الفلاسفة أن أول ما يجب على أبناء الحكمة، معرفة هذه الحدود ومراتبها والإقرار بها، ومعرفة الامام الذى لا مثيل له ولا نظير له فى كل عصر وزمان. كما أن لفظ المتقدمين مثل الأوائل ليس حكرا على اليونان بل يعنى متقدمى الشيعة. وهناك الروحانيون أيضا الذين يحكم بينهم الرسول أو الأئمة من الأولين ومن الآخرين إذا كان الرسول هو الابتداء والانتهاء[2].

٣- **التأويل.** والتأويل إحدى آليات الإبداع لأنه قدرة على إنطاق المسكوت عنه فى النص وتمثل ما فى النص من تجربة شعورية تطابق واقع الاضطهاد وتتفق مع نفسية

---

(١) النبوات ص ١٥٦-١٥٩/١٧٠، المذهبة ص ٤٠

(٢) الأصول والأحكام ص ١١١-١١٣/١١٦/١٢٦-١٢٧ ، الأسابيع ص ١٦٣، المذهبة ٤٨-٥٠.

المضطهدين، وضرورة إيجاد تأويل جديد يعارض تفسير السلطة القائمة ويشرع للمقاومة. لذلك استشهد حكماء الشيعة أو سجنوا بينما استوزر كثير من حكماء السنة. وقد يصل حد التأويل إلى وقوع فى الباطنية والدخول فى أعماق النفس وأعماق النص بعيدا عن الظاهر الذى يستأثر به السلطان وحكماء البلاط حتى يأتى يوم يثور فيه الداخل على الخارج، والعمق ضد السطح، والامكان ضد الواقع، والإبداع ضد التقليد، والحركة ضد الثبات. ويدل على ذلك عنوان "الينابيع" للسجستانى. يتم تركيب القرآن على المضطهدين، على وآله. لذلك ارتبط الفكر الشيعى بالمسيحية، استشهاد الحسين وصلب المسيح. كما تتعاطف المسيحية مع الشيعة تعاطف النموذج الفريد مع النموذج المتكرر مثل صلب الحلاج، والمسيح يصلب من جديد. الكشف عن الساق من السجود مثل صلب المسيح على الخشبة مكشوفا وإن كان قلبه مستورا[1].

ومن كثرة التأويل استحال وجود فكر مجرد بل مجموعة من التأويلات المذهبة الشيعية ضد التأويلات المذهبة السنية. والعجيب اتفاق الآية مع الواقعة وكأنها نزلت عليها مما يجعل التأويل أداة فى يد كل صاحب قضية ظالما أو مظلوما، على حق أم على باطل. والعجيب اتفاق القرآن مع مذهب الشيعة. موضوعيا أو ذاتيا أو قراءة. ربما أن القرآن بطبيعته حمال أوجه قادرا على أن يكون منقرءا لكل قارئ. لذلك أعجب به فلاسفة التأويل شرقا مثل الشيعة وغربا مثل الهرمنيطيقا الغربية المعاصرة[2]. وربما يوحى اتفاق الآية مع التفسير الشيعى والسنى فى آن واحد أن القرآن صورة بلا مضمون، قادر على أن يحتوى كل المضامين الممكنة. وهذا هو أحد معانى التشابه.

نشأ الفكر الشيعى من تأويل القرآن وحده، قراءة الواقع فى النص، والنص فى الواقع وكأن الواقع الشيعى الخاص سبب نزول جديد.وقد كثر القرآن إلى حد تكراره وتقطيع الآيات. ولم توضع الآيات فى النص بين قوسين، فلا فرق بين النص والآية خاصة وأن محقق النص شيعى أيضا، والقرآن يساعد على التشخيص نظرا لأسلوبه الإنسانى. فالله يخاطب السموات والأرض والجبال كما يخاطب الإنسان. بل ويشخص الأشياء مثل جدارا يريد أن ينقض، وإجابة الأرض والسماء ﴿ فقلنا ائتنا طائعين ﴾ كنوع من التصوير الفنى والتعبير البلاغى والأسلوب الأدبى فى عصر الشعر وعند أهل الفصاحة. ويكون ذلك تقوية للخطاب الفلسفى فى نشأته لما تتصف به الآية من بلاغة

---

(١) الينابيع ص ١٤٦.

(٢) وذلك مثل كوربان الذى يجمع بين الإسماعيلية وهيدجر ويونج.

وقدرة على التأثير فى النفوس[1]. التأويل رغبة فى شد القرآن إلى الوضع النفسى المتأزم والعالم الضائع كنوع من التأييد المعنوى للذات. ومن تخلف عن التأويل لا يحيط بحقيقة الشيء، ويقع فى التشابه والشك. لذلك كان العلم بالتأويل هو علم بالانتهاء والإحاطة.

ويشمل التأويل تأويل النص وتأويل الواقع. فالمولود يخرج من بطن أمه باكيا نظرا لدخول الهواء الرئتين، وخروج الصوت عند الأطباء، وحزنا على العالم كما يأول الشعراء. وأحيانا يكون التأويل من الكون إلى الشرع، من العالم إلى الإنسان، من العام إلى الخاص، وأحيانا من الشرع إلى الكون، من الخاص إلى العام. يحول النص إلى خاص، والخاص إلى أخص، والنص إلى شئ دون الاكتفاء بالدلالة اللغوية. فاللفظ يحيل إلى المعنى، والمعنى يحيل إلى الشيء، ويكمن جمال التأويل فى تحويل الخارج إلى الداخل، والداخل إلى الخارج كما هو، الحال عند الشعراء[2]. وفى القرآن﴿ وفى الأرض آيات للموقنين، وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾، ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم على أنه الحق﴾، تقابل العالم الصغير والعالم الكبير عند إخوان الصفا، وعلم الميزان عند الكرمانى. لذلك يختار الشيعة الآيات التى بها ظاهر وباطن مثل الحجاب، قصة عيسى ومريم وزكريا، موسى والخضر، لذلك اشتق لفظ القرآن من القران أى الربط بين شيئين والجمع بين طرفين كما هو الحال عند إخوان الصفا التى خرجت من نفس البيئة وتحت نفس الظروف. التأويل هنا شيئى يقوم على المطابقة بين الكلمة وما تشير إليه فى الخارج. ولا يختلف ذلك عن التفسير التاريخى عند أهل السنة. مطابقة الوصف القرآنى للحدث التاريخى. إنما الخلاف فى التاريخ المختار، تاريخ السلطة عند السنة وتاريخ المعارضة عند الشيعة، تاريخ الدول عند السنة وتاريخ الشعوب عند الشيعة.

والفكر الشيعى كله يقوم على التأويل أى تحويل المنقول إلى معقول دون برهان علمى أو عقلى رصين باستثناء التجارب النفسية والمواقف السياسية. ويتراوح استعمال المنقول والمعقول فى ثنايا النص. وعادة ما يبدأ بإحكام عقلى فى البداية ثم تظهر الشواهد النقلية بعد ذلك متقطعة حتى تصبح بديلا عن الخطاب العقلى. ثم تتكاثر حتى تصبح كل شئ، ويصبح الفكر الفلسفى الشيعى مجرد إسقاط الأحوال النفسية الفردية والاجتماعية على النصوص وقراءة النصوص عليها بلا توسط من وافد أو موروث. وأحيانا تذكر الآيات دون وضعها بين قوسين كبديل عن الخطاب الفلسفى وكأنها معبرة بذاتها وليست

---

(١) الأصول والأحكام ص ١٣٢.

(٢) يقول فيرلين "Verlaine" "إنها تمطر فى السماء كما تمطر فى قلبى".

فى حاجة إلى صياغة نظرية عقلية. وتستعمل بديلا عن الأسلوب فى بناء الموقف وعند الحوار. وأحيانا تكون الآية جزءا من آية يتم تفسيرها ثم يأتى الجزء الآخر وكأن الآية تدخل فى النسق العقلى جزءا جزءا مثل آية ﴿ محمد والذين معه﴾ فكثر الآيات حتى أنها لتصبح بديلا عن الخطاب الفلسفى. ولا توضع بين قوسين بل تستعمل كأسلوب حر كما هو الحال فى النصوص الفقهية أو عند الجماعات الإسلامية المعاصرة لإيهام العامة وتجريدها باستدعاء سلطة النص مقابل استعمال أئمة الظلم. فالنص سلاح ذو حدين. ولا يفل الحديد إلا الحديد[1].

ويدل القرآن الحر على أنه لا فرق بين الآية القرآنية والخطاب الفلسفى. إذ يقوم كل منهما بدلا من الآخر على التبادل. كما يدل على أن الفكر الفلسفى قريب من مصدره، وأنه لا يتداخل بين المصدر والفكر الفلسفى أى مصدر آخر وافد أو موروث. كما يدل على أن التنظير العقلى التلقائى ما زال فى بدايته. مساحته مازالت قليلة. وأحيانا تكون الآية حرفية ولكنها متداخلة مع الخطاب الفلسفى بلا بداية ولا نهاية. وأحيانا يبدأ الخطاب بقال الله تعالى ولكن القرآن أقرب إلى النقل بالمعنى وليس حجة نقلية. وأحيانا يبدأ الخطاب بقرآن حر وينتهى بقرآن حر وكأن القرآن الحر هنا بديل عن الخطاب الفلسفى.

ويستمر ذلك عبر العصور حتى القرن الرابع عند السجستانى والقاضى النعمان وحاتم بن عمران. ويبدأ بالاختفاء كلما زاد التنظير العقلى وملأ مساحة كافية بين النص كمصدر وبين الخطاب الفلسفى كتنظير له[2]. وابتداء من القرن التاسع لم تعد الآيات تثبت شيئا، ولا تدخل فى منطق الفكر بل تظل خارجه، مجرد رصد لتكملة الخطاب الدينى. وكلما تأخر الزمان قل الإبداع وزادت لحظة الإنشائيات مع عناوين تغلق الاجتهاد، وتعلن الكمال مثل "الكافية". وتستمر طريقة تفتيت النص وتخريج المناط وبيان كل جزء إلى أى شئ يشير مثل التفسير الشيعى فى علوم التفسير. يبدأ التفسير بالواقع، والإنسان الحى، وينتهى بالخيال، المنتقى الروحانى.

ويستعمل لفظ "القرآن" كثيرا مما يدل على أنه المصدر الوحيد، والمرجع الأوحد فى الفكر الفلسفى الشيعى، وأحيانا يبدو مشخصا وكأنه كائن حى مثل الأئمة السبعة، والأساس، والحكيم، وصاحب التأويل. وهو كلام الله. ينطق بالحق منزل من اللوح المحفوظ. ومن هنا جاء شرفه، على قلوب الناس، ويخاطب كل مؤمن كما يخاطب النبى

---

(١) النبوات ص١٢٤/١٨٤.

(٢) المذهبة ص ٣٧-٣٨/٤٠-٤١/٤٥/٦٧، الأصول والأحكام ص ١٢٧.

يدخل فى قلوب المؤمنين، فى القلب وفى الطبيعة، فى الداخل وفى الخارج. وأحيانا يتحسر من القلب وبتحسر على الطبيعة فلا يبقى منها إلا رسمه، ويصبح حبرا على ورق. وهو معجز لأنه لا يخلو منه شئ من ضروب الكلام،وملئ بالأعاجيب، وبه من الحكمة بلاغة وأداء. له ظاهر وباطن، ويسمح بالتأويل. يخاطب المستحق فى منزلة استحقاقه، يعطى كل شئ وصفه، ويضع كل شئ فى موضعه. فالقرآن والطبيعة عالم واحد. وهو هيولى لسائر العلوم الرياضية والعقلية، ومعدن معرفة الحدود الروحانية القائمين بالقسط المؤمنين بمثالهم ودليلهم. يمدح خلق الأنبياء. ودور القرآن هو دور محمد، خاتم الدائرات العظمى. هو الدور السابع، خاتم الدائرات، ومنتهى السدرة طبقا للسبعة التى فى القرآن: محمد، وأحمد، ويس، والمزمل، والمدثر، والضحى. وله أربعة عشر اسماء، سبعة مذكورة وسبعة أخبر هو بها[1].

ويظهر التأويل العددى للقرآن، أولوية العدد سبعة بالرغم من أن القرآن يذكر الأعداد كلها من الواحد حتى الثانى عشر بلا تفضيل، وكذلك المائة والألف. فالسموات سبعا طباقا أى النطقاء السبعة.التأويل العددى له ما يبرره، وجود الأعداد فى القرآن. وبضربها وجمعها وقسمتها دون طرحها، فالطرح سلب ونقص، تخرج أعداد أخرى مثل السبعة عشر ركعة مجموع الصلوات الخمس، وتكبيراتها أربع وستون، وتسليماتها خمس. فيكون المجموع تسعا وتسعين، عدد أسماء الله الحسنى. ويتكرر نفس التأويل لنص جديد. والقرآن نفسه هو الذى يعطى الأولوية للعدد سبعة. وتتعدد الحسابات وتنتهى كلها إلى العدد المطلوب إثباته مثل العدد تسعة وتسعين الذى قد يثبت أيضا السبع المثانى، والأربعة عشر نبيا. حججا ظاهرة، واثنا عشر نبيا حججا باطنة وست مراتب للإيمان: المؤمن، والمحرم، والمحل، والمأذون، والمباح، والحجة نقلا لأحكام التكليف الخمسة فيكون العدد تسعة وتسعين. الكواكب سبع طوالع، والبروج اثنا عشر، وكلاهما تسعة عشر. وأحيانا تدخل الكواكب فى الحساب، السبع سموات، والسبع الأرضية. والسبع الشداد وما بينهما، فالكواكب لا تدبر بنفسها لأنها لا تعقل بل لأنها ترمز للملائكة. الكواكب المثل، والملائكة الممثول. ولأول مرة يظهر المصطلح عند القاضى النعمان وإن لم يظهر عند السجستانى. فهناك اثنا عشر ملاكا روحانيا، وتسعة عشر ملاكا لحراسة النار. فلا فرق بين أسماء الله الحسنى ومظاهر الطبيعة فى العدد. كلاهما تسع وتسعون. ويتم تكييف حساب الملائكة

---

(١) الينابيع ص ١٦٧/٧٥، النبوات ص ١٤٣/١٩١/١٢٨/١٣٤/١٥٣/١٧٠/١٠١، المذهبة ص٦٤/٥٥، الأصول والأحكام ص١٠٧/١١٦/١٢١-١٢٢.

والأجرام والسموات والأرض وما بينهما بحيث ينتهى الحساب إلى هذا العدد. ومن ثم يخطئ المنجمون فى اعتبارهم أن هذه الكواكب الظاهرة هى المدبرة. وكيف تكون كذلك وهى جماد لا عقل لها ولا نفس؟ وكيف تكون مدبرة والله هو المدبر؟ ومن ثم يكون تصور الشيعة للكواكب أفضل من تصور الفلاسفة الذين جعلوها نفوسا وعقولا وحياة عوالم متوسطة بين الله والعالم الطبيعى[1]. وبالرغم من أن السابع من النطقاء هو الآخر إلا أنه لأجله خلق النطقاء الستة الأولى. وهو ما يشبه قول المسيحيين عن علاقة المسيح بأنبياء بنى إسرائيل. بالرغم من أنه آخرهم إلا أنهم خلقوا أو تكرروا لأجله. فالوسيلة تؤدى إلى الغاية، والغاية تخلق الوسيلة. الخلق فى ستة أيام ثم استوى على العرش فى اليوم السابع. الأيام سبعة، والنطقاء ست، والسابع القائم عليهم. وبينهم أئمة مستورون.

ويتكرر التأويل العددى عند أكثر من حكيم شيعى. ويستأنف قيس بن منصور فى "الأسابيع" ما بدأه ﴿ باسم الله﴾ سبعة حروف ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ اثنا عشر حرفا تدل على الأئمة السبعة والحجج الاثنى عشر. والملائكة الموكلون بجهنم تسعة عشر كما يظهر التأويل العددى فى أحاديث الرسول فى التوحيد بين يوم الصوم ويوم النحر وبينهما تسعة وتسعون يوما[2]. ﴿ باسم الله الرحمن الرحيم﴾ أفضل الصفات وأعلاها لأنها أربع تدل على الأصول الأربعة.

والسؤال الآن: هل التطابق بين الأعداد والحروف مصادفة أم أن له ما يبرره فى الواقع والحقيقة؟ هل هو مجرد رغبة عند الإنسان الفصامى فى البحث عن الاتساق؟ وأحيانا يتحول التفسير العددى إلى فلسفة فى التاريخ عن الأيام وتداولها بين الناس، وأن علامات الدول، بدايتها ونهايتها ليس الحرفيون بل النطقاء السبعة مثل الأنبياء بين أقوامهم. فكل نبى دور، وكل ناطق دور، وقوانين التاريخ لا تتغير[3].

ويقوم التأويل على حساب الحروف والجمل. ويأتى فى المقدمة العدد سبعة ومشتقاته مثل السبعوية. وكل من الياء والسين والنون فى ﴿ يس﴾ لها عدد رمزى. وتشير الياء والسين على الأنحاء السبعة. وكلمة ﴿ كن ﴾ تدل على سبعين حدا فى حساب الجمل التى تدل على السبعة أدوار التى تقوم مقام السبعة حدود العلوية والسبعة الجسمانية الحادثة عن العلوية، وهى السلسلة التى ذراعها سبعون ذراعا. فالكاف تدل على ثلاثة

---

(١) المذهبة ص ٣٤/٣٦-٣٧/٤٤

(٢) الأسابيع ص ١٥٨/١٦٨/١٥٨-١٥٩، المذهبة ص ٣٥، الأصول والأحكام ص ١٣٣.

(٣) المذهبة ص ٤٦.

أحرف تدل على الحدود العلوية هى الكلية والسابق والتالى. والنون تدل على ثلاثة أحرف تدل على الحدود العلوية هى الجد والفتح والخيال. والحدود السفلى ستة: الناطق، والأساس، والامام، والحجة، والداعى، واللاحق. وتتداخل الحروف مع حساب الجمل مع تاريخ الأنبياء. وحروف ﴿باسم الله الرحمن الرحيم﴾ تسعة عشر حرفا وهى حروف محمد وعلى والحسن وفاطمة. وهى عدد الملائكة الكبار الشداد. الأربعون ستة مقام النطقاء أى أربعون حدا بين يديه يخبرونه بظهور القائم الذى بلغ حد النطق. والعدد سبعون حجج مثل: جناح، وملحق، وداعى، ومأذون، وصاحب، ومستوجب، ومستأنف، ومحرم، ومستجيب، ومستعيذ ...الخ. والبسملة أم الكتاب وتمامه. لها أربعة حدود ودلالة على الأصليين. والقائم تسعة عشر حرفا دلالة على الأئمة السبعة والاثنى عشر حجة، أربع كلمات، وتسع قطع، وعشر جواهر، وتسعة عشر حرفا. ومجموعها أربعون لا تنسخ إلى يوم القيامة. بهذه الطريقة يمكن جمع الأعداد فى كل آية والعثور فيها على دلالات نفسية من صنع الخيال لإيجاد نوع من الاتساق مع النفس كبديل وتعويض عن عالم الواقع والتضاد(١).

ويجتمع العدد مع الحرف ويصبح حساب الحروف والجمل ضمن التأويل العددى. فالألفات فى البسملة خمسة، والحدود الأربعة الروحانية هي: النفس، والجد، والفتح، والخيال. والهاء فى البسملة مرة واحدة أى أن الحد لا يناله أحد من الجسمانيين إلا واحد هو الناطق. والميم ثلاث مرات أى أن الخيال لا يناله من الحدود الجسمانية إلا ثلاث: الناطق،و الأساس، والامام. فيفيدون اللواحق الاثنى عشر، وهى الأبواب المتفرقة. والنون واحدة تعنى أن ما ناله الناطق من الأصلين إفادة أهل النجدين على نوع واحد رمزا من غير شرح ظاهر أو باطن، تنزيلا بلا تأويل. والأصلان بسين وحرفين ومرتبتين فى البسملة أى أن ما استفاده الأساس من الأصلين لأهل النجدين على وجهين، ظاهرا وباطنا، رمزا أو سرا، تنزيلا أو تأويلا. والباء مرة واحدة، أصل واحد، أى أن ما ناله الامام من الأصلين إفادة أهل النجدين على نوع واحد رمزا من غير شرح. والسين مرة واحدة أى أن اللاحق يفيد ما هو دونه من الأجنحة ما يناله من متممه شرحا من غير رمز على وجه واحد. والباء دليل على الجناح لأنه به ينال المستجيب سبيل الرشاد. وبه يعمل كل مسترشد إلى البيان والثواب الأبدى مرة واحدة أى الجناح اللاحق يفيد المستجيبين شرحا من غير رمز على سبيل واحدة. والباء زائدة وليست أصلية منها، وسائر الحروف منها. وكل حرف إما برمز أو من غير رمز، بوجه واحد أو على أوجه عديدة. والحقيقة أن هذا

---

(١) الينابيع ص٧٤-٧٥ المذهبة ص٤٦ الأصول والأحكام ص ١٠٩-١١٢.

التفسير لغوى حرفى وليس اشتقاقيا شخصيا فى الأئمة والأوصياء. وهو مذهب يمكن رفضه أو مقابلته بمذهب آخر، خاص وليس لكل عصر، وهمى فى عالم الخيال، طائفى حتى ولو كانت طائفة المضطهدين. ويكون التفسير الثورى أفضل فى الإعلان عن الاسم. ويظهر الجمع بين التفسير العددى وتفسير الحروف عند معظم حكماء الشيعة. الباء دليل على الامام لأنها حرف نداء فى أول الكلمة وحرف النسبة فى آخرها لأن النسبة الروحانية متصلة به من جميع الحدود عند الكشف[1].

ويبدو الفكر الشيعى أحيانا معاديا للقياس والاستنباط دون معرفة الطبيعة والكون والأجرام وعللها. لذلك ذم القرآن القياس. وإذا كان القياس أداة السلطة فى السيطرة فان التحرر منه يصبح أداة المعارضة. لذلك قال الشيعة بقول الامام المعصوم كأصل من أصول الدين بدلا من القياس، لا فرق بينهم فى ذلك وبين أهل الظاهر فى رفض القياس. الاستنباط ضد النص، والقياس ضد الآية، والعقل ضد الوحى، والاستدلال ضد الإيمان، والروحانى له الأولوية على الجسمانى. شياطين الإنس هم الذين عكفوا على الظواهر دون الحقائق. وشياطين الجن هم الذين اقتصروا على العقليات دون الحق وإدراك الامور الخفية فانفروا عن السمع. والشياطين من الشطن أى البعد. وراحة العقل ضد الإحساس بالفصام بين واقع مرفوض ومثال لم يتحقق لتحقيق الوئام بين الأنا والنحن، بين الذات والموضوع. بين المعرفة والوجود كما هو الحال عند الصوفية[2].

والاستشهادات غير دقيقة، والتأويلات غير موضوعية، مهمة التأويل إعادة تفسير الآية بحيث تتفق مع النسق المذهبى. فالنسق سابق على التفسير، والفكرة سابقة على الآية وليست مستمدة منها، والآية تالية لها وشهادة عليها كما هو الحال عند الفقهاء وأصحاب النقل والأشاعرة. هذا هو منطق التفسير كله، الفكرة من خارج الآية وليست من داخلها، والآية شهادة عليها.

وخطورة التأويل المشخص هو أنه تأويل محدد، لفرقة واحدة، فى نسق واحد، فى موقف نفسى واجتماعى واحد يقضى على عموم الحكم لصالح خصوص السبب. كما أنه تأويل وقائعى تاريخى حدثى يقضى على الدلالة العامة التى يمكن أن تتكرر فى حوادث مشابهة. وهو تأويل شخصى ذاتى يقضى على الشمول والموضوعية إذا لم تتوافر التجربة المشتركة. وقد يكون التأويل أحيانا بعيدا يرفضه العقل، ويعارضه الفهم وتأباه

---

(١) الأصول والأحكام ص ١٣٧-١٤٠/١٤١-١٤٢، الأسابيع ص ١٧٨.

(٢) النبوات ص ٦٠/١٨٤.

البداهة. فالموقف النفسى ليس كل شئ فى التطابق بين المعرفة والوجود.

رابعا: من علم العقائد إلى تاريخ الأديان.

نشأ الفكر الفلسفى الشيعى بتطوير علم الكلام إلى فلسفة وتحويل علم العقائد إلى تصورات نظرية فى العالم سواء بنفس المصطلحات مثل "النبوة" و"المعاد" أو مع قراءة جديدة لها مثل "المبدع" و"الإبداع" بدلا من الخالق والخلق، وتحويل الفرق غير الإسلامية إلى تاريخ مقارن للأديان، وتحويل قصص الأنبياء إلى فلسفة فى التاريخ. ويختفى العدل للشعور بالظلم. يتضح من الفكر الشيعى خروج علوم الحكمة من علم الكلام. فالموضوعات واحدة، تحولت من الكلام العقائدى إلى رحاب الفلسفة الأوسع بمصطلحات جديدة. فالذات هو المبدع، والخلق الإبداع، والعقل والنقل التأويل. وبعض الموضوعات الكلامية بقت فى علوم الحكمة بألفاظها مثل النبوة والمعاد والامامة. ويتم ذلك كله دون استعانة بالوافد بل اعتمادا على تحليل التجارب النفسية والاجتماعية لجماعة المضطهدين. استطاع الشيعة أن يعطوا فلسفة للعقائد أو أن يحولوا العقائد إلى نظريات فلسفية حول الإبداع والخلق، والنبوة والمعاد، وفلسفة الأديان وفلسفة التاريخ.

ويتم عرض فلسفة الشيعة مرة واحدة دون استعراض نصوصها زمانيا نصا نصا لتفادى التكرار وفى نفس الوقت المحافظة على تاريخيتها. وكان يمكن وضع هذه النظريات فى الأجزاء الثلاثة الأخيرة عن الإبداع فى علوم الحكمة النظرية والعملية، ولكن تم وضعها هنا مع أنها خاصة بالمضمون وليس بتشكله من الوافد والموروث لبيان كيفية تنظير الموروث دون الاعتماد على الوافد بل فى أتون المعارك السياسية كنموذج للتنظير المباشر للواقع اعتمادا على النصوص الأولية وحدها. كما أن المجلد الثالث بأجزائه الثلاثة الأخيرة عن الإبداع خاص بإعادة كتابة علوم الحكمة القديمة بناء على الوافد الغربى الجديد وظروف العصر السياسية والاجتماعية الحالية باعتباره أيضا فكر المضطهدين، طبقات وشعوب.

١– الإبداع والخلق. وهو ما يعادل نظرية الذات والصفات والأفعال عند الأشاعرة وأصلى التوحيد والعدل عند المعتزلة فى علم الكلام القديم.والحديث عن الإبداع كفعل أكثر من المبدع كشخص خوفا من التجريد على عكس أهل السنة الذين يتحدثون عن المبدع كشخص أكثر من الإبداع كفعل خوفا من التشبيه. فأهم صفة فى المبدع الفعل ونفاذ الأمر، المبدع العملى وليس المبدع النظرى، المبدع فى إبداعه وليس المبدع فى ذاته. لذلك أتت الأولوية للإرادة على الحكمة كما هو الحال عند الأشاعرة إرادة المظلوم فى

مواجهة إرادة الظالم، ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة فلا يفل الحديد إلا الحديد. وتتوالى على المبدع الصفات والأسماء والألقاب قبل أن يتجلى فى أفعال الإبداع. ويتداخل الاسم والصفة واللقب واللفظ معا. ومع ذلك ليس المهم اللفظ بل المضمون. فكما كتب الرسول ﴿ باسم الله الرحمن الرحيم ﴾ اعترض من لا يعرف معانى اللفظين، ورضى الرسول "باسمك اللهم"، وهو موضوع صغير نظرا لأن المبدع يتجلى فى الخلق والنبوة والمعاد وربما الامامة. ما قيل عن المبدع قليل فى حين أن ما قيل عن الإبداع أكثر، وما قيل عن تجليات الإبداع فى النبوة والمعاد أكثر فأكثر. والأسماء أهم من الصفات، إذ يسهل فيها التأويل والإبداع[1].

وقد ذكرت الصفات فى القرآن مثل العلم والوحدة والكلمة والجد أى القوة والبخت أى القوة المتصلة به. وهى لا تشبه الحدود الدنيوية من صفاته الجد والفتح ومثلها عند الصوفية مثل ابن عربى. وهى صفات مركبة بالخيال. وأفضل الصفات وأعلاها ﴿ باسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أربع كلمات دالة على الأمر والإرادة. وقد تم تجسيد الصفات الإلهية فى أشخاص الأئمة وحركاتهم. فإذا جاء الرب فانه يجئ كرب المنزل. له وجه وعين ونفس ويدان. الوجه دليل على السابق، متحد بالكلمة وهى غير الله. والأعين الأصلان والحدان والخيال. والنفس هى النفس الكلية. ونفس عيسى نفس الرسالة. واليدان هما الأصلان، وكلاهما يمينى، دليل على الباطن لأن الشمال هو الظاهر. والسموات المطوية بيمينه دليل على النطقاء أرباب الظواهر. فدعوتهم وفضلائهم مطوية فى التأويل.

وقد اختلف علماء الشيعة فى العلم الإلهى. إذ قال علماء العامة وهم أهل العمى والتيه أن الله علم آدم كل شئ وهذا جهل. وقد يعنى علماء العامة هنا فقهاء أهل السنة، فقهاء السلطان، وهو أن الله علم آدم أسماء الأشياء. فاللغة توقيف. وقال بعض علماء الشيعة أن الله علم أسماء أئمة الحق وأسماء أئمة الجور، وليس الأمر كذلك. ويرى القاضى النعمان أن الله علم أسماء من اختص من عباده ليقيم عليهم الحجة حتى لا يكون للناس حجة[2].

ولله أسماء عرفها البعض وجهلها البعض الآخر. وتشير الأسماء الحسنى إلى الأئمة. وهم تسعة وتسعون بين حكماء وأوصياء ونطقاء وأسس وأئماء وخلفاء وأصحاب

---

(١) الينابيع ص ١٥٧، تحفة المستجيبين ص ١٠٥.

(٢) المذهبة ص ٤٦/٣٠-٤٧/٥٢/٥٩/٦١، الأسابيع ص ١٦١/١٦٩، الأصول والاحكام ص ١٣٢-١٣٣ تحفة المستجيبين ص ١٤٨/١٥٥.

الكشف كما نص على ذلك الحديث. ويمكن الاعتماد عليه لتأويل أسماء الله التسعة وتسعين التى يدخل الجنة من يحصيها مع تطبيقها على الأئمة. فهى صفات فعل دون أى فرق بين الصفة والاسم. وهم الحكماء الأربعة وأوصياؤهم الأربعة فى كور الاقرار، والثانية والعشرون فى أدوارهم الأربعة فى كور الاقرار، ثم النطقاء الأربعة فى كور التعبد، ثم الناطق وأساسهما والاتماء الأربعة عشر فى دوريهما، وصاحب الكشف، والخلفاء الثمانية فى كور العلم. فهؤلاء التسعة وتسعون اسما على النحو الآتى:

٤ حكماء
٤ أوصياء
كور الأقرار

٢٨ فى الأدوار الأربعة فى كور الاقرار

٤ نطقاء
٤ أسس
٢٨ أتماء
فى الأدوار الأربعة فى كور التعبد

٢ ناطقان
٢ أساسان
١٤ أتماء
فى كور العلم

١ صاحب الكشف
٨ خلفاء
٩٩ اسما

ومن الواضح أن الحديث بصيغته المذكورة به زيادة مثل زيادة حديث الفرقة الناجية عند أهل السنة طبقا للإيقاع والوزن، اليهود واحد وسبعون، والمسيحيون اثنان وسبعون، والمسلمون ثلاث وسبعون وجعل فرق الشيعة من الضالة، وفرقة أهل السنة وحدها الناجية [١].

وإنكار التأويل وقوع فى الشرك والتشبيه. والشرك طبقا للحديث أخف من دبيب نملة سوداء على صخرة صماء فى ليلة ظلماء[٢]، فالرحيم فى البسملة دليل على الأساس. والحروف الستة تعنى الأسس الستة لأنه ليس للقائم شريعة يحتاج فيها إلى أساس لتأويلها. والرحيم أرق من الرحمن أى أن الأساس أرق لأهل الحرم بما فلتحم فيه من بيان ظاهر

(١) المذهبة ص ٢٨-٣٠، الأسابيع ص ١٦٣، أنظر أيضا "من العقيدة إلى الثورة" المجلد الخامس: الايمان والعمل – الأمانة، من الفرقة العقائدية إلى الوحدة الوطنية ص ٣٩٣-٦٥٤.

(٢) وهو تقريبا نفس تشبيه الوضعية المنطقية الغربية المعاصرة عن الباحث الميتافيزيقى عن قطة سوداء فى ليلة ظلماء لا وجود لها.

obeikandi.com

الناطق تعطفا عليهم ورحمة لهم. والرحيم مشتق من الرحمة طبقا لحديث الرسول أى أن رحمة الأساس صلة الرحم للمحققين دون المبطلين، وللأبرار دون الفجار، بها ينالون المغفرة. فصلة الرحم تزيد فى العمر كما هو فى الحديث. وهى من وصل الأساس بالناطق، وإلاحق بالمتمم. ومن ثم يؤول الفكر الفلسفى الشيعى أحاديث التوحيد على الإمامة[1].

ويهتم الشيعة بالقدم والأصل والنشأة تأصيلا للأشياء، وبحثا عن الأصول من أجل ربق الظلم والذهاب إلى ما وراءه لمزه من الأساس وكما هى الحال عند الصوفى ة فى عهد الذر وعند أخوان الصفا فى أمر ﴿كن﴾ ويرتبط الخلق بالمادة، مادة الخلق، وبالزمان، درجات لخلق وتكون النشأة والأصول للطبيعة وإلإنسان، ما من مادة قديمة أو من لا مادة بفعل الأمر ﴿ كن فى كون﴾. فتم خلق الأرض مثل النبات بظهور الأخسام من غير منطقية، والأسواح بقوة إلهية. ثم إستوى إلى السماء وهى دخان. وأمر السماء والأرض بالإتيان طوعا أو كرها فأتيتا طائعتين. وخلق كل دابة من ماء ومنها الذواحف.

وقد تكون نشأة الإنسان مادية،"من ماء دافق، من منى يمنى، مل نطفة أشاج. وهى نشأة الإنسان من حيث هو إنسان. أصل الانسانية. جميعا على لسق واحد. وهذه هى النشأة من شئ، خروج شئ من شئ طبقا لنظروة التطور التى توم على إلاتصال. وهنا يبحو ارتباط الفكر الشيعى بعلوم الحياة كما مو الحال عند أخوإن الصفا، فالموت والحياة مرتان. أما الجال فمخلوق من نار السموم وهو المستودع للطائف منذ البداية وفى الانتهاء هو الأساس. والسموم غاية اللطائف، والنار حد الكروبية العالى على حد الروحانية لأن منهم مبتدأ الأدوار وهم نهايته. الحمل ابتداء،و الكرة الإظهار للوجود. فتصبح المراتب أربعة: من الحدود الجسمانية إلى الحدود الروحانية إلى النفس الكلية الى الابداع الأول صعودا أو من الإبداع الأول إلى النفس الكلية إلى الحدود الروحانية إلى الحدود الجسمانية نزولا [2].

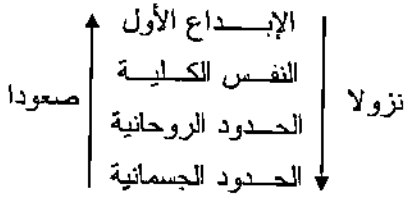

(١) الأصول والأحكام ص ١٣٢/١٣٤-١٣٥.

(٢) الينابيع ص ٨٤-٨٥/١٤٦/١٢٠، تحفة المستجيبين ص ١٤٧، الأصول والحكام س ١٠٢/١٠٤ المذهبية ص٤٢/٧٧/٨٠.

وخلق الإنسان على سبع طبقات. والعقل مثل الشمس، والنفس مثل القمر لأن الشمس لا تختلف في حركتها. والعقل يظهر في الإنسان من أربعة مواضع، اثنان لطيفان، واثنان كثيفان. الأول العزيزة، والثاني الرسول،و الثالث الشريعة، والرابع التأويل. والأول دون الثلاثة يوقع في التعطيل،و الأول والثاني دون الاثنين الآخرين يوقعان في العمى والضلال. والأول والثاني والثالث دون الرابع توضع في القمة والتشبيه. أما الأربعة فهو التمسك بالعروة الوثقى.

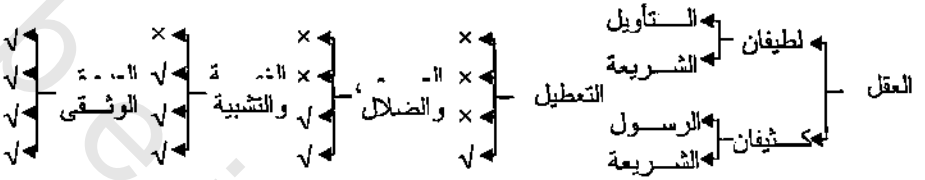

الحكمة بالعزيزة، والتدين بالرسالة والمعرفة بالتأويل. وترتيب الأربعة بحسب اللطافة والكثافة. وهما مفهومان طبيعيان. وواضح المراتب والتدرج والمقامات الفلسفية عند الشيعة. والظل ساكن والشمس دليل عليه. فالكون تمام الكون بقوة الشمس والقمران أصلان واسمان. والعلم هو عهد على النفس إلى ما في نجاتها من ظلمة الجهل إلى نور العلم على المستوى الروحانيات دون البقاء في الطبيعيات وإلا كان الخسران المبين[1].

ويرتبط الخلق بالزمان فقد يكون دفعة واحدة وقد يكون على فترات. والزمان نسبي إذ أن يوم الله خمسون ألف سنة مما يعد البشر، وهو يوم صاحب الدور. لذلك ظهرت الأعداد أساسا للخلق. إذ خلقت السموات والأرض في ستة أيام، وفي يومين. وقدرت في ها الأقوات في أربعة أيام. وخلق سبع سموات في يومين، وفي ستة أيام إشارة إلى النطقاء الستة.

والحمل والفصال ثلاثين شهرا أي الاتصال بالحدود الجسمانية وهي اثنا عشر. والشهور اثني عشر: أربعة حرم، بعضها في الأحسام وبعضها خارجها. مقاماتها ثابتة في اللوح المحفوظ الذي انتعشت به أنفس الأشخاص الضالة. ومع ذلك الإنسان قابل للارتقاء في المقامات حتى إذا بلغ الحد الخامس اصبح له من الحدود أربعة حرم. ويكون تسلم الحدود الخمسة السفلية، واتصل به الفيض من الخمسة العلوية حتى يصل إلى حد الثمانية التي هي حملة العرش، عرش الله الأدنى لأنها جسمانية ومثالتها الحدود العالية في

(١) الأسابيع ص ١٥٩،النبوات ص ٤٨/ ٥١، المذهبية ص ٦٤. الكافية ص ٩٠-٩١.

الحضرة الباقية الحاملة لعرش الله الأعلى. ثم يرتقى بالرفعة والكمال إلى حد الأحد عشر وهى بمنزلة القمر إلى حد الشمس. وهى بمنزلة المتم إلى حد الكمال. وروح المتم هو حجاب الشمس. فالفى ض نيل العطاء من أعلى تعويضا عن الأشداد والقحط من أسفل. والحدود والنظام والرقى من أعلى تعويضا عن كسر الحدود والنفاق استتاب النظام من أسفل. وكذلك يتم تفسير السبع المثانى والسبع الشداد على نفس النحو. هناك الأتماء الستة والسابع التمام. وهى موجودة فى العالم البسيط، روحانية لطيفة، وبواطن سبع رجال من الأتماء ترتقى مراتبها. والسابع هو الناطق عنها، وهى السبع الشداد. وكذلك العدد تسعة عشر هى النفس اللطيفة أو نفس الشخص الكامل تلوح بعشرة، وهى الحدود الواقفة على الصراط، والثلاثون شهر. منازل القمر، والابتداء الثانى بالشخص الثانى. وتدور الدائرة على القطب الحقيقى الممتد إلى الثلاثين، والعلة الماسكة للجميع، الصورة البشرية المرتقية فى الوجود. والأربعون الناطق السابع صاحب الكشف القائم الذى تحول من القوة إلى الفعل ليشير له أربعون حدا. تظهر مع قائم الزمان. والأربعون حسنة هى أيضا حجاب المراتب العالية، رفقاء الاسم الجليل [1].

وهناك نشأة أخرى تقوم على الانفصال، خروج شئ من لا شئ دفعة واحدة، مثل خلق السموات والأرض بأمر ﴿ كن فى كون﴾ مع أنها أيضا فى سياق آخر ﴿ فى ستة أيام﴾ ولكن ليس على التخالق أى خروج شئ من شئ بل على الإبداع، خروج شئ من لاشىء. يكون الخلق دفعة واحدة، الأمر والعلم والكلمة [2].

والإمامة جوهر الخلق. فمن أجل التفاوت فى الخلق استقامت أحور العالمين. وان استحالة التفاوت فى الخلق فان ذلك يعنى عدم تفاوت الخلق لما خلق له أى الموافقة بين

---

(١)

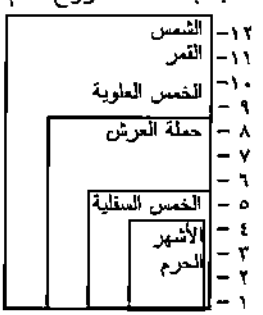

(٢) الينابيع ص ١٢٣/١٥٣، تحفة المستجيبين ص ١٤٧

النطقاء. وكما خلقت السماوات سبعا طباقا يعنى النطقاء السبعة الذين بينهم مطابقة المؤيدين بالأصليين، ومن التأويل للأسس بعدهم. التفاوت استقامة، والسلب إيجاب، والفتق رتق بلغة الصوفى ة. وكما بدأ الخلق بآدم يعود بالقائم. وللحروف دلالة على الخلق فى أمر ﴿ كن﴾، الكاف على السابق، والنون على اللاحق فى دور آدم لذلك يتسم القسم بالحروف، والكتابة أى الخلق[1].

والله هو الفاعل الحق كما هو الحال عند الأشاعرة. وهو قادر على فعل الضدين، الحياة والموت، الموت والبعث، النار من الأخضر. والكلام الأول سبب استقامة أركان العالم وأجرامه وأحواله وليس اختيار الناس. كل شئ بأمر الله. وتظهر الأحاديث كشواهد على أن الله هو الفاعل الحق. فهو الذى خلق القلم، وأمره أن يكتب ما هو كائن إلى آخر القيامة مثل باقى الأحاديث المروية فى علم العقائد التى تجعل السعيد من سعد فى بطن أمه، والشقى من شقى فى بطن أمه. كما أن الله يبعث كما تروى الأخبار مع كل قطرة ملكا ينزلها حيث يشاء. وهو أقرب إلى الخيال الشعبى فى إبداع الأخبار والمأثورات، تشخيص المطر، وقدرة الله، والسائط. بل أن الاستطاعة هو التأييد من الله وليست القدرة من الإنسان[2].

وقد تم إشهاد الخلق ساعة الخلق على التوحيد. لذلك كانت النبوة عاملا منبها أو مذكرة بالشهادة الأولى فى عهد الذر، عهد الست كما هو الحال عند الصوفى ة. الغاية من الخلق الإشهاد ورؤية ما فى التفاوت وما فى النفس. لذلك ضم أصل التوحيد إلى العدل كما هو الحال عند المعتزلة. لا توحيد بلا عدل أى بلا فعل، ولا فعل بلا توحيد. والملائكة مطيعون لأوامر الله وليسوا أبناء له. لذلك طرد إبليس لعصيانه واستكباره.

والإنسان سيد الكون، وأشرف المخلوقات، خليفة الله فى الأرض. تسجد له الملائكة تقديسا لله وتسبيحا له. فعبادة الله تتم أيضا بواسطة السجود للإنسان كما أن الحديث معه يتم أيضا بواسطة ومن ترك الإحسان لمن دونه، والشكر لمن أعلى منه فانه لا يزال فى انحطاط حتى الهلاك. والله هو الميسر للرقى نحو اللذات الروحانية والعقلية والصور النفسية. والإنسان أفضل من الحيوان تركيبا، وأعدل مزاجا وأحسن تقويما. لذلك لزمته أحسن الشرائع والسياسات حتى أ نه ليصعب تكذيبها. فلا فرق بين عالم القدس وعالم

---

(١) النبوات ص ٢٦-٢٧، الأصول والأحكام ص ١-٨-١٠٩.

(٢) المذهبة ص ٣٠-٣١/٣٨/٣٩، النبوات ص ٣١/٥٥-٥٦/٩١/١٣٠، الينابيع ص ٢٧ تحفة المستجيبين ص١٥٠

الإنس، بين عالم الروح وعالم الطبيعة، بين عالم الإنسان وعالم الحيوان[1]. ومع ذلك لا يتدخل الله فى شئون البشر. ولو شاء الله لهداهم جميعا ولكن أكثرهم للحق كارهون.

وللخلق غاية وهو التكليف ثم الاستحقاق كما هو الحال عند المعتزلة فالشيعة والمعتزلة كلاهما من فرق المعارضة. ومن ثم ينتفى العبث والمصادفة والمزاج. لذلك يرتبط الخلق بالمعاد ارتباط البداية بالنهاية. المعاد نتيجة الخلق، والخلق مقدمة المعاد. وبكاء الطفل بعد خروجه من بطن أمه للروح التى فارقت عالمها. فإذا ما لف بالقماط سكت استجابة للمرشد. والمعاد، ثوابا أم عقابا، إلى عليين أو أسفل سافلين. خلق الإنسان من الأن واليه يعود. زمنه يخرج تارة أخرى، دورة بين الحياة والموت. الحياة من الموت، والموت من الحياة ثم الحياة من الموت مرة أخرى. والفهم العامى فهم مادى جسمى، والفهم الأعمق هو الفهم الروحى. فالإنسان خلق من الروح، واليه يعود. تنزل الروح إلى البدن ثم تصعد منه. وهذا هو معنى الموت مرتين والحياة مرتين. ويتفق حكماء الشيعة على مصطلحاتهم مثل الناطق والقائم والأساس، والدور والكور. وهى نفس المصطلحات التى تظهر عند إخوان الصفا مما يدل على صلتهم بالتشيع[2].

٢- **النبوة**. قد تكون النبوة هى الموضوع الأساسى الذى منه تنبثق كل العقائد الأخرى مثل الإبداع والخلق والعدل والإمامة. فالسمعيات أقوى من العقليات، والخيال الشعبى للعامة أقوى من الاستدلال العقلى للخاصة. ويتضخم موضوع النبوة على باقى العقائد لأنها الصورة الأولى للإمامة. النبوة هى الجامعة لكل العقائد. ومن طريقها تتم معرفة التوحيد والعدل والمعاد والإمامة. وتبدو أهمية الموضوع فى العودة إلى مصدر الشرعية ضد اغتصابها من الأموية واعادة عرضها حتى تتحول من شرعية السلطة إلى شرعية المعارضة، ومن إيقاف التاريخ إلى تحريك التاريخ.

وهناك ثلاث مواقف من النبوة. الأول إنكار النبوات قياسا على المحسوس لا على المعقول. إذ أن وظيفتها الكشف عن البعد العقلى فى الشعور. فالرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق، ولابد أن يكون معه ملك أو نذير أو كنز أو جنة يأكل منها وإلا كان رجلا مسحورا. والثانى إنكار النبوات لأنها تقوم على طلب المعجزات وهى من الممتنعات لأن الممتنع ليس من أجل ذاته بل من أجل عجزه عن إظهاره أى لغياب الدليل

---

(١) النبوات ص ٦٣/٦٨/٧٦/٨٥/٩٠، الأصول والأحكام ص ١١٢-١١٣، المذهبة ص ٣٨-٢٩/٤٣. الينابيع ص ٥٩

(٢) الينابيع ص ٨٤-٨٥/١٦٤، المذهبة ص ٤٢-٤٣.

العقلى. والثالث قبول النبوة من عترة النبى والوحى. فقد وضعوا الحق فى موضعه، وتواصلوا معه، فشهدوا الآفاق والأنفس والتراكيب والألفاظ. وشهدت لهم على صدق القبول على بصيرة ويقين. وهو الموقف الذى يقوم على القبول ثم البرهان بالرغم مما فى القبول كما يعرضه الشيعة من تقليد وتسليم وكأن النبوة لها ورثة من آل النبى. فالأدلة أربعة: الآفاق أى الكون، والنفس، والألفاظ، والتراكيب. ويكتبها السجستانى بالهمزة "النبؤة" وليس النبوة تأكيدا على دورها فى معرفة المستقبل. وهى فى "إثبات النبوات" أكبر وأكثر عقلانية من "الينابيع". فلماذا الدفاع عن النبوة واثباتها ضد منكريها؟ ومن هم هؤلاء المنكرون؟ البراهمة، المعتزلة، ابن الراوندى، الرازى المشهورون فى كتب الفرق؟ هل الفكر الشيعى ما زال فكرا كلاميا سجاليا يقوم على إثبات النبوة ضد من يرى فى العقل غنى عنها دون أن يتحول من الكلام إلى الفلسفة، زمن النقل إلى العقل، ومن السجال إلى البرهان؟

ولا يمكن إنكار النبوة والطبيعة تشهد لها كما قال الرسول. فالنبوة علم لدنى، يلقى فى القلب، والدليل عليها الشمس و القمر. فالقمر يستمد نوره من الشمس. والنبى يرتقى إليها صاعدا، راكبا طبقا عن طبق. ويتصل الرسل بالأسماء وهى الصفات كما اتصل بها الجن أيضا. وتتأسس النبوة من جهة الفصول الطبيعية لا فرق بين جماد وحيوان وإنسان، بين أجرام علوية وأجرام سفلية. وكل حيوان له خصلة من خصال النبى. ومن ثم تثبت النبوة من جهة الأعراض الطبيعية. والعرض هو الذى يتوهم رفعه مع عدم فساد حامله. وكذلك النبوة لها أعراض لا تفسدها. ولذلك ثم رفع بعض العادات القديمة مثل شرب الخمر والصلاة إلى بيت المقدس دون رفع حوا ملها. وهذا هو معنى النسخ، رفع الحكم وابقاء المحكوم عليه. وتثبت النبوة أيضا من جهة الحركات الطبيعية واتجاهاتها إلى أعلى أو إلى أسفل، إلى الأمام أو إلى الخلف، إلى الداخل أو إلى الخارج، إلى الطرف أو إلى الوسط، تأييدا ورفعا، هبوطا وصعودا، تنزيلا وتأويلا. وهما حركتا الناطق والأساس، وهذه حركة العناصر الأربعة أيضا طبقا للنقل والخفة. ولما كانت الطبيعة تتحرك ثلاث حركات، إلى أعلى والى أسفل والى الوسط كذلك تتحرك النبوة. ويظل السؤال: هل النبوة حركة طبيعية أم ثورة اجتماعية؟ وهل حصار الثورة فى المجتمع جعلها تمتد إلى الطبيعة والكون لفك الحصار؟ وحركة الناطق موازية لحركة الطبيعة. كما يتشابه القائم مع الزمان، بالساعة واليوم وهما أقل الوقت. فالصور الروحانية لا تحتاج إلى زمان طويل كما تحتاج الصور المادية[1]. لذلك يظهر الله فى كل مكان، وفى كل دين، وفى كل

---

(١) النبوات ص ٤-٥/٩٤/٧١/٩٧/١٠٣/١٠٩-١٣٠/١٣٠، الأسابيع ص ١٦٣.

شريعة. تشهد له النبوة بفردانيته. وصارت الأماكن الطبيعية سخرة للأماكن الدينية. مثل مكة للتجارة والحج. تثبت النبوة بشهادة الفرد وشهادة الخلق. فى العالم الأصغر وفى العالم الأكبر، وتثبت النبوة من جهة الكون والفساد. فكل شئ يكون بفساد آخر من أجل تجديد الحياة وتواصلها. وهذه أدوار النبوة، تجدد مستمر، اتصال وانقطاع. والتأكيد على التغيير والجدة والإبداع ضد الأمر الواقع وثباته فى الدولة السنية. وتثبت النبوة أيضا بحجة التضاد. فالتضاد فى النبوة على ثلاثة أنواع. الأول وقوع الضدين تحت جنس واحد كالصوم للمقيم والإفطار للمسافر تحت شريعة الإسلام. والثانى وقوع الضدين تحت جنسين مختلفى ن مثل صوم رمضان للمسلمين وإفطاره للنصارى واليهود. والثالث اختلاف الجنسين مثل اختلاف الشريعة الإسلامية كلية عن الشريعة النصرانية. فالنبوة ثابتة من جهة الأضداد أو الطبيعية إذا وافقتها مثلا بمثل. فالأضداد برهان وليس الاتساق. وبه ثبت أيضا صحة ديانات الطبيعة مثل كل الديانات الثنوية. وتثبت النبوة أيضا ببعض الأحاديث الحرة كأخباره عن المستقبل فى هزيمة الفرس تنبؤا بحركة التاريخ ومساره. كما تثبت شمول رسالته وبعثه إلى الأحمر والأسود، لأهل الظاهر ولأهل الباطن للإنس والجن. ويقوم بالدعوة لرسالته قتالا حتى يقول الناس "لا اله إلا الله" إحساسا بضرورة الكفاح المسلح ضد أهل الظلم والطغيان دون التفات إلى أنه. ﴿لا إكراه فى الدين﴾، ﴿ من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ وكل من لا يؤمن بمجيء الرسول ويقر برجعته فانه يكون بريئا منه لا فرق فى ذلك بين الرسول والإمام الغائب. والرسول يؤدى رسالته دون أجر فى حديث يشبه القرآن.

وخطاب الرسول يتم بثلاث طرق: الأول الوحى الصريح مثل ما أعطى للنطقاء من حقيقة. والثانى الوحى من وراء حجاب مثل الوحى الى الأسس بالشريعة. والثالث وحى بواسطة الرسل عن طريق الخيال الى المتم من قبل الناطق. وهو تغيير رأس لمفهوم أهل السنة وذلك لتدخل الأئمة فى الأنواع الثلاثة. فالناطق نموذج الوحى المباشر، والأساس نموذج الوحى الذى منه وراء حجاب، والخيال الى المتم من الناطق هو نموذج الوهية الرسالة. وسبب الواسطة تسهيل قبول الرسالة من المرسل الى الرسول حتى لا يقع الزلل فى الايصال بلا واسطة كما أراد موسى فتجل المرسل للجبل فاندك وكالما كان الجبل متوسطا لتحقيق رغبة رؤية المرسول للمرسل. وتتكرر الفكرة، ويتكرر نفس الاستشهاد فى سياق آخر ليس الواسطة بل التبليغ[1].

---

(١) النبوات ص ٦٠-٦٢/ ١٤٩/١٣٣/١٣٨-١٣٩/١٤٣.

والوحى مقروء فى كتاب، والنبوة مشاهدة فى الطبيعة. والشعور جامع بينهما، مسطرة فى الآفاق ومسطرة فى النفس. وعلوم المنطق تنفصل عن عالم النفس انفصال الصور عن المادى. واللغة لغة البيان. فالناطق عن عالم النفس، والأساس معرب عن بيانه. ويوم الفصل هو حد القائم.

واذا ما استقرت الرسالة فى قلب الناطق فانها تنطق باللسان للتبليغ. فتثبت الرسالة فى الجماعة بعد النطق بها وتبليغها ومحبتها وغلبتها. وكلها عواطف انسانية فى الرغبة فى الحفظ فى الصدور بعد أن ضاعت فى الدهور مثل المحبة التى ألقاها الله على صفى ه موسى، والاعتصام بحبل الله الذى مده الله للمسلمين والتأليف بين قلوبهم، ونعمة الأخوة بينهم، والغلبة مثل غلبة يوسف على أخوته ونصرته عليهم. وتتكرر الآيات لاثبات نفس الأفكار مثل حفظ الرسالة فى النطق والطبيعة والمجتمع. فالموضوعات أزمات نفسية يتم التعبير عنها فى تصورات عقلية.

والغاية من التبليغ الاصلاح فى الأرض، والغاية من ظهور النطقاء فى عالم الفساد هو أيضا الاصلاح. فالنطقاء يكملون دور الأنبياء فى كل عصر. كان هذا هو دور موسى وفرعون وسجود قوم فرعون انما كان تسليما. فأفعال الايمان أفعال حرة لا يستطيع القاهر السيطرة عليها. يقرأ علماء الشيعة الحاضر فى الماضى، الصراع بين الحق والباطل، بين موسى وفرعون، بين العلوية والأموية. الرسالة رؤية ثم تبليغ بلغة ولسان للناس[1].

والنبوة محفوظة عن النبى، ولم تبطل بعد غيبته. أقام بحفظها المشاركون له فى النوع، عدد كثير، يجتهدون فى ها. الرسالة ثابتة ليست فقط فى اللوح المحفوظ بل فى قوة موجودة عند نفر من الناس يذكرون عظمة الله وجلاله، وعلو مرتبته، وسمو رفعته وتنزيهه، ويتفكرون فى حال الخلقة من السموات والأرض وما بينهما من أحوال البشر. فلا فرق إذن بين النبى والقائم والناطق والأساس، بين النبوة والامامة، بين النبوة والخلق والامامة واسطة بينهما، بين الحفظ فى السماء والحفظ فى القلب والحفظ فى الكون والحفظ فى التاريخ تعويضا عن ضياع الامامة فى الأرض بعد استيلاء الأموية عليها. النبوة محفوظة عبر الأزمنة، الماضى والحاضر والمستقبل، ان ضاع الحاضر منها لحساب دولة الظلم. وهذا هو الذكر الذى تثبته الرسالة[2].

---

(١) النبوات ص ١٥٣-١٥٤/١٤٨-١٤٩، المذهبة ص ٣٩-٤٠.

(٢) النبوات ص ١٣٤-١٣٧.

والوحى لا ينطق عن الهوى. وهو ليس كلاما فقط بل هو أيضا وجود. فواقعية الوحى هنا لا تأتى من أسباب النزول بل من الكون كله. الوحى ان لم يتحقق فى الوجود لا يكون وحيا. لذلك كان علم الرسول ليس فقط علما بالوحى بل علما بالواقع وبالطبيعة وبالتاريخ. والعلم بالوحى ليس فقط علما بالشريعة بل أيضا علما بالمجتمع والطبيعة والتاريخ. ففى الشريعة تتحول الأفكار الى وقائع، وفى التاريخ تتحول الوقائع الى أفكار. ليس الوحى فقط فى نفس الرسول بل فى الوجود فى كل درجاته، الوجود الأول ثم المعلول الثانى، ثم الجد، ثم الناطق وهو النجم الثاقب الذى يثقب قلوب النطقاء ليثبت فى ها الحكمة والعلوم الربانية كما أن النجم الجرمانى يثقب المواليد لاخراج الصور الجسمانية[1].

يعرف الأنبياء التوحيد. فالذات والصفات هى الحدود الروحانية التى تدل على وحدانية الله. وكل واحد منهم يدعوا الى التوحيد بالاضافة الى صفات هويته وهى صفات الفعل. وهو علم سمعى منذ ابراهيم يتحقق فى الطبيعة، ويمكن الاستدلال عليه منها كما فعل ابراهيم، فتحول من سمعى الى بصرى للايقان بالقلب والفطرة، من سمعى الى بصرى للطبيعة الى قلبى للباطن وربما الى بصرى من جديد وكما حدث للنبى فى سدرة المنتهى وكأننا فى درجات العلم عند الصوفى ة من علم اليقين الى حق اليقين الى عين اليقين. وهو ما أشار اليه القرآن بالسمع والابصار والأفئدة.

والرسل منزهون عن الجور. يزهدون فى الدنيا بعد معرفتهم لها يتسمون بالشجاعة والرحمة بأمتهم بالرغم مما لاقوا من عناء وبلوى، والصدق، وهى من صفات الأنبياء فى علم العقائد. وينطبق عليهم أيضا قانون الاستحقاق. وينالون الجزاء على الأعمال بعد آداء الرسالة كما أجزو أمتهم به وكما وضع المعتزلة قانون الاستحقاق. فاذا ظهرت الخصومات والمنازعات بين الناس ظهر القائم بالحق ليفصل فى ها ويبين للملل ما اختلفوا فى ه. وتشرق الأرض بنور الرب، وتأخذ الطبيعة معنى الحق والنور معنى الكشف. ولكل ملة سمة تعرف بها، ويعرفها القائم يوم الفصل. فالقائم خليفة الرسول.

ولما غلب الباطل على الحق قام أهل الحق بالسكوت والكتمان. وهذا معنى الستر والحجاب، وتحويله من الخارج الى الداخل، ومن الجسم الى القلب، ومن الوجه الى اللسان. فقد نبذ أهل الباطل الشرائع وراء ظهورهم دون أن يتقدم أحد بردهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم أهل الحق. هنا ينظر الى النبوة من خلال الامامة وينقلب

---

(١) النبوات ص ص٦٢/٩٢/٩٩-١٠٠/١٠٣، الأسابيع ص ١٧٥.

الأصل فرعا، والفرع أصلا. وطاعة الرسول من طاعة الله، لا فرق بين الحديث النبوى والقرآن الحر.

٣- **المعاد**. اذا كانت النبية تميل الى الماضى فان المعاد يشير الى المستقبل. لذلك ارتبط الموضوعان فى التاريخ العام قبل أن ينظر التاريخ الخاص فى الايمان والعمل والامامة[١]. وكثير من الأسئلة تدور حول آيات المعاد مثل اليوم والساعة والميقات. والمعاد هى جمع الناس فى ميقات يوم معلوم. يبدأ بالبعث المادى وينتهى بالبعث الروحانى. البعث المادى هو اعادة البشر الذين خلقيا من تراب ونشرهم من جديد. هناك البعث العام عند تمام حروف المعجم وتمام الشهر. ينقض دور الجسم اذا ما انتهى الإتصال بالعالم الروحانى. ليس بعد النفخ فى الصور. وهو ما يأتى به سابع النطقاء والصور الشرعية المحيطة بجميع الشرائع وبعد النفخ فى الصور يصعق من فى السموات. وهم النطقاء وما فى ها من أهل الظاهر، ومن فى الأرض، الأسس ومن فى ها من أهل الباطن الذين ستروا الأمر باستثناء من شاء الله، وهم المؤمنون الصابرون على السراء والضراء. وتتم هذه الكشفة الأولى عل يد القائم. وأما الثانية فهو القيامة، وإشراق الأرض بنور الرب. ومن علامات الساعة شروق الشمس من المغرب، وغروبها من المشرق، وظهور الناس سكارى وما هم بسكارى[٢]. والمعاد الروحانى كشف الحقيقة فى الآخرة كما يتم كشفها فى الدنيا، كشفا للعلم، وكشفا للطبيعة.

ويوم تقوم الملائكة صفا، ويقوم ملك بازائهم. يحاسب الله واحدا، والواحد يحاسب ستة، والستة يحاسبون العباد كلهم. وهذا تفويض للسلطة، واشراك لله فى الحساب. والواحد هو الامام، والنطقاء هم الستة. ويتوارى دور محمد وهو اشاهد على الأمم جميعا بعد أن يشهد كل نبى على أمته[٣]. والملائكة تهبط الى الأرض فى كل ليلة جمعة تقف فى الطرقات، وبأيديها أقلام من فضة وألواح من ذهب. وتكتب الصلاة على محمد الى انقضاء الصلاة كما يروى الحديث. وواضح تدخل الخيال الشعبى بالاضافة الى التأويل. فالملائكة حجج الامام الدعاة، والأرض الدعوة الباطنة، ومالكها الوحى رب الدعوة، وكتابة الملائكة تأكيد الولاية الى أساس الرسول ووحيه. و الكتابة اتصال الوصية بالنبوة والامامة. والصلاة على النبى اتصال الوحى به والأئمة والحدود. والألواح الذهبية الحجج

---

(١) "من العقيدة إلى الثورة"، المجلد الرابع، النبوة – المعاد المجلد الخامس: الايمان والعمل والامامة.

(٢) المذهبة ص٢٩/٣٧-٣٨/٤٨/٥١/٦٦/٧٤، الينابيع ص ١٥٦

(٣) المذهبة ص ٤٥/٨٤، الأسابيع ص ١٧٨.

المؤيدون، والدعاة والأئمة. فالخيال الشعبى الموضوع، والتأويل المنهج. الخيال يضع الموضوع، والروح تؤول بالرغم من عدم الدقة فى التقابل بين الحجج والدعاة. وكل صنف من الملائكة يأتى الله يوم القيامة بمعزله عن حده وقت النفخة الثانية، صف منهم يوم النشور وهم الرسل، وصف وهم الأسس ثم الأئمة واللواحق والأجنحة والمستجيبون وكل من فارق هذا العالم.

وفى المعاد يتحقق قانون الاستحقاق المشهور عند المعتزلة. فمن فضائل البشر إرسال الرسل. ولهم فضائل سبع منها القصاص، ومحبة أصحاب النواميس، والبقاء، والحساب والثواب، واحاطة أهله بما فى ه أهل العقاب. وكلها أقرب الى الواجبات العقلية عند المعتزلة اذ يتوقف حسن المعاد فى الآخرة على صفات النفس فى الدنيا. وثنائية الخير والشر فى المعاد تؤكد على التفاوت فى الخلق. فالمعاد ليس فقط على الأعمال بل على الطبائع والمخلوقات، لا فرق بين الشرع والطبيعة.

وينقد السجستانى فى عقيدة أهل التناسخ، والشيعة أقرب اليها، وجود الأرواح وجودا مسبقا قبل عالم الأجساد. والخلاف فى عودتها الى جسم جديد لأنها ضد قانون الاستحقاق الذى يقوم على الفردية والمسؤولية. بالرغم من بعض الأحاديث القدسية التى يساء تأويلها[1]. كما ينقد القاضى النعمان علاة الشيعة "العلوية" الذين يقولون بالرجوع الروحانى[2].

ويقوم الاستحقاق على قانون ﴿ من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ كما هو الحال فى الاعتزال. فالدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء. ويوم المعاد لا ينفع فى ه الندم والحسرة. ويتحقق الوعد، الثواب والعقاب فى الأرض وفى السماء، فى الدنيا والآخرة، ويتحقق أمر الله. كل مستحق مستوف استحقاقه بحسب درجته. وهذا هو القيام بالقسط. ويصبح الكتاب هو الهيولى السفلى والاستحقاق الصورة العليا والجزاء ثواب أو عقاب، نعيم أو عذاب. وهو جزاء معنوى. وهو أقوى وأشد على الانسان من الجزاء الحسى. الالتذاذ فى عالم النفس بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اذا بلغت النفس غايتها، واستقرت فى هويتها، ورمت بثقلها. وقانون الاستحقاق هو قانون العدل. يختلف الناس فى الشئ الواحد أحزابا وشيعا ولكن المهم عدم الظلم حتى لا يقع الجزاء. واثبات الاستحقاق وقوانينه فى الثواب والعقاب رد فعل طبيعى عن الاحساس بالظلم وأهل الظاهر هم أهل الكلم والنصيحة، ينالهم الأذى، ويؤخذ منهم

---

(١) مثل "الأرواح جلد مجندة من جند الرحمن، ما تعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف."

(٢) الينابيع ص ١٤١، النبوات ص ٢٩/٣٥-٣٦ المذهبة ص ٤٧.

المال فى الدنيا. فاذا ما جردوا سيوفهم مع الامام فلا سبيل الى ايذائهم. والناس على ثلاثة أقسام: المؤمن، والمستضعف، والتائب. وان طالت البلوى والمحن وامسك بالدعاة عن الدعوة، وعظمت المعارضة لها يكون حال الامام مثل شكوى زكريا وضعفه. فالشيب هم المنافقون وسيطرتهم على أهل الباطن، والخروج من المحنة عن طريق الرمز وعدم الحديث للناس[1].

وتنقسم الرسالة الى علم وعمل من أجل الثواب والعقاب. واذا كان العلم منقسما الى ثلاثة علوم: العلم الأعلى وهو علم اللاهوت، والعلم الأوسط وهو معرفة حركات الأجرام، والعلم الأدنى وهو علم الطب والصناعات، وكان العمل أيضا منقسما الى ثلاث: سياسة العامة، وسياسة الخاصة، وسياسة الحاقة. فان الرسالة أوجبت معرفة الله بهذه الأقسام الثلاثة للعوالم وللعلوم. ومع ذلك تظهر الحكمة فى النفس أكثر من ظهورها فى العالم. العلم فى النهاية آلة لقبول الفوائد العقلية والآثار الالهية والوصول الى المقام المحمود والخروج من هذا العالم بالفوز.

العلم والعمل واجهتان لعملة واحدة. العمل بغير علم جهل. فى حين يركز أهل السنة على أهمية العمل تعبيرا عن العلم. فهم أصحاب العلم ويريدون العمل، والشيعة أصحاب العمل ويريدون العلم الراسخ. والايمان التصديق بمحمد وبصاحب القيامة الذب أشار اليه الرسول فى حديثه بالرغم من أن الساعة ليست القائم، والمستوى الأفقى غير المستوى الرأسى. العلم فى النهاية آلة لقبول الفوائد العقلية والآثار الالهية للوصول الى المقام المحمود والخروج من هذا العالم بالفوز ولا يسقط من الأعمال شئ، ظواهرها وبواطنها. وتقبل أعمال الواصلين الذين دخلوا دور الجرم، ويقفون فى بعد الجزاء فى مقابل المنافقين الذين فى الدرك الأسفل[2].

ويتم تأويل الشرائع أيضا الى الداخل، من أفعال الجوارح الى أفعال القلوب كما هو الحال عند الصوفى ة أو الى الخارج المشخص، الى الأئمة المظلومين. وأحيانا يتم النداء الى العمل المعبر عنه الايمان كما تفعل أئمة الظلم دون تأويل. مع أن العلم والعمل من نفس المصدر، ونفس الاشتقاق، ونفس تكوين الحروف مع التبديل، اللام قبل الميم فى علم، والميم قبل اللام فى عمل. وكلاهما يبدآن بالعين مع تأويل "الملم الطيب" بانها الطائف الراجعة الى عالمها. فلا فرق بين الكلم والوجود. والايمان هنا بالأئمة بعد

---

(١) المذهبة ص ٢٩/٣٧-٣٨/٤٥/٧١-٧٩، الينابيع ص ١٣٨

(٢) النبوات ص ١١٩-١٢٠/١٢٢-١٢٣، المذهبة ص ٦٤/٢١/٦٤/٧٦.

تسميتهم بأسمائهم. والسبيل الى استطاعة حج البيت ليست الوسائل المادية بل العلم والايمان الحى المقرون بالعمل غير الايمان المذموم الفارغ من أى عمل.

وأفضل الأعمال الصلاة. وهى نظرة شرعية فقهية عادية لا تأويل فى ها بما فى ذلك الصلاة الوسطى. والحج أيضا نظرة شرعية فقهية. والجديد فى التفسير لا يوجد دائما، بل يكون مجرد مقدمة عادية يأتى بعدها الجديد حتى يبدو التأويل الجديد مشوقا مسترعيا الانتباه أمام التفسير القديم وبارزا وحتى لا يمل القارئ وينفر ويخاف من كثرة الجديد وحتى يرتبط بذاته، ويقبل الجديد خارجا من القديم، وليس متصلا به وليس منقطعا عنه. والركوع والسجود هو الأساس أى الأمر باقامة الظاهر لصاحب الدور وأن الباطن حجته. وغسل الوجه هو الاقرار بالناطق، واليدان طاعة الوحى والمسح على الرأس الاقرار بالسابق، والمسح على الرجلين الاقرار بمعرفة الأصلين والصيام هو الستر والكتمان كما فعلت مريم[1].

وأحيانا تكون أركان الاسلام أو الشرعة لا جديد فى ها وعلى ما يألفه الناس كبداية وليس كنهاية وكوسيلة للدعوة، والبداية بالمألوف والانتهاء بالغريب. الشهادة مفتاح الجنة والشرك على وجوه ستة. منه ما يكون أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء. وأكبر درجات الشرك جعل الله شركا فى ملكه أو معينا فى قدرته أو مشيرا فى أمره. وأقرب ما يكون العبد الى الله ساجدا. الصلاة عماد الدين ومن لا صلاة له لا دين له. الصلاة زاد، شفع ووتر، والوتر تفرد. وصلاة ركعتين من عالم منقطع خير من خمسين ألف صلاة. تضمن الصلاة ستة اركان: الوقوف، والتكبير، والركوع، والسجود، والتحميد، وسابعها النية. وكلها إشارات الى النطقاء الستة. وقد يكون لهذه الاركان الستة معانى أعمق. فالتكبير تلاوة العلم، والركوع حد الأساس، والسجود حد الناطق، والتمجيد الحدود العلوية، والتسليم درجة الاجلال. وكل صلاة لا يقرأ فى ها أم الكتاب فهى خداج. وأم الكتاب هو الحمد لأن جميع الحدود موجودة فى ها. الحمد فى ه سبع آيات، وخمسة وعشرون كلمة، ومائة وخمسون حدا، معرفتها كلها شرط الصلاة وليوم الجمعة فضل خاص كما تدل بذلك أحاديث الرسول. الجمعة وحدها ممثول الناطق. واذا كانت الدواب مشفقة من يوم الجمعة فانها تشير الى أولياء الله وحججهم ودعائه كما أن الدعاء يوم الجمعة مستجاب. والحدود ثلاثة، تحريم الخمر لأنها نصب للمكائد كما وكز موسى، والسحر المذموم، والملك المذموم، ثم تحريم الميسر، ثم تحريم الأزلام

---

(١) المذهبة ص ٣٠-٣٥/٥٧/٦٨/٨٢-٨٣/

والأنصاب. والدعوة للمتعة بالنساء مطلقة ولكنه زالت بالنكاح كما قال الرسول بأن النكاح بخمسة، زوج وزوجة وولي وشاهدين، بكل ما توحى به العدد خمسة من رموز.

٤- **الامامة** والعجيب ان الامامة ليست موضوعا ريتسيا مستقلا فى الفكر الفلسفى الشيعى وهى مرتكزه، الأول فى علم الكلام. ومنكان الصراع قائما حول ألوهية الأئمة[١] ومع ذلك فتبدو الامامة منتشرة فى نسق العقائد كله، فى التوحيد والعدل، لب العقليات، وفى النبوة والمعاد لب السمعيات. ولا تظهر كموضوع شرعى حرفى كجزء من شرعيات. فهى من الأصول وليست من الفروع.

والطاعة للأئمة واجبة مثل طاعة الأنبياء وكما هو الحال عند أهل السنة طاعة الخلفاء والأمراء، طاعة السلطة وطاعة المعارضة، سلطتان تتنافسان على نفس الجمهور دون جعل طاعة الحكام مشروطة بطاعة الله، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فى كلتا الحالتين.

وكما أن النبوة متوارثة فى المصطفى ن وذريتهم كذلك الامامة تكون فى نفس العقب. وتجتزئ الآيات التى توحى بتوالى الأئمة والذرية وكأن القرآن شيعى المذهب مع أن النبوة ليست وراثة والخلافة مشروطة بالصلاح فى الأرض وليس بالنسب. لقد نصب الله الرسول ووصيه واقامة عن أمر ربه، وأخذ عليهم البيعة لهم، وأعلم أن أمير المؤمنين مولاهم. فاتمام الاسلام بولاية الوحى وطاعته. بل أن الدواب هى أيضا أولياء الله وحججه ودعائه. فالبداية أو الجناح حجة، والطائر الداعى، هو الطائر الذى نفخ فى ه عيسى الداعى من قبل الامام وكذلك هو الهدهد فى قصة سليمان. التفسير الحرفى للدواب بأنها حيوان تفسير سطحى للجهال. لدى اذن احساس حاد بالدعوة والرسالة لمقاومة الظلم وتحقيق غاية الانسان والمجتمع والطبيعة والتاريخ[٢].

والفتح على الرسول فى القائم على ذكره وعلى أيدى خلفائه قبل ظهوره. ومنهم حجته. فالفتح قادم ولم يتم بعد. والقيامة فتح بهذا المعنى لأنها كشف عن الحقيقة والنطق بعد النبوة، والجدار الذى يريد أن ينقض أى ينطق بالقوة التى أتت بعد اتصاله بالنبوة. ومادامت الآية تتحمل التشخيص وتصف الجماد وكأنه كائن حى فلا فرق بين ظاهر الآية

---

(١) رد حميد الدين الكرمانى على حسن انفرغانى الذى قال بألوهية الحاكم بأمر الله فى "الرسالة المواعظية" وحاول اثبات الامامة كواقع كون لابد منه بالأدلة والبراهين والحجج بالنصوص العبرية والفارسية والسريانية من الكتب السماوية فى "رسالة البشارات" و"رسالة المصابيح".

(٢) المذهبه ص ٨٥/٣٠-٨٧ ، الأصول والأحكام ص١٢١ ونسبة فلسفات الغرب الفانية خامعة منشته.

وتأويلها بتحقيق مناطها. ويتم تحرج المناط بلا دليل من لغة أو حس أو عقل.

والمستودع مثل يوشع بن نون وصلته بولد هارون. والبقرة الصفراء تعنى العلم. والقاقع يعنى المسارعة بالتأييد. والناظرون هم غير الأئمة، والشعائر يعنى عدم كشف حدود الله، والشهر الحرام هو الناطق، والهدى كشف الأساس، وهو بداية الخلق، والقلائد هم الأئمة المستورون القائمون بظاهر الناطق باطن الاسلام بعدهم لأنهم هم الذين يقلدون الناس العهود والمواثيق والأمون البيت الحرام. هو القائم. وهذا كله نوع م تخريج الناطق على المذهب وليس على العقل[1].

والباب دليل على الأساس كما وصف الرسول نفسه بأنه مدينة العلم وعلى بابها. والباء دليل على الامام لأنها حرف نداء فى أوله الكلمة وحرف النسبة فى آخرها ولأن النسبة الروحانية متصلة به من جميع الحدود عند الكشف. والباب الواحد دليل على الأساس.

والقائم وهو الرسول، مالك لجميع الحدود كلها. وكل النطفاء والحدود والأولياء والنخباء موقوفون لظهوره. القائم هو الذى يثيب ويعاقب الثواب الأكبر والعذاب الأكبر. واليوم ظهور بالقائم فى الصورة الروحانية فى النفخة الثانية، يوم فصل القضاء [2].

كما أن لكل أمة نبيا كذلك لكل قزم إمام. وكما تدعى كل أمة مع نبيها كذلك يدعى كل امام مع قومه. واذا كان الرسول قد اشار الى السبعة أئماء، ثلاثة منه وأربعة من غيره فالثلاثة ولده وولد ولده، والأربعة من غير عصره ولا ذريته، الأحدث والمختلس وأخ المختلس والقداح. وربما هم الدعاه واضعوا رسائل أهوان الصفا. وكيف يعقل أن يشير السول الى أخوان الصفا وقد أتوا بعده؟ وكيف يكون لرسول ذرية وليس له ولد والذرية من البنات على غير عادة العرب؟ وكيف تكون الامامة من خارج ذرية الرسول، وهى الأكثر، اربعة من سبعة؟ وماذا تعنى الألقاب: الأحدث والمختلس والقداح؟ واليس لأخى المختلس اسم؟ هل لهذه الألقاب دلالات على الحالة النفسية والاجتماعية للمضطهدين بالرغم من أن البعض منها سلبى مثل المختلس حتى ولو كان لحقيقة والعلم. وكلهم عبد الله انتسابا الى الله. وكما قام محمد بمبادئ شارئع من تقدم قبله فالأئمة من بعده متممون الشريعة ومحيون السنة. فالأمامة متممة للنبوة وكاشفة لها مثلما كانت آخر مرحلة متممة وكاشفة لما قبلها.

---

(١) المذهبة ص ٦٦/٦٨/٨٢، الأصول والأحكام ص ١٢١.

(٢) الأسابيع ص ١٧٨/١٦٤.

بل أن علاقة الأنبياء بعضهم ببعض هى علاقة إمام بامام. فالامامة منطق النبوة. اسماعيل واسحق امامان بعد ابراهيم، من ملة واحدة. تجوز عليهما على التبادل، ولكنها فى أولاد اسماعيل لأنه هو القواعد التى رفعها ابراهيم وجعلها فى عقبه. وصاحب العصر، وناطق الوقت هو رسول مريم الذى أعطاها التأويل ما لم يصل الى زكريا وهو رسول الامام وداعيته. لاتهم كثرة أضداده اذ تدل الكثرة على الأمل المستمر والجهاد المتواصل وكثرة الخصوم. وقد اجتمع بها رسول الامام خزيمة وبشرها بظهور المسيح[1].

وكما أن الأئمة ورثة الأنبياء فان النطقاء ورثة الأئمة. وكما أن لكل نبى اماما فان لكل امام ناطقا. والدليل على أن الزمان على حد الناطق ومضاف اليه اتفاق الناس على القول بالزمان الصالح والزمان الفاسد. ليس المراد بالفاسد حدة مرور الشمس والقمر والحركات العلوية لأنها طبيعية وليست أخلاقا، موضوعا وليست وصفا بشريا، ولكن المراد ظهور الناطق فى العالم الجسمانى الذى به صلاح النفس فى معادها، والزمان الفاسد ظهور الضعف الذى يصد الناس، وهو فساد الأنفس فى معادها. وهو معنى اشارة الرسول الى استدارة الزمان كالهيئة وقت خلق السموات و الأرض أى ظهور حده وشريعته وتنزيله الذى يجمع حدود الخلق، وخلق التراكيب. هناك تبادل بين الطبيعة والشريعة، بين الكون والامامة، بين أدوار الأنبياء ودورات الأفلاك. وكلاهما فى الزمان.

ويستمر النطقاء فى الآخرة كما كانوا فى منزلتهم فى الدنيا. القائم هو الذى يثيب ويعاقب، الثواب الأكبر والعذاب الأكبر. واليوم المعلوم يوم ظهور القائم فى الصور الروحانية فى النفخة الثانية يوم فصل القضاء. ثم يظهر أهل المقامات حتى توفى كل نفس ما كسبت دون ظلم. وهو ما تقوله المسيحية فى المسيح الذى يحاسب ويعاقب أيضا فى الآخرة. فالظلم الذى وقع على الامام وعلى المسيح واستشهادهما ومصيرهما واحد.

وتنتهى النبوة والوصاية والولاية والامامة تبدأ. النبوة للماض والولاية للمستقبل حسب زمن الأفعال فى اللغة العربية. تعنى نهاية النبوة وختمها أن الشريعة لا تنسخ ولا تتبدل ومع ذلك باقية فى عقبه بتفويض من النبى الى الولى. وهو ما يتناقض مع مسؤولية العالم فى الحفاظ على تطبيق الشريعة وبصرف النظر عن عقبه ونسبه[2].

ويكون التأويل تحيينا أى تطبيقا للنص على الأئمة، على وبنيه، كنوع من تحقيق

---

(١) الأصول والأحكام ص ١٤٠/١١٢/١٢٢-١٢٣/١٢٥-١٢٣/١٢٩-١٣٠.

(١) النبوة ص ١٠٥، المذهبة ص ٧٤-٧٥/٨٠/٨١.

المناط فى علم أصول الفقه. الواقع فى أزمة، والأئمة مضطهدون ومستبعدون. ومن ثم يأتى النص تحريرا لهم وتأكيدا على سلطتهم. الأنفس فى القرآن تشير الى النطقاء السبعة، والمهدى وهو أحدهم هو المسجد الأقصى الذى يعبد فى ه الله كما هو الحال عند اليهود. فالاضطهاد والتفوق بنية نفسية واحد للمظلوم والظالم. وقد يكون التعيين للأماكن كما هو للأشخاص. فالأئمة أصحاب القدس. قلة مؤمنة، أفضل الخلائق. التأويل يرد النص الى الذات لاثباتها والدفاع عن حقوقها وكأنها هى سبب نزول النص، ولزعزعة الشرعية عن الذى يعتمد على نفس النص. الغاية تفريغ النص من مضمونه القديم وملئه بمضمون جديد يقوم التأويل على تحقيق المناط، على وبنوه.

وتؤول الطبيعة أيضا على الأئمة. فالجوار المنشآت فى البحر كالأعلام لا تعنى الألواح والسفن بل ما قاله جعفر بن محمد من ضرورة الخلف للسلف، والامامة للنبوة، والصامت للناطق والأساس للقائم. وتقوم حركة التأويل على تحويل مسار الآية اما الى الوراء الى الأئمة أو الى الأمام نهاية العالم، والمام المنتظر، أو الى أعلى ، عالم الأجرام السماوية والكون أو الى أسفل والطبيعة. الآية ممثل فى حاجة الى ممثول.

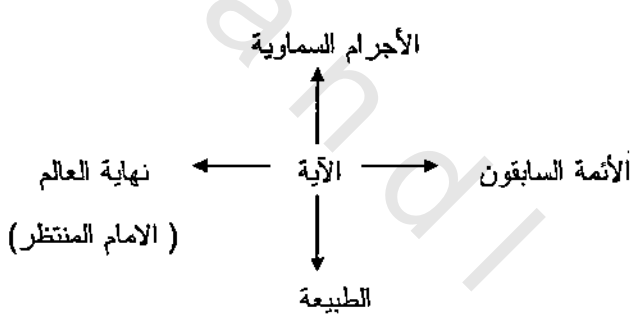

والسؤال هو: هل التأويل يأتى من داخل النص موضوعيا أم من خارجه ذاتيا ويتم ملأ النص به؟ وتتوقف الاجابة على تصور النص هل هو شكل أو مضمون؟ هل مهمة المفسر إخراج المضمون من النص أم أن النص مجرد شكل يأتى مضمونه من الخارج كما تفعل الشيعة صراحة وربما السنة ضمنا بدعوى موضوعية التفسير طبقا لأسباب النزول وقواعد اللغة العربية. وقد قيلت مثل هذه الأحاديث فى عديد من الصحابة. كانت عادة الرسول مدح أصحابه ثم يتم تحقيق المناط فى الشخص إذا كان الحديث عاما عن المسؤولية بعد النبوة. وان أشار الرسول إلى شخص من خارج البيت فانه يشير إلى الحد

الجليل والنفس المستودعة فى دور القائم.

ويتم تفصيص آية النور بنفس الطريقة. فالله نور السموات والأرض جمعت دور محمد وشجرة النبوة التى تمتد من الحدين العلويين حتى شجرة طوبى فسدرة المنتهى. والزيتونة المباركة القائمة بالحروف الروحانية والحدود الجرمانية والجسمانية. والنور هو الناطق والأساس. والمشكاة فى المصباح هى الوصية. والمصباح فى زجاجة أى سر النفس فى النفس الكلية. ويوقد أى ما ظهر أى ما يوقد من فاطمة وولدها إلى القائم. والشجرة التى لا هى شرقية ولا غربية بل كونية الهية قدسية أزلية تجمع النطقاء والأسس والأئمة واللواحق والأجنحة والمأذونين والمستجيبين. والمشكاة ظهور الشمس. والمصباح المضئ اسم النبى. والقنديل الزجاجى كنية عن اسماعيل. والكوكب الدرى عبد المطلب. أما السابع فهو القادم من المغرب صاحب الهجرة المصرية، الامام المعز لدين الله الفاطمى. وينتهى الأمر إلى تبرير السلاطين والحكام وكأن القرآن قد ذكره وقد أتى بعد نزوله، وبالتالى يمكن تطبيق الآيات على كل إمام. ويمكن كما فعل البعض فى جعل رزق ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا﴾ أى شخص يدعى رزق. وواضح الجو الصوفى. فهى الآية الأثيرة عند الصوفى بن. الامام يشرق من المغرب وليس من المشرق كما هو الحال فى الفلسفة الاشراقية وعند الحكماء المشرقيين. تحارب الشيعة بنفس السلاح السلطان الذين يدعون للامام السنى على المنابر. كل فريق يطبق الآية على إمامه، ويجعل الأضداد وخصومه والأولياء أنصاره، نصا بنص، وسلاحا بسلاح كما يحدث الآن فى معارك النصوص التى لا تنتهى طالما بقى الصراع الاجتماعى قائما. مثل ﴿الله نور السموات والأرض مثله كمثل مشكاة فى ها مصباح، المصباح فى زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة، لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدى الله بنوره من يشاء. ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شيئ عليم﴾

وكل نبى مع ناطق مثل موسى وهارون ومحمد وعلى. لقد قرن الله الوحى الناطق بالدور الصامت وكما عبر عن ذلك فى قصة نوح وموسى ومريم. صنع نوح الفلك بأعين الله وصية. والذين مع محمد على، شديد على الكفار. والرحماء بينهم الحسن والحسين، وهما من الأتماء بعد الوصاية. والركع السجد زين العابدين والباقى. والذين يبتغون فضلا من الله ورضوانا الصادق واسماعيل. والزرع الذى أخرج شطأه الذين لم يكن لهم نظير. والمؤازرة حيازة الامامة، والاستغلاظ تقوية الظهور على الأعداء، الثالث من المستورين

الذين نشروا الدعوة. والاستواء على السوق أى الامامة. وإعجاب الزراع أى المستجيبون. واغاظة الكفار بظهور المهدى. والوعد للذين آمنوا بظهور القائم، وهو نهاية النطقاء وعلة الأوصياء[1]. يخرج الشيعة المناط على الأوصياء تأكيدا للواقع التاريخى، وتثبيتا للخراصين، وإقالة للظالمين. فالتعيين ضد الظلم. هناك آيات نمطية عند جميع حكماء الشيعة مثل ﴿محمد والذين معه﴾ وآية النور المشهورة عند الصوفى ة، يتم تقطيعها، وتطبيق كل عبارة منها على أحد الأتماء لتخريج المناط مجسما مع أن الآية صورة فنية واحدة لا تنطبق على أحد بعينه. ولا تضمن أحكاما بل تعطى دلالة عامة لكل موقف دون تعيين أشخاص. ولكن الضياع جعل حكماء الشيعة يقرؤون أنفسهم اسما ووصفا فى النص، وتترك باقى الآية بلا تفتيت ربما لصعوبة فى ايجاد الشخص المطابق.

وفى التاريخ نفسه خارج الوعى التاريخى هناك خلاف بين الشيعة أنفسهم فى ذرية الأئمة. أنكر البعض إمامة أولاد إسماعيل بالرغم من نص النبى عليها ولو ببعض التأويل. يعكس الفكر الفلسفى الشيعى الخلاف فى ه، أهل الظاهر وأهل الباطن، العامة والخاصة، المعتدلون والمتطرفون. وحديث الذرية قد يوحى ببعض العرقية أو الشعوبية أو القبلية، يختلف فى ه الناس على عكس اتفاقهم فى العلم والفضل وباقى القيم الانسانية العامة. قد تكون الأحاديث ضعيفة ولكنها تؤول طالما أنها تتفق مع المذهب وتؤيده. فالنص بصرف النظر عن صحته التاريخية يعطى الشرعية النفسية للأزمة السياسية والاجتماعية للمضطهدين. وكثير من الأحاديث التى يذكرها الشيعة ضعيفة أو موضوعة مثل الأحاديث عن الوصاية بعده ثلاثة منه وأربعة من غيره حتى يتم النطقاء إلى سبعة. بل يذكر البعض بالأسماء مثل سلمان وعلى[2].

ومع ذلك فان نسق العقائد عند الشيعة أكثر ثورية من النسق الأشعرى. ويعتمد فى التوحيد والعدل على أصول الاعتزال. فالتشيع والاعتزال من عقائد المعارضة فى مقابل عقـائد الأموية. وقد انضم بعض المعتزلة إلى ثورات الأئمة ضد الحكم الأموى وتعاطفوا معهم، والصلة بين أبى حنيفة وجعفر الصادق، بين أهل الرأى والتشيع، صلـة تاريخيـة

---

(١) هذا تفسير آية ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار، رحماء بينهم. تراهم ركعا سجدا، يبتغون فضلا من الله ورضوانا. سيماهم فى وجوههم من أثر السجود. ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الأنجيل كزرع أخرج شطأه فآزر فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ (٢٩:٤٨). الأصول والأحكام ص١٢١-١٢٧.

(٢) الأصول والأحكام ص ١٢٧، المذهبة ص ٦٤/٥٩/٥٢.

وليست فقط ألفة فكرية. ربما كانت ثورة الشيعة أكثر فاعلية ضد السلطان من ثورة المعتزلة. فثورة الشيعة تجربة حية ودم، تهدف إلى تغيير نظام الحكم. فى حين أن ثورة المعتزلة استثارة عقلية درءاً لمخاطر المواقف المتطرفة، بحثا عن المنزلة بين المنزلتين.

٥- **تاريخ الأديان.** ارتبط الفكر الشيعى بتاريخ الأديان المقارن نظر لبحثه عن الأصول الأولى التى يمكن أن يستند اليها فى مواجهة أهل السنة. فالأنبياء أقوى من الخلفاء والأمراء، والأئمة ورثة الأنبياء. وفى قصص الأنبياء وانتصارهم على خصومهم خير شاهد على انتصار أئمة آل البيت وهم من نسل الأنبياء على خصومهم فى السلطة، مثل انتصار موسى على فرعون. وتاريخ الأنبياء يصب كله فى غاية واحدة، انتصار الحق على الباطل، والعدل على الظلم فى مقابل حديث "الفرقة الناجية" وجعل أهل السنة هم أهل الاستقامة والحديث، الفرقة الناجية وكما فعل السجستانى فى "اثبات النبوات". ولا ينفصل تاريخ الأديان المقارن عن فلسفة الدين نظرا لأن جوهر الأديان واحد، ويرجع الخلاف بينها فى التصورات واللغات وأشكال الشعائر وليس فى التوحيد أو العدل، وهى الأصول العقلية التى يقوم عليها كل دين.

وقد لجأ الشيعة لتاريخ الأديان لعدة أسباب منها:

١- البحث عن العمق التاريخى لزعزعة النظام السياسى الحاضر، فى ثقافات الشعوب التى تحولت إلى الاسلام، اعتمادا على الثقافات الوطنية للشعوب، خاصة وأن الثقافة الوافدة كانت أحد عناصر ثقافة البلاط[١]. فلا يقوى على الحاضر إلا الماضى. ولا يزحزح النظام الاجتماعى إلا التراكم التاريخى.

٢- الحاجة إلى ثقافات جديدة تساعد على التأويل من أجل نزع الشرعية عن تأويل السلطة. وتاريخ الأديان أكبر رصيد لتأويلات الفرق ولتجارب الأمم السابقة.

٣- البحث عن تصورات جديدة لبناء عالم ثقافى جديد يشعر فيه الناس بالسعادة خارج العالم الأرضى الذى تسيطر عليه دولة الظلم، وبالتالى إنشاء مدينة فاضلة جديدة بل وفرق تمارسها مثل إخوان الصفا.

وتاريخ الأديان مصدر داخلى موروث من تاريخ العرب قبل الاسلام فى العصر

---

(١) وذلك مثل الفارابى ودولة بنى حمدان، ابن سينا ودولة بينى بويه، والغزالى ونظام الملك، وابن رشد ودولة الموحدين.

الجاهلى مثل ديانات العرب أو اليهودية والنصرانية أو ما وجد منها فى فارس قبل الاسلام بعد أن فتحها المسلمون أو بعد الاسلام مثل الفرق الاسلامية بما فى ذلك فرق الشيعة أو المتنبون. وهى ديانات وثقافات الشعوب التى دخلت الاسلام، عربية أو عجمية والتى سميت فى كتب المقالات، الفرق غير الاسلامية. فهى أقرب إلى الموروث منها إلى الوافد بما فى ذلك الموروث الفارسى. بل أن الوافد اليونانى يعتبر موروثا عربيا فى الشام بعد أن تم نقله إلى السريانية. ولما فتحت الشام أصبح موروثا ثقافيا عربيا مثل ديانات فارس وديانات العرب قبل الاسلام[1].

تاريخ الأديان مصدر داخلى للفكر الفلسفى الشيعى وليس مصدرا خارجيا نظرا لاعتمادهم على الموروث الثقافى الشعبى. والثقافة الشعبية أقرب إلى الجماهير من ثقافة الخاصة، ثقافة البلاط التى ساد فيها الوافد اليونانى. ومن السهل تثوير الثقافة الشعبية، الموروث الدينى لأنها حية فى قلوب الناس ضد ثقافة الخاصة، الوافد اليونانى. فالفرق غير الاسلامية بتعبير علم الكلام هى فرق إسلامية بمعنى أنها نشأت فى بيئة إسلامية وعلى اتصال تاريخى بالاسلام مثل الصابئة، دين آل إبراهيم، واليهودية، والنصرانية، وديانات العرب قبل الاسلام، وديانات فارس. ولم يكن للروم ديانات فى شبه الجزيرة العربية غير النصرانية.

ويمكن التمييز بين سبع فرق على الأكثر:

١- الديانات الفارسية مثل الثنوية، والمجوسية عبدة النيران، والزرادشتية، والبهافريذية، والمزدكية.

٢- الديانات العربية قبل الاسلام مثل الصابئة أى عبادة الكواكب، وعبادة الأصنام والآثار أى الشرك.

٣- اليهودية وفرقها وكتبها المقدسة.

٤- صرانية وفرقها مثل الديصانية والمرقونية.

٥- الفرق الاسلامية مثل المرجئة، والجهمية، والتناسخية، والقدرية، والرافضة، والحرورية، والحنفية، ويحكمها جميعا الفعل ورد الفعل.

٦- الشيعة وفرقها مثل العلوية وأئمتها على بن أبى طالب، وجعفر الصادق، وعلى زين العابدين.

---

(١) يظهر الوافد الشرقى فى النبوات والمذهبة على النحو الاتى: أسفارى(٢)، أرمخشد، غابر(١).

٧- المتنبئة مثل مسيلمة، وطلحة، والقطرى[١].

وإذا كانت النبوة مقياس التصنيف تصبح الملل عند السجستانى أربعا: اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والاسلام، ثم تختلف بعد ذلك فى الأنواع الدينية. وهنا تبدو الديانات والثقافة الوطنية فى فارس القديمة كأحد مكونات الفكر الفلسفى عند الشيعة.

كما يظهر التشيع فى جعل القائم هو الذى يفصل بين الفرق الاسلامية وليس العقل أو الواقع أى المصالح العامة لما كان النقل مختلفا عليه. وكلهم إلى رسول الله منتسب، استبدال سلطة بسلطة، سلطة المعارضة بسلطة الدولة السنية، إمام الشيعة بفقيه السلطان.

وكما أن عند أهل السنة حديث الفرقة الناجية الذى يجعل فرق الأمة الاثنين وسبعين كلها ضالة باستثناء واحدة منها الثالثة والسبعين هى الناجية وهى فرقة السلطان يبين الشيعة أن فرقتهم هى أيضا الناجية لأن السعادة والعز والرئاسة لا تكون إلا من جهة الرسل، ولا يوجد علم إلا من جهة الرسل، وان رؤساء العالم كلهم الذين بأيديهم الأحكام والملك جارون تحت أحكامهم، براهمة وسوابدة وأساقفة وجواليت وعلماء وفقهاء.

وتتراتب الملل والشرائع فيما بينها على هيئة الأنواع والأجناس مثل الملل الست. ويتم الانتقال من الطبيعة إلى الشريعة، ومن الشريعة إلى الطبيعة، من الخارج إلى الداخل، ومن الداخل إلى الخارج. فالحق بالحق، وإقامة الحدود بالحق للخلق. الخلق والحد يقومان على أصل واحد وهو الحق.

والرسالة عقل له حدود أربعة مثل الجهات الأربع، الشرق والغرب والشمال والجنوب. حدها الشرقى خصوص الرسالة بتأييد السابق. وحدها الشرقى ما اطلع على سرائر التراكيب. ومن شمالها تأليف الشريعة. ومن جنوبها إقامة الأساس للتأويل [٢].

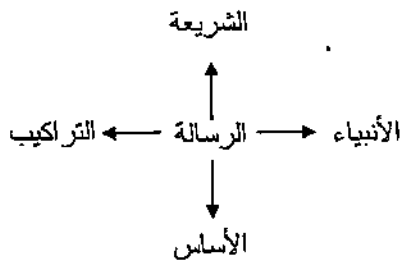

(١) لا يذكر السجستانى الفرقة السابعة ويكتفى بالست الأولى ربما لعقيدة استمرار النبوة فى الامامة عند الشيعة، النبوات ص ٨٧-٨٩/١٤٢.

(٢) النبوات ص ٨٧/١٠٧/١٢٥-١٢٦.

أ- الثنوية. وهو اللفظ الجامع لكل ديانات فارس التى تقوم على الثنائية المتضادة بين الخير والشر، النور والظلمة، الحق والباطل. ويعرضها السجستانى مع نقد لها ورفض لعقائدها دفاعا عن التوحيد، ورفضا لانتصار الخير على الشر أو لمساواة الشر للخير أو للوجود وليس التوحيد الذى يجعل الخير هو الأصل والشر طارئا عليه من فعل الانسان وسوء حكمه وتقديره واتباع أهوائه وغوايته كما حدث لآدم. ويتم تفريع فرق الثنوية على هذا الأساس ورفضها جميعا، وضع الشر فى مقابل الخير على حد المساواه مثل الثنوية، أو جعل الشر (الهرمزد) هو الأصل وليس الخير (الأهرمن) مثل المجوس، أو إضافة الشر إلى المبدع وجعله أزليا مع الخير مثل الهاقريذية. وهلاك الشر بالخير ممتنع لأن الشيئ الأزلى لا يهلك. فوقع الدين كله كمذهب فلسفى فى تناقض.

وتشارك فرق الثنوية الديانات الأخرى فى بعض العقائد والشعائر مثل أسماء الله والحج. إذ يذكر المسلمون والنصارى واليهود والمجوس والصابئة أسماء الله ويدعونه بها. ولكنهم عرفوا الظاهر دون الباطن، والاسم دون المعنى، والمثل دون الممثول. والحج فى الاسلام قصد بيت الله الحرام مثل بيت المقدس عند اليهود والنصارى، وبيوت النيران عند المجوس، وهياكل الأصنام لعبدة الأوثان.والصيام عند المسلمين واليهود والنصارى والزمزمة للمجوس [1].

ويعترض السجستانى على هذه الديانات بأنها ديانات طبيعية وليست ديانات وحى ما دامت الحجة فى الدين تبعية القوم الكثير لرؤساء الملل. ولا يعتبر السجستانى مانى وزرادشت وبها فريد ومزدك وديصان ومرقون وغيرهم أنبياء أو رسلا. بل هم من المتنبئين. لم يتنهوا إلى شيئ باستثناء زرادشت الذى وضع كتبا فى عمارة هذا العالم يميل فيها إلى الشهوات الحسية، ويؤجر عليها صاحبها ويثاب. فاذا ما انتشرت هذه الدعوة أتت بالفضائح وأدت اليها. الرسالة إذن نوعان: نوع مخترع وكاذب ومبتدع مثل ديانات هؤلاء ونوع صادق مثل دين الاسلام لولا أنه انحرف على أيدى أهل السنة وجاء الشيعة لتصحيحه. ديانات الطبيعة باطلة، وديانات الوحى حقة، وكأن الدين الطبيعى خال من العقل والفضيلة، والوحى نفسه يقوم على العقل والفطرة أى الطبيعة. فى حين أن أهل السنة يضمون فلاسفة اليونان إلى زمرة الأنبياء ﴿ منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾، ﴿ وان من أمة إلا خلا فيها نذير﴾. وإذا كان الفكر الفلسفى الشيعى نفسه يقوم على ثنائية الخير والشر، العدل والظلم، الشرعية والتسلط، الثورة والسلطان فلماذا إخراج أنبياء

---

(١) الينابيع ص ١٣٠/١٧٨، المذهبة ص ٢٩/٤٨.

الشرق من زمرة الأنبياء كما أدخل أهل السنة فلاسفة الغرب فى حظيرة الأنبياء؟

وتشارك فرق الثنوية، الزرادشتية، والمزدكية والبهافريذية والمانوية بعض فرق النصرانية مثل الديصانية والمرقونية فى نفس النقد. فرؤساء هذه الفرق زرادشت ومانى ومزدك وبهافريذ وديصان ومرقيون قد اخترعوا لأنفسهم مللا وشرائح الزموا الناس بها فصاروا لهم تابعين أكثر من تبعيتهم للدين. مأساة الدين رجاله. لا يوجد رسول من الله يطالب الناس أن يكونوا له تابعين لدرجة اشتقاق اسم الدين منه وكما يقول المستشرقون المعاصرون "المحمدية". لقد آمن عامة بلاد الصين ومانين بمذهب مانى، يتقربون به إلى الله، ويدرسون كتبه. وانتشر فى سائر الجبال والبلاد مذهب زاردشت لعبادة النار. وسبب ذلك قانون عام ينطبق على جميع الحالات، وهو تفرع الملة الواحدة إلى مذاهب كثيرة، بعضها على حق والآخر على باطل. وينطبق نفس القانون على الاسلام عندما تفرعت ملة ابراهيم إلى مذاهب مثل اليهودية والنصرانية والاسلام. ومعيار الحق والباطل هو طلب الرئاسة وإضافة جزء إلى الدين لتبريره وهو ليس منه. حدث ذلك فى المانوية والديصانية والمرقونية باضافتهم إلى ما شرع المسيح بدعوى تجديد دين ابراهيم ودين المسيح. وينطبق أيضا على أحبار اليهود وفقهاء السلطان. وهو ما لاحظه الكندى من قبل فى رسالته إلى المعتصم بالله فى الفلسفة الأولى فى نقده لرجال الدين الذين يدافعون عن مناصبهم المزورة فى وضعهم تعارضا باطلا بين الفلسفة والدين.

ب- **النصرانية**. وتشمل اليهودية نظرا لأن النصرانية إكمال وإتمام لها. وتذكر بعض الأسماء مثل جرجس ويهوذا، ثم اصطفانوس ثم متيانوس وفينان. ويستشهد السجستانى بالكتب المقدسة. التوراة والانجيل، بتوجه القرآن والعودة إلى الأصول، ونظرا لوحدة الوحى وتصحيح مساره فى التاريخ فى المرحلة الأخيرة. كما يريد الشيعة تأصيل الحاضر فى الماضى، والتعويض بتقدم التاريخ فى الماضى عن انهياره وسقوطه فى الحاضر، وإيجاد العمق التاريخى اللازم لتأييدهم ضد الاستيلاء على السلطة فى الحاضر. ويستشهد بالانجيل على تنزيه الله عن جلب المنفعة ودفع الضر عن نفسه إلا على سبيل المجاز، المنفعة والضرر للانسان منفعة وضرر لله نظرا للتوحيد المعنوى بين الله والبشر. ويتم الاستشهاد بسفر أشعيا الذى تنبأ بقدوم المسيح راكبا الحمار مثل محمد راكبا البعير. ويبدو جمال الآيات فى تقابل الايجاب والسلب كما هو الحال فى الطوباويات فى طريق الابداع الغنى خاصة وأن النص ليس رواية تاريخية متواترة كما هو الحال فى النص القرآنى، من ترجمات عربية رصينة. ويشير إلى شريعة النصرانية مثل طقس العماد، وشريعة اليهودية مثل الختان حتى

لا يطرأ الفساد على الحق عامة والنبوة خاصة. وكل شريعة خاصة بذاتها لا تضاف إلى شريعة أخرى. وإذا كانت النبوة متصلة فان الشريعة منفصلة، وإذا كانت الأديان واحدة فان الشرائع كثيرة. وقد تعنى الشريعة معنيين عاما وخاصا. العام هو الدين المنزل كالتوراة والانجيل والزبور، والخاص مثل الأوامر والنواهى[1].

جـ- **الفرق الاسلامية**. ويعنى بها السجستانى فرق أهل السنة وحدهم. ومن الشخصيات الاسلامية تذكر فاطمة ثم خزيمة، وعبد الله بن سعيد، وعبد الله بن المبارك، وعبد الله ميمون، ودحية الكلبى، وبنو العباس، ثم المعز لدين الله، وعمار، وحسام، وبرد، ويغوث، ونسرى من آلهة العرب. ومن الأماكن المحلية الغرب ثم مكة ثم اليمن، والشام، وبيت المقدس، ثم الطائف [2]. كما يشار إلى العرب لغة وبيانا. ومع العربية تضاف السريانية. فالعبادات ثلاث وثلاثون حرفا، ثمانية وعشرون فى السريانية، وخمسا فى اللغات الأخرى طبقا للتقابل بين الشعائر والحروف. ويشار أيضا إلى الواقع المحلى الجغرافى التاريخى كمادة للأمثلة، قريش، ونيسابور بأمثلة للجنس المنطقى، ومكة كمثل للحج الذى يقصده الناس بالرغم من عناء السفر، والعراق كمثل للخصب والاعتدال وأحد أسباب غلبته. كما تذكر بغداد كدار هجرة بنى العباس، مكانا لوفاة الامام، والجيزاية مكانا لدفنه.

ولما كانت ملة الاسلام ظاهرة، وامتلأ العالم بالمسلمين فان ذلك يكون بفعل فاعل. وعلى مقدار شرفه يكون شرف رسوله على سائر الرسل.

والنبوة قاصرة على أهل بيت النبوة ولا تخرج من نسل النبى، وهو التصور اليهودى الذى يجعل النبوة وقفا على بنى اسرائيل كنوع من تقوية النفس ضد القبائل الأخرى فى صراع القوى. ومن ثم فكل المتنبئين مثل مسيلمة الكذاب وطلحة والقطرى وغيرهم مهما اجتهدوا فى وضع شيئ ينبع من قلوب الناس ويستقر فى عقولهم فانهم لا يستطيعون اقناعهم لأنهم ليسوا من بيت النبوة وكأن الاقناع بالنسب والذرية وليس بالعقول والحجية. ولا تخرج الامامة أيضا عن بيت الأئمة وهو بيت النبوة. فاذا خرجت إلى أولاد تيم وعدى وأمية ظهرت الفتنة ودب الشقاق وسفكت الدماء، ونهبت الأموال، واستحلت الفروج. وازداد الشر كل يوم حتى لا يبقى من الاسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، ويرجع الناس إلى

---

(١) جرجس، يهوذا (٣)، اصطفانوس (٢)، بثيانوس، فيتان (١).

(٢) الشخصيات: فاطمة (٣)، دحية الكلبى، خزيمة، عبد اله بن سعيد، عبد الله بن المبارك، عبد الله بن ميمون، بنو العباس (٢)، المعز لدين الله، عمار، حسام، برد، يغوث، نسرى (١). الأماكن: الغرب(٦)، مكة (٣)، اليمن، الشام، بيت المقدس، الطائف (١). الأصول والأحكام ص١١٠، النبوات ص١١٠، المذهبة ص٤٧.

الجاهلية. و شغل الامام بلذاته الحسية، وشهواته الجسدية، ولم يراع شئون الرعية بل سامها أشد أنواع الظلم والجور. أما إذا كان من بيت النبوة فانه يرعى مصالح العامة ويزهد فى الدنيا ويهديهم سواء السبيل. فالناس لا تستقر إلا فى بيت النبوة والامامة. وهو وصف للعلويين. فهم أيضا من بيت النبوة والامامة. وكلاهما إلى رسول الله منتسب.

وتشهد الطبيعة عند الشيعة على بقاء النبوة فى نسل واحد. فالمعادن توجد فى بقع عديدة دون أن تنتقل إلى غيرها. والحيوان أيضا موجود فى بيئات خاصة دون غيرها مثل الفيل والببغاء فى الهند، والسباع فى المغرب. وكذلك يوجد البشر فى بقاع مختلفة مع خصائص متغايرة مثل الضيافة عند بنى مدلج، وزجر الطير فى بنى اسد، والخفة واللعب فى أهل الهند، والصناعات العجيبة عند أهل الصين، والفلسفة عند اليونان. لكل شعب خاصيته لا يشاركه فيها غيره. أما النبوة فغير متنقلة من بقاع إلى بقاع على عكس الحكمة التى لا يخلو منها موضع فى العالم، الحكمة لا يستحقها إلا ذوو الفضل فى حين أن الحكمة قد تكون قرينة لمن لا يستحقها من تركى وصقلبى. وهذه محاباة للنبوة ضد الحكمة فالحكمة أيضا تقوم على الفضيلة. العلم فضيلة، والجهل رذيلة. بلاد السند والهند والصين والزنج والترك والخزر والصقالبة والروم كلها خالية من النبوة ولا تخلو من ملك يحكمها. أما النبوة فقاصرة على مكة إلى الشام وبين المقدس. وهى متعددة الأسماء مثل تعدد الأجناس والأنواع، اليهودية والنصرانية والصابئة والمجوسية والثنوية. وهذا تحديد جغرافى للنبوة ولماذا استبعاد أنبياء الشرق؟ ﴿ وما من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ ؟ ولماذا وضع المجوس والثنوية ضمن النبوة وهما خارج المنطقة الجغرافية الممتدة من الحجاز إلى الشام؟ كما أنهما ديانات طبيعية وليسا ديانات وحى كما أقر بذلك الشيعة من قبل؟ (١).

وتقوم ملة الاسلام على أركان خمسة بناء على الحواس الخمس نظرا للتقابل بين عالم الشرع وعالم البدن. وهو قائم أيضا على أركان سبعة إذا أضيف إلى الأولى الجهاد وطاعة أولى الأمر. والواقع أنهما ركنان متضادان نظرا لأن الجهاد قد يكون ضد الحاكم الظالم، وأن طاعة ولى الأمر مشروطة بطاعة الله والا وجب الخروج عليه بعد النصيحة له والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واللجوء إلى قاضى القضاة. كما أن أهل السنة يركزون على طاعة أولى الأمر لأنهم فى الحكم، والشيعة تركز على الجهاد لأنهم فى المعارضة. ومن آثار النبوة احاطتها بالأشخاص عند التكوين وبعد الفساد مثل ايجاب العقيقة عن المولد وذبح شاه طيقا لعادة الساميين فى سيل الدماء دليلا على التقرب إلى

---

(١) النبوات ص ١١٧/١٥٩،١٥٨/١٧٢-١٧٤.

الله، وتطورا من التضحية للبشر فى الديانات القديمة إلى التضحية بالحيوانات عند الساميين حتى العقيقة فى اليهودية والاسلام. وقد قبل الاسلام أهل الذمة كجزء من أمته نظرا لوحدة دين ابراهيم. ووقع النسخ فى شريعة الاسلام. كانت الخمر حلالا ثم حرمت. وكانت الصلاة إلى بيت المقدس ركعتين ثم ركعتين ثم حولت إلى الكعبة أربع ركعات. وهذا لا يدل على فساد الشريعة بل تأكيدها وتثبيتها. كما أن الاسلام إذا دخل بلدا غلب باقى البلدان وفتحها. فهو قوة فى الأرض. كما تستطيع النبوة التوحيد بين القلوب، بين الغرباء قبل الأقرباء. فقد يبغض الانسان ولده وأخاه، ويحب مملوكه من السند والترك[1].

د- **فرق الشيعة.** والشيعة لهم أئمة أكثر مما لديهم من فرق اثنى عشرية أو اسماعيلية. وأئمتهم مثل على بن أبى طالب، وجعفر الصادق،والحسن، والحسين، ومحمد بن اسماعيل، وعلى زين العابدين. على بن أبى طالب هو مصدر العلم وعديد من الروايات عن العقائد والشعائر. وعبادة الاسم دون المعنى كفر. كما أنه طبق الشريعة. قطع يد السارق، وجلد الزانى، وحد المفترى، وأقام الحدود، وجاهد فى سبيل الله. وهو أحق بالعودة الروحانية. كما يروى عن مآثره ومناخبه أنه نجم الله الثاقب وحبل الله المتين وعروته الوثقى التى لا انفصام لها. لم يشرك بالله طرفة عين لأنه لم يتصل إلا بدعوة الحق أى دعوة الرسول دون شك أو ارتياب. ويتم تحقيق مناط الآية فى على. فالشفع والوتر يشيران اليه. وهو الثانى الذى يبعث ويرجع. كما تروى العامة أنه رد طلاق النساء لأنه أمر له بالتسليم والتفويض لأنه الناطق. وهو عالم هذه الأمة كما أن الله ربها. وهو الذى نصبه الرسول يوم غديرقم. أقامه مقامه واستخلفه من بعده. وحول خاتمه من يمينه إلى يساره. وأمر وصيه أن يختتم باليمين ولا يحوله إلى الشمال إشارة منه بتسليم المنزلة اليه. وإذا كان اليوم اثنى عشر ساعة، فهذه إشارة إلى أن الوصى نظرا للتقابل بين الزمان والوصاية كما أعلن عن ذلك الرسول فى حجة الوداع عندما أرشد الناس إلى التأويل بأنه اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة. كما تدل حروف البسملة التسعة عشر على مجموع حروف على ومحمد والحسن والحسين[2].

ويأتى جعفر بن محمد فى المرتبة الثانية بعد على استشهادا بقول له فى الناطق الرحمن بأهل الدنيا بالبر والفاجر الرحيم. بمن قال لا اله الا الله. فظاهر الناطق يناله

---

(١) النبوات ص ٨٨/١١٠/١٢٧/١٣٨/١٧٣.

(٢) على ابن أبى طالب (١١)، جعفر الصادق (٧)، الحسن، محمد بن اسماعيل (٦)، الحسين (٥)، على زين العابدين (٤). المذهبة ص٣٠-٣١/٣٩/٤٧/٥٢، الأصول والأحكام ص ١١١ - ١١٢.

أهل النجدين البر والفاجر. وباطن الأساس لا يناله إلا الموحدون. لذلك ظهرت الباء فى الصامت ولم تظهر فى الناطق. وظهرت فى اسم الصامت، فى اسم ثانى الأئمة وابنه على زين العابدين، ولم تظهر فى أول الأئمة دون أولاه خامس خاتمة. ثم تظهر فى السبع المثانى. وكان أجر المؤمنين عليا قد جعل الرحمن من الرحيم من المغفرة أى من الناطق الايقاظ والانذار. والانذار رحمة لهم، ومن الصامت البيان والهداية. ويرى جعفر بن محمد أن الأئمة مذكورون فى القرآن وهم الفلك الجارية فى البحار، ولا يموت أحد إلا ويحيا آخر. وهم آيات الله الكبرى وأسماؤه الحسنى، وأمثاله العليا، وكلماته عدل وصدق. ومن دعا غيرهم لا يجاب له. هم آيات الله فى البلاد، وحجته على العباد. من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله لا فرق فى ذلك بين سنة وشيعة. وتثبت الآيات فى الأئمة ويتحقق مناطها فيهم تأكيدا للذات، وتعويضا نفسيا عن الهزيمة والضياع فهم غير معترف بهم فى الدنيا لكنهم مذكورون فى الآخرة، خارجون على الشريعة، ومذكورون فى القرآن تدعيما للثورة وتأصيلا لها مثل الجاهل الذى يرى العلم فى القرآن. كما بين أهمية البصيرة للعامل. فالعامل بلا بصيرة كالبغل فى الطاحون، يمشى طيلة النهار، ولا يبرح مكانه[1].

خامسا: من تاريخ الأديان إلى فلسفة التاريخ.

١- **مبادئ التاريخ.** ويتحول تاريخ الأديان إلى فلسفة فى التاريخ فى المقالة السادسة، الفصلين الثانى والثالث من كتاب "النبوات" للسجستانى. وتعتمد كلها على الموروث دون الوافد. بها أكبر قدر من الشواهد النقلية وأسماء الأنبياء خارج الآيات وداخلها. وتكثر أسماء الأعلام من الأنبياء والأوصياء والأئمة مما يحد من استقلال الفكرة ومسار التاريخ. ومع ذلك يمكن إخراج هذا المسار كفلسفة مستقلة فى التاريخ عن حواملها التاريخية. وأحيانا تذكر أسماء الأعلام بلا دلالة كلية بل فى إشارات جزئية مثل سليمان والنملة، وقصة نوح فى الصلة بين الناطق والصامت.

وتاريخ الأنبياء هو تاريخ الأمة، من القصص إلى الوعى التاريخى، من الماضى إلى الحاضر، من التاريخ كميدان تحقق إلى المجتمع كميدان صراع. فلسفة التاريخ مثل مدينة الله، تثبت انتصار الحق على الباطل، والعدل على الظلم، والثورة على التسلط. القصد منها خلق مدينة مثالية عادلة بدلا من المدينة الأرضية الظالمة. لذلك يهاجم

---

(١) الأسابيع ص١٦٧، الأصول والأحكام ص١١١/١٣٤/١٣٥، المذهبة ص ٣٠ - ٣١.

السجستانى علماء العامة، أهل الظاهر، لاعلماء الشيعة ولا القاضى النعمان والذين يريدون تفسير النصوص لتبرير المدينة الأرضية، دولة الظلم والطغيان. فلسفة التاريخ تعويض عن النظم السياسية فى التاريخ من أجل التشبث بالحق فى الخيال بعد أن ضاع على الأرض، انتصار الماضى الدائم بدلا من هزيمة الحاضر المؤقتة. وتاريخ الأديان تأصيل للعمق التاريخى ضد دعاة نهاية التاريخ، وتحقيق مرحلته النهائية، مرحلة الأمويين الظلمة. ينشأ الفكر الشيعى، مثل الفكر الصوفى دولة فى الماضى تعويضا عن فقدان دولة الحاضر، دولة فى السماء بعد أن ضاعت دولة الأرض. فتعويض الحاضر إما أن يتم فى الماضى عند الأنبياء والأئمة والنطقاء وإما فى المستقبل عند المهدى المنتظر. استدعاء تاريخ الأنبياء كله أقوى من الاعتماد على آخر مرحلة ولاثبات قانون للتاريخ، ثابت ومطرد يجرف الانحراف الأخير(١).

ويصعب عرض الصلة، بين تاريخ الأديان وفلسفة التاريخ فى قانونها العام أو فى حلقاتها السبع، المنطق أم التطبيق، الجدل أم الخطابة؟ ويمكن الجمع بين الاثنين، بين العام والخاص. ويمكن التفصيل فى الفترة الأولى آدم ثم قياس الفترات الست الأخرى عليها. كذلك ارتبط موضوع النبوة بفلسفة التاريخ عند الشيعة أكثر من ارتباطها عند أهل السنة بالرغم من أن التاريخ فى علم العقائد عند أهل السنة ملحق الامامة إما فى حديث الفرقة الناجية أو فى انهيار التاريخ طبقة وراء أخرى. وكلاهما يدل على سقوط التاريخ على عكس الشيعة وتحول النبوة إلى إمامة مما يدل على تقدم التاريخ.

يعاد توظيف العقائد كلها كأسس نظرية لفلسفة التاريخ ويعاد تفسير آياتها أيضا كآيات فى فلسفة التاريخ مثل السؤال عن الملكين هاروت وماروت وذى القرنين ومريم وابراهيم وذريته من الأنبياء، وعدم نيل الظالمين العهد، وعن رفع القواعد من البيت، وعن الأربعة الحرم لكل نبى وإمام وحجج الليل والنهار، والفجر والليال العشر، والشفع والوتر، والليل والبلد.

وهناك ألقاب أخرى أقرب إلى أوصاف الأئمة. منها أوصاف علمية مثل: المستودع وهو الذى يحتفظ بالعلوم بعد أن ضاعت فى فقه السلطة، والباقر وهو الذى دخل العلوم وبقرها، والمجتهد وهو الذى يفكر مستقلا عن السلطان، والحجة وهو الذى يقيم البرهان ضد الخصوم، وروح الله بدلا من الحاكم صاحب الهوى الذى يبغى التسلط

---

(١) النبوات ص٢٠، الأصول والأحكام ص ١٠٣/١٠٥-١٠٦/١٢٢، المذهبة ص٥١-٥٢.

وروح الشيطان. ومنها أوصاف عملية قيادية إمامية مثل الوصى وهو الحافظ للرسالة الأمية عليها بعد أن انحرفت عن مسارها، والمهدى وهو الذى اختارته العناية الالهية لقيادة الثورة، والهادى وهو الذى يقود الناس ويهديهم إلى الطريق القويم، والأمين وهو المحافظ على الأمانة ضد خيانتها. وهناك صفات أخلاقية مثل الصادق ضد الكذب وخراب الذمة والميل بالهوى عن الحق، والرضا وهو المصالحة مع النفس، وإتيان الله بقلب سليم، والنفس الزكية ضد أهواء البشر وفساد الأخلاق.

بل إن عقائد الشيعة نفسها يمكن فهمها فى إطار أوضاعهم النفسية كمجتمع الاضطهاد مثل الغيبة نظرا للاضطهاد وحماية للأئمة حتى تحين الظروف فتكون الرجعة أو التقية وهوالتخفى الارادى وإخفاء شخصية الامام حماية له من الاضطهاد وكنوع من الكذب الأبيض، والعصمة نظرا لسيادة أهواء البشر على حكام الظلم والطغيان، والقول بتعيين النص للأئمة ضد اختيار البشر القائم على الأهواء والمصالح المتبادلة.

ويستمد الفكر الشيعى ألقابه ومصطلحاته من أصل الوحى مثل الباب والقائم والجناح والجد والامام والقائم والأساس، والمتمم وليست ألفاظا وافدة معربة أو منقولة، مما يدل على قدرة ابداعية على وضع المصطلحات اعتمادا على الموروث وحده. بل إن بعض مصطلحات فلسفة التاريخ جديدة للغاية مثل الفترة والدور والكور. كما تظهر المصطلحات المستقاة من العلوم مثل العدد من الحساب، والخط والسطح من الهندسة، والجرم من الفلك، والمكان والزمان من الطبيعة، والقول من اللغة، ولا شأن لها بالمصطلحات اليونانية الوافدة التى يستعملها الخاصة وحكماء البلاط.

وذلك على الضد ألقاب المطلقة عليهم من الخصوم مثل الشيعة أى الذين يتشيعون. والتشيع اتباع الهوى والانحراف عن الصراط المستقيم، أهل السنة والجماعة. والأفضل لقب الرافضة الذين يرفضون ويثورون ويغضبون فى عصور أصبح الرفض فيها خروجا على النظام وعلى الجماعة وعلى الايمان. والألقاب المحايدة مثل الامامية الذين يقولون باتباع الأئمة، الامام المنتظر كعادة مؤرخى الفرق فى تسمية الفرق بأسماء مؤسسيها مثل الأشعرية والسبئية والواصلية والنجارية والمذاهب الفقهية مثل المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية.

وهذه الألقاب ليست ثابتة ساكنة بل هى كالمقامات متحركة إرتقائية. كل لقب يؤدى إلى الآخر. والغاية الوصول إلى سدرة المنتهى كما هو الحال فى مقام الفناء عند الصوفية، من المؤمن إلى الداعى إلى الحجة إلى الامام إلى الأساس إلى الناطق الذى بعدة وسائط يستطيع الوصول إلى سدرة المنتهى. وفى هذه الحالة تكون الحركة رأسية تصاعدية وليست

أفقية تاريخية. وربما تكون الحركة فى كلا الاتجاهين من أسفل إلى أعلى أو من الخلف إلى الأمام. وليست من الأعلى إلى الأدنى كما هو الحال فى نظرية الفيض أو من الأمام إلى الخلف. لقد حول الفكر الشيعى. مراتب الفيض إلى مراحل التاريخ [1].

وكل إمام له دور. وكلما انقضى دور أتى بعده دور آخر. فتطور التاريخ على مراحل، قانون عام ينتظم النبوة والامامة فى فلسفة للتاريخ والمراحل. السابق يثبت التالى. الأنبياء ممهدون للنطقاء، والعلم مقدمة للسر. كل نبى دور، وكل ناطق أو أساس دور: لا فرق فى ذلك بين التوراة والانجيل. وبعنيان النفس. الكتابة فى النفس، والتدوين فى الشعور. لذلك يصعب التمييز بين الامامة والنبوة. الامامة استمرار للنبوة والنبوة إرهاص للامامة.

وإذا كان الأئمة ستة فالسابع يتحول إلى كيف. فالتراكم الكمى يؤدى إلى تغير كيفى. كما أن الأدوار والفترات لا يبدأ كل منها من الصفر لحدوث تراكم فى وعى الانسانية بذاتها مستقلة عن الطبيعة والأهواء. فالتقدم حلزونى إلى الأمام حتى ينتهى المسار، وتتحقق غاية الوحى فى التاريخ.

والتطور فى النبوة تطور فى الخلق مثل تطابق الصورة والمادة، الروح والبدن. فخلق الصور الروحانية يكمل بالنطقاء الست. آدم والطين، نوح والنطفة، إبراهيم والعلقة، موسى والمضغة، عيسى والعظام، محمد واللحم، والقائم والخلق الآخر. فيتطابق الفرد مع التاريخ، والفكر مع الواقع، والنور مع الظلمة، ويتضح أثر ثنائيات فارس ما قبل الاسلام فى

---

(١)

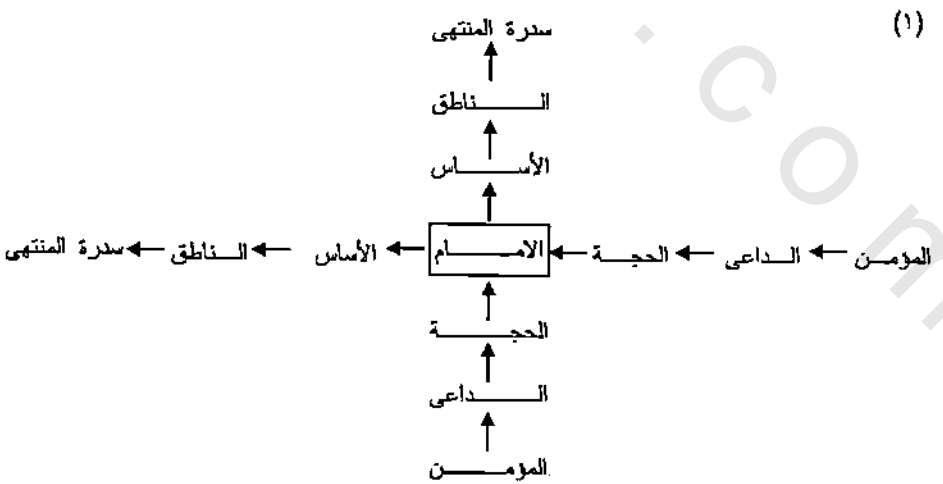

الفكر الشيعي. ومراتب النبوة كمراتب الطبيعة. ولا تنتقل النبوة من نسل إلى نسل بل تظل فى نسل مصطفى. وقد لا يكون الاصطفاء هنا الذرية العرقية بل بمعنى الذرية الروحية ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾، تعنى أن الكلمة تبقى فى أعقابهم. الذرية لها معنيان جسمانى وروحانى. وكل رسول لاحق يمثل تقدما بالنسبة للرسول السابق على نحو رأسى لكن بلغة العلو، والمرتبة والدرجة على نحو أفقى. وتختلف المراحل فيما بينها فى التقدم بين الطول والقصر أو فى العلو بين الارتفاع والانخفاض. والمتأخر أفضل من المتقدم أى أن اللاحق أفضل من السابق[1].

وتقوم فلسفة التاريخ على تصور تطورى للوحى والعالم والبشر مثل ابن عربى فى "فصوص الحكم". فالحقيقة تتجلى فصا فصا[2]. ويتحول التصور الرأسى للعالم المعروف فى الفلسفة الاشراقية خاصة نظرية الفيض التى تتجلى فيها فيضا من أعلى إلى أدنى، من الواحد إلى العقل إلى النفس إلى البدن إلى التصور الأفقى من الخلف إلى الأمام، ومن الماضى إلى الحاضر. تاريخ النبوة شهادة على كل عصر لأن كل نبى يعبر عن عصره. وخاتم الأنبياء للناس جميعا بعد اكتمال النبوة. هناك رنة تفاؤل فى الفكر الشيعى نظرا لتوجهه نحو المستقبل، والثقة بانتصار الخير على الشر، والنور على الظلمة، والحق على الباطل. لذلك كانت مشكلة الشر والأضداد أكثر حضورا فى الفكر الشيعى، فكر المعارضة، منه فى الفكر السنى، فكرة الدولة الرسمى المتوجه نحو الماضى وعصر الخلافة الأول يستمد منه شرعيته فى الماضى نظرا لنقص شرعيته فى الحاضر.

وكل نبى لاحق يتم رسالة النبى السابق ويكملها. نوح أتم رسالة آدم بالشريعة، ويتحول الرسالة من الملائكة إلى البشر. وإبراهيم أتم رسالة نوح، وموسى أتم رسالة إبراهيم، وعيسى أتم رسالة موسى. وكل نبى لاحق يعتد بأحد الأنبياء السابقين. فله الخيار. فقد صلى موسى إلى الغرب اقتداء بنوح وليس اقتداء بآدم. فالابتداء دور ثان له استقلاله. واقتدى عيسى بآدم ولم يقتد بنوح وهو بعد موسى. وقد أتم محمد أمر آدم ونوح بابراهيم. فالتاريخ تطور من آدم إلى القائم واقتداء من القائم إلى آدم. تخرج الثمرة من البذرة، وفى نفس الوقت تقتدى بها، حركة إلى الأمام وحركة إلى الخلف، سبق إلى الأمام ومراجعة إلى الخلف.

---

(١) الأصول والأحكام ص ١٣٦/١٣٩، الينابيع ص١٦٨، المذهبة ص ٥٨، النبوات ص ٦-٧/١٣١/١٦٨/٤٧.
(٢) وكما هو الحال عند برجسون فى "التطور الخالق" فى الفلسفة الغربية المعاصرة.

والعلة فى تواتر الرسل هو برودة الحرارة الأولى، ونسيان الأوامر والنواهى نظرا لطول العهد، وبداية الانهيار والاضمحلال. فيأتى نبى آخر لعودة الحرارة الأولى ودفع حركة التاريخ خطوة أخرى إلى الأمام. لقد بعث الله فى كل أمة نذيرا منها. وهذا هو البعث الأصغر قبل البعث الأكبر وهو الحشر. العلة فى تواتر الرسل التجديد. فالتواتر هنا يعنى التتجيم أى توالى الأنبياء. تجديد الشريعة واجب على الله لرحمته نظرا لتغير الزمان والمصالح، وهبوط الدافع الحيوى الأول. تنهض النبوة وتدفع التاريخ. ثم تفسد الشريعة وينهار التاريخ فى دورات متتالية.

وهذا هو معنى تفاضل الأنبياء وتفاوتهم فى المرتبة والدرجة. فهو ليس تفاضلا رأسيا فى سلم بل تفاضلا أفقيا فى دور النبوة السابقة ونهايتها وبداية النبوة اللاحقة. ومن هنا أتت ضرورة التسليم بمراحل النبوة كلها. إذ أن كل حد يسلم إلى الحد التالى تلقائيا فى سلسلة متصلة واحدة. والدعوة واحدة، دعوة الحق، دعوة النجاة، والفوز بالجنة. جوهر الرسالات واحد وهو الاسلام أى التحرر من عبودية الأفراد والطبيعة والاستسلام لله وحده الذى يتساوى أمامه الجميع. يتفاضل الأنبياء بعضهم على بعض كما تتفاضل الأمم فيما بينها فى الصفاء. وهو تفاضل راجع إلى تطور الوحى وليس إلى أشخاصهم ودرجاته من الاكتمال فى آخر مراحله. كما أن تفاضل الأمم فى أدائها رسالتها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وليس لأشخاصها أو لصفات أبدية فيها. ولا ضير أن يكون هناك تفاضل وتفاوت بين الأنبياء والرسل. وعلى المؤمنين التصديق بهم جميعا على حد سواء. إن أصحاب القدس متفاوتون فيما بينهم. يدرك الأعلى الأدنى. اللاحق يدرك الأتم. والمتمم يدرك الأساس. والأساس يدرك الناطق وهو محمد بدليل الاسراء، وكأن المسجد الأقصى موجودا أيام الرسول. ويركز السجستانى على فلسفة التفاوت والتفاضل والمراتب وليس على فلسفة المساواة خارج الزمان والمكان.

ويتداخل التاريخ مع المعاد، بداية العالم ونهايته، كور الماضى وكور المستقبل، الخلق والبعث، آدم والقيامة. فقد فارق الملائكة الأشباح من لدن آدم إلى يوم القيامة بالنفخة الثانية. فيقبل كل منهم مادة النفخ حسب طاقته فيصيرون أنسابا بالفعل، النفخة الأولى عند انقضاء كل دور، والثانية عند انقضاء الدور العظيم، وهى مجمع أدوار الرسل، انتهاء الكور الماضى وبداية الكور المستقبل. وكل واحد من الخلفاء الستة فى دور القائم وهو المهدى له درجة من الدرجات الست، للصور الجسمانية. آدم المعدن، ونوح النبات، وإبراهيم الحيوان، وموسى البشر، وعيسى الجن، ومحمد وآله الملائكة،

والقائم الانس بالعقل وهم أهل الجنة [1]. بل تتفاضل الملائكة كما تتفاضل الانبياء على ست طبقات: أناس عالمون، وأمناء مربون، ورسل مصطفون، وخيرة روحانيون، وملائكة مرسلون، وعباد مكرومون. وكل له مقام معلوم.

وقد اشتق اسم الفترة من الفتور والملل، عندما يبرد الدافع الحيوى الأول. وهو معنى سلبى أى الانهيار والانحطاط، بداية النهاية عندما يصيب الاعياء النفوس الجزئية من العالم الجسمانى فتعجز عن قبول التأييد. ثم يزول هذا العناء بظهور نفس زكية يتصل بها التأييد. وهو انهيار جماعى أيضا عندما يعود الضرر على كافة الناس بعصيانهم وإعراضهم عن الأساس والأئمة من ذريته فى عصرهم وميلهم إلى الأضداد. عندئذ ينقطع مدد الامامة، ويزول التأييد عنهم. ويتسلم الأمر اللواحق ثم الأجنحة فتظهر الأسقام، ويعم القحط والبلاء، وتقع الفتن والهلاك للتكبر على أولياء الله، وتنقطع الأمانة عن العالم مدة انقطاع الناطقة. واللواحق ليسوا أواخر الأئمة بل بيعتهم التى يسكنونها ويأوى الخلق اليها. والامامة لا تنقطع عن العالم طرفة عين لأنها الحجة على الخلق. والحجة لا تنتهى بفساد العصر وإلا عم الهلاك مما يدل على أمل فى المستقبل وإيمان شديد بالنصر حتى يظهر إمام جديد يقيم الشريعة ويهدى الناس. هاتان الحركتان، النهضة والسقوط، فى الروح والبدن والطبيعة، الهداية والضلال، العلم والجهل، الصحة والمرض، النماء والقحط، الاصلاح والافساد، الطاعة والمعصية، السقوط والخلاص كما هو الحال فى اللاهوت المسيحى. ولا فرق فى جدل التاريخ بين النهضة السقوط والنهضة من جديد ثم السقوط بين النبوة والامامة داخل كل منهما بل وخارجهما، فانهيار النبوة إيذان بنهضة الامامة.

وتحديد الفترة الزمنية بين ناطق وناطق بألف وخمسمائة علم موزعة على سبعة أئمة أو متمين يكون لكل منهم مائة عام، ويكون المجموع سبعمائة عام. وهى أقل المدة.

(١) الأسابيع ص ١٧٧-١٧٨، الأصول والأحكام ص ١٠٣.

القائم	الانس بالعقل
محمد	الملائكة
موسى	البشر
عيسى	الجن
ابرهيم	الحيوان
نوح	النبات
آدم	المعدن

ولا يجوز زيادة الأئمة عن سبعة. المهم الاتساق حتى يبدو الفكر متسقا مع نفسه. والدور من آدم إلى إبراهيم دور كبير. وأدوار موسى وعيسى ومحمد أدوار صغيرة. أول السبعة آدم وآخرهم القائم. إبراهيم ثالث ثلاثة فى دوره فسمى وافيا وكذلك القائم كان الختام [1].

ولكل نبى شعيرة من الشعائر. الولاية لآدم، والطهارة لنوح، والصلاة لابراهيم، والزكاة لموسى، والصوم لعيسى، والحج لمحمد، والجهاد للقائم. وماذا عن الشهادة؟ هل هى الولاية؟ ولماذا انقسمت الصلاة إلى طهارة لنوح وصلاة لابراهيم؟ والزكاة لموسى تنقية لشعور بنى اسرائيل من أسر المادة، والصوم لعيسى دليلا على روحانيته. والحج لمحمد جمعا لأمته. والجهاد للقائم من أجل مقاومة الحاكم الظالم. وكل ناطق له سماته وخصائصه. لآدم الاصطفاء الذى عم التالين له نوح وآل إبراهيم. ولنوح النداء الذى عم من بعده من النطقاء إبراهيم وموسى، والخلة لابراهيم، والكلام لموسى، والكلمة والروح إلى عيسى، والرؤية لمحمد، والمجازاة والمحاسبة للقائم على. وكما هو الحال فى المسيحية واستمرار الوحى فى الكنيسة بعد المسيح، سلسلة من الخلفاء، وكأنها دراسة على نمط الرومانية والبيزنطية. ولكل سمة دليل نصى إلا السمة الأخيرة. هذه مدينة السماء مجتمعات لها قواد فضلاء، رد فعل على مدينة الأرض وقوادها الطغاة.

والشريعة سياسية دينية لمصلحة العباد. والطب سياسة بدنية لحفظ الصحة. ولما اختلفت الأمراض حسب البيئات والبقاع لزم أن يكون الأطباء أكثر من واحد نظرا لتعدد الأمراض، واختلاف طرق العلاج. فطب الهند والسند قد يختلف فى الممارسة عن طب الترك والخزر. وكذلك تختلف الشرائع حسب الأمكنة والأزمنة. لذلك وجب تعدد الرسل. هناك إذن تطابق بين طب الابدان وطب النفوس. وبالرغم من الاعتراض على ذلك بوحدة الطب النظرى وتعدد طرق العلاج والممارسة إلا أن مراحل التاريخ وتبدل الشرائع تقتضى هذا التصور التعددى نظرا لبعدى الزمان والمكان فى تطور الوحى والشريعة على عكس التصور الأحادى الطرف الذى يتصور الوحى والشريعة فى المطلق خارج الزمان والمكان وبالتالى خارج التاريخ. ومن رحمة الله تجديد الشريعة بشريعة أخرى على يد ناطق آخر بألفاظ غريبة ومعانى تؤدى إلى طريق الحق [2]. لا يجوز اذن وجود شريعتين فى وقت واحد لأن لكل شريعة عصرها. ولو انقضت الشرائع كلها لما وجب البحث عنها أو فيها فيبقى الناس فى تيه وحيرة. تعدد الشرائع من أجل البحث عنها

---

(١) الأصول والأحكام ص ١٢٣-١٢٤، المذهبة ص ٦٩.

(٢) النبوات ص ٧٢/٧٣/٨٧-٨٨/٨٠، ١٦٥/١٦٢/١٨٦-١٨٧، المذهبة ص ٦٣/٧٣.

والمقارنة بينها ومعرفة قانون تطورها. جوهرها واحد. تقوم على الايمان بالله وبالرسول وباليوم الآخر كما أن التراكيب بها طول وعرض وعمق. تعدد الشرائع بتعدد النبوات كما تعددت النبوات بتعدد العصور واختلاف الأزمان. فالاختلاف أساس النبوات والشرائع والعصور. كل شيئ خاضع للزيادة والنقصان. لذلك وجد النسخ فى الشريعة والتغير فى الكون، لكن الكيف واحد، استقلال الوعى الانسانى وتحقيق المصالح العامة.

ولكل ناطق هجرة، انتقالا من دور الستر إلى دور الكشف، هجرة آدم وهبوطه إلى الأرض، وانتقال القائم من الستر إلى الكشف، ومن حد الامامة إلى حد الناطقية. وسمات الانتقال فى ادوار النطقاء سبعة: انتقال آدم من دور الكشف إلى دور الستر فى هبوطه من الجنة إلى الأرض، وانتقال نوح من حد الامامة إلى حد الناطقية هبوطا من السفينة إلى الأرض، وانتقال الخليل من هجرته ومسقط رأسه إلى أرض تهامة، وانتقال الكليم من الشام إلى بيت المقدس ومجاورته التيه، وانتقال المسيح، رفع الله إياه إلى السماء، وانتقال محمد من حد الامامة إلى حد الناطقية، هجرته من مكة إلى المدينة، وانتقال الناطق من هذا الحد إلى الحد الأعلى لاقامة الأساس عليه. فلما هبط آدم من الجنة قبلت توبته وأقام الوحى. ولما انتقل نوح من السفينة أمن من الغرق. ولما هاجر الخليل إلى أرض تهامة ولد له إسماعيل. ولما نزل المسيح به ما نزل رفعه الله اليه. وأقام شمعون بالاشارة والايماء وصيا. ولما هاجر محمد من مكة إلى المدينة أقام عليا بغديرقم على رؤوس الأجهار. وأقام القائم بعد الغيبة خلفاؤه.

والنطقاء السبعة عند الشيعة هم أولو العزم من الرسل الستة عند السنة بالاضافة إلى الناطق. وانقضى دور آدم بانقضاء العزم وتوبته هو ظهور الناطق. أدرك الشيعة العلاقة بينهم وحولوها إلى فلسفة فى التاريخ، تطورية حركية. وجعلها السنة ثوابتا لا حركة فيها فغابت لديهم فلسفة التاريخ. وهى سبعة عند الشيعة. آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، والقائم. ولا يقر أهل السنة بالأخير. ليس قبل آدم وليس بعد القائم نبى. فالطرفان يمثلان الأول والأخير، البداية والنهاية.

والأدوار فى التاريخ، دورا وراء دور مثل مقامات الصوفية، مقاما بعد مقام، حركة من الكشف إلى الستر منذ البداية عند آدم، ومن الستر إلى الكشف فى النهاية عند القائم. وكما أن الانتقال من مقام إلى مقام عند الصوفية له علامات، فكذلك الانتقال من دور إلى دور له سمات. فمثلا سمة انتقال المسيح رفع الله إياه إلى السماء. منذ كان وجيها ومن المقربين. وسمة انتقال محمد من حد الامامة إلى حد الناطقية هجرته من مكة إلى المدينة.

وسمة انتقال القائم من دور الستر إلى دور الكشف غيبته ثم ظهوره بعد الغيبة. وهذا هو معنى تبديل الأرض غير الأرض، والسموات غير السموات، وبروز الواحد القهار [1].

وعلاقة الأدوار علاقة الأعداد والحروف والطبيعة. فأول النطقاء وهو آدم العدد. والخط نوح، خط تأليف الشريعة. والسطح إبراهيم لأنه سطح فى عقبه الامامة. والجرم موسى المتوسط بين النطقاء السبعة، ثلاثة قبله وثلاثة بعده. والزمان المسيح، علاقة القائم المستعان على الأزمنة. والمكان محمد، صاحب الشرائع والأديان. والقول هو القائم. ولما كان من الصعب قسمة الدائرة سبعة أقسام فقد انقسمت السادسة إلى قسمين، محمد والقائم نظرا لارتباط الستر بالكشف والنبى بالامام.

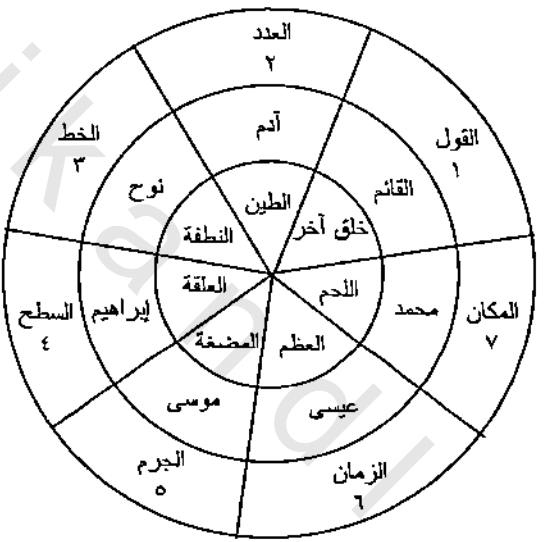

وهناك تقابل بين الأنبياء السبعة والأعداد العشرية. آدم هو الآحاد، ونوح العشرات، وإبراهيم المئات، وموسى الألوف، وعيسى عشرات الألوف، ومحمد مئات الألوف، والقائم ألوف الألوف. ولا يطرح سؤال وماذا عن الصفر قبل الآحاد؟ ولا سؤال ماذا بعد ألوف الألوف إذا كانت العداد متناهية من الطرفين وكان التقابل بين منطق العدد وفلسفة التاريخ تطابقا تاما؟ ويرفض صاحب "المذهبية" مقالة أن القائم سابع سبعة من آدم، وثامن ثمانية من على لأنها إبطال لسنة الله فى الكون. الحساب هو المثل والأنبياء السبعة الممثول.

وهناك تقابل بين الأنبياء السبعة وعدد أيام الأسبوع السبعة. آدم يوم الأحد هو

---

(١) النبوات ص ١٨٤/١٨٧-١٨٩.

الابتداء، والبعث الأول للناطق الأول. آدم أول من عبد الله فى الستر. وقام بالرسالة. وعلم الله لعدد النطقاء والأئمة والأيام الستة. والاثنين الناطق الثانى نوح. أعطاه الله الحكمة. والثلاثاء الناطق الثالث إبراهيم، جمع الله فيه العلوم. والأربعاء الناطق الرابع موسى. والخميس الناطق الخامس عيسى من أولى العزم. تكلم بالتأويل وضرب الأمثال. والجمعة الناطق السادس محمد جمع علم ما مضى من أولى العزم والرسل والأوصياء إلى يوم القيامة. ويملكه الأرض بظهور القائم. والسبت الناطق السابع القائم من نسل محمد. وبه تختتم الدنيا، وتفتتح الآخرة، ويتم الاستحقاق. وتدل الأيام السبعة وضعفها العدد أربعة عشر على منتصف الشهر القمرى ليلة البدر لموسى. والجمعة لمحمد وسط بين سبت موسى وأحد عيسى. وقد يتطابق هذا مع الواقع مثل محمد والجمعة وقد لا يتطابق. فالأولى بموسى السبت وليس القائم. والأولى بالأحد عيسى وليس آدم. ربما كان الأحد لآدم لأنه أول أيام الأسبوع فى الاسرائيليات كما أن آدم أبو البشر,وأبو الأنبياء. ويستشهد صاحب "المذهبة" بأقوال موسى فى التوراة، حجة نقلية لا عقلية. ومدح موسى ليوم السبت كان سببا لتخصيصه للقائم ونزعه من موسى. عرفت اسرائيل المثل، يوم السبت، دون الممثول، القائم. وكذلك يستشهد بالانتقام من المسيح يوم السبت. وتطابق الأصوات الأعداد. الأحد واحد، والاثنين اثنان حتى الخميس خمسة. وتبقى الجمعة ستة والسبت سبعة لا يتطابقان [1].

ويأتى منطق الأعداد ليتحكم فى جدل التاريخ. والعدد طبقا لأيام الاسبوع وطول الدورة. فآدم يوم الأحد وغير معروف مدة دورته لأنه بداية تاريخ الانسان على الأرض، ونوح يوم الاثنين ودوره ٨٥٠ سنة، وإبراهيم يوم الثلاثاء ودوره مئات غير محددة إذ يصعب أحيانا المغامرة بالتحديد دون يقين. يكفى اتفاق التاريخ مع المذهب. وموسى يوم الأربعاء ودوره ألوف غير محددة أيضا. وعيسى يوم الخميس، ودوره عشرات الألوف. ومحمد يوم الجمعة ودوره مئات الألوف. والخلفاء أول دور، وهو تمام المثانى، والقائم يوم السبت، ودوره عشرات الألوف. ويتضح أن فترة الدور تطول من الآحاد إلى العشرات إلى المئات إلى الألوف إلى عشرات الألوف إلى مئات الألوف إلى ألوف الألوف. مع أن العكس هو الأعقل لأن البشرية تتعلم، ويرتقى الوعى الانسانى. ومن ثم تحتاج إلى فترات أقصر حتى اكتمال النبوة ويستقل الوعى الانسانى عقلا وارادة، ويعتمد على اجتهاده حتى نهاية التاريخ. كما يحدث تقابل أو توازى بين أيام الأسبوع وفترات

---

(١) المذهبة ص ٤٧/٤٤/٧٠، الأصول والأحكام ص ١٠٨-١٠٩.

التاريخ. فالتاريخ له إيقاع زمانى، الثوانى والدقائق والساعات والأيام والأسابيع والشهور والسنون والقرون والعصور. التاريخ هو الزمان المتحقق والزمان هو التاريخ الممكن. وقد وقعت فى دور نوح أربع فترات، وفى دور إبراهيم ثلاث فترات، وفى دور موسى فترتان، وفى دور عيسى فترة واحدة. ولم تقع فى دور محمد أية فترة. فلا يوجد تواز أو تقابل بين الدور والفترة. وتقصر الفترات كلما تطور التاريخ مما يدل على اقترابه من الكمال وارتقاء الوعى الانسانى واكتماله، عقلا وارادة. وبالرغم من رتابة النص وتكرار النمط، دورا وراء دور وكأنها آلة حاسبة إلا أن هذه طبيعة فلسفة التاريخ التى تحكمها فلسفة الأعداد.

القائم	الأساس	الضد	أصحاب الفترات	الأئمة	العدد
آدم	شيث	إبليس قابيل	برد، ملائيل لاوى	هابيل، شيث، برد مهلائيل، فالغ	الأحد آحاد
نوح	سام		قابيل – تارخ أفور – لوط	سام، رافخشد، غابر، هود، شالح، صالح	الاثنين عشرات
إبراهيم	إسماعيل إسحق	نمرود	إلياس، يهوذا، لاوى	ارنموس، ناقور، لوط، إسماعيل، قيدار، إسحق، يعقوب، يوسف، عمار، بن يامين، شعيب	الثلاثاء مئات
موسى	هارون، يوشع، أولاد هارون	فرعون	يونس زكريا	هارون، عمران، يونس، ذو الكفل	الأربعاء ألوف
عيسى	شمعون الصفا	يهوذا	أصطيفانوس، مرقيا، إلياس، (اليا)	المسيح، اليسع، فياليس، قس بن ساعدة، الآيادى	الخميس عشرات الألوف
محمد	على	أبو جهل أبو لهب	فتح دور القيامة ابتداء النشأة الأخرى	على، الحسن، الحسين، من ذرية إسماعيل، محمد بن إسماعيل	الجمعة مئات الألوف
القائم					السبت ألوف الألوف

وتقوم فلسفة التاريخ على التطابق، تطابق كل شيئ مع كل شيئ، تطابق الأعداد والطبيعة والشريعة، تقابل الحروف والأصوات والأسماء، تطابق مراحل العمر وفترات التاريخ. هناك تطابق بين الحروف وأسماء الأنبياء، بين اللغة والتاريخ. فحروف آدم ثلاثة. وحروف نوح ثلاثة. وحروف إبراهيم ستة (الألف زائدة طبقا للنطق العربى الذى لا يبدأ بساكن مثل النطق الحبشى براهيم). والكاف ثلاثة، والنون ثلاثة فى ﴿كن﴾ اجتمعا فى ستة إبراهيم. وصلى آدم إلى الشرق أى الأمر. وهو ثلاثة حروف: ألف ثلاثة حروف، وميم ثلاثة حروف، وراء حرفان. وهى ثمانية حروف، حملة العرش. الكاف والنون على الأصلين العلويين والستة الباقية على الناطق والأساس والامام والداعى والمستجيب. والستة مقام الستة حروف دالة على الحدود [1].

٢- **أسس التاريخ**. وقد تحول تاريخ الأديان إلى فلسفة فى التاريخ تقوم على أسس ستة تجمع بين الثبات والحراك، بين المنطق والجدل على النحو التالى:

١- القائم. وهو النبى ابتداء من آدم. عاش مائة عام. فترته ألفان وثمانون شهرا وخمسة عشر يوما. ليس له شريعة وان كان له أمة. ثم نوح. وكانت قبلته المغرب، ونسخ الأمر. ثم إبراهيم وكانت قبلته البيت، ونسخ نوح. ثم موسى، وكانت قبلته المغرب، ونسخ إبراهيم. ثم عيسى، وقد تكلم بالتأويل وضرب الأمثال. ثم محمد وله أربعة عشر اسما، سبعة فى القرآن، وسبعة فى الحديث. ثم القائم صاحب سدرة المنتهى. فالنبوة لم تنته بمحمد. والمجموع سبعة. القائم لم يمت بعد ومازال مستمرا. وهو خليفة الرسول. ومنه تبدأ الثورة. والقائم لم يمثله أحد بعد.

٢- الأساس. وهو الذى يقوم مقام النبى، شيث بعد آدم. عاش بالطائف. وسام بعد نوح، وإسماعيل بعد إبراهيم للباطن وإسحق للظاهر، وهارون بعد موسى، ويوشع بن نون ثم أولاد هارون، شمعون الصفا بعد عيسى، وعلى بعد محمد. وعليه تقوم الدعوة بعد أن ضاعت بفتاوى فقهاء السلطان.

٣- الضد. لكل نبى ضد أو ضدان، إبليس وقابيل لآدم، ونمرود لابراهيم، وفرعون لموسى، ويهوذا لعيسى، وأبو لهب لمحمد. والقائم ليس له ضد لأنه أقوى من الضد وبالتالى أقوى من النبى. الند هو المعارض والخصم والعدو مثل الأموية مغتصبى السلطة معاوية وآله، ويزيد وعصابته.

---

(١) الأصول والأحكام ص ١٠٩.

٤- صاحب الفترة. لكل نبى أصحاب فترات أى علامات ومؤشرات عليه، شخصيات تنبؤ بقدومه أو تحمل ضوءه مثل برد ومهلائيل ولاوى بالنسبة لآدم، وقابيل وتارخ أخو لوط بالنسبة لنوح، وقيدرا (إلياس) ويهوذا ولاوى بالنسبة لابراهيم، ويونس وزكريا بالنسبة إلى محمد. فهناك فترة فتح دور القيامة، فترة ابتداء النشأة الأخرى، الفترة بنفسها علامة دون شخص. فالتاريخ قد اكتمل وانتهى. اما القائم فليس له أصحاب فترات. فالتاريخ قد بدأ على الاطلاق.

ولا توجد فترة فى محمد نظرا لوجود الخلفاء لاكمال السبع المثانى. ولا يكون فى دوره انقطاع عن الأئمة كما كان فى الأدوار الماضية. ليس بعد شريعته شريعة أخرى تحدد نهاية الدور. وعلامة هذه الفترة استتار الأئمة لوقوع الشر والانتقام من الأشرار وعصيانهم والخروج عليهم. وقد يضاف اليه المتم وهو الذى يكمل الدورة بعد أن تتحقق الدعوة فى التاريخ. صاحب الفترة هو المؤشر على البداية والمتم هو العلامة على النهاية.

٥- الامام هو الذى يؤم الناس إلى الهدى. فبعد كل نبى أئمة سبعة. بعد آدم هابيل ثم شيث ثم برد ثم مهلائيل ثم فالغ، وهم خمسة. وبعد نوح سام ثم أرمخشد ثم غابر ثم هود ثم ثالخ ثم صالح ثم أرغوس ثم ثامور ثم لوط، وهم تسعة. ولابراهيم إسماعيل ثم قيدار ثم إسحق، ثم يعقوب ثم يوسف ثم عمار ثم ابن يامين ثم شعيب، وهم سبعة. ولموسى هارون ثم عمران ثم يونس ثم ذو الكفل وجرجس آخرهم، وهم أربعة. ولعيسى اليسع (فياليس) وقس بن ساعدة الأيادى، وكلهم من ولد إسحق، وهم اثنان. ولمحمد على ثم الحسن ثم الحسين وكلهم من ذرية إسماعيل حتى إسماعيل بن محمد، وهم ثلاثة. وواضح صعوبة العد والعثور على سبعة. فالتاريخ لا يسير طبقا للأعداد. وواضح أيضا تكييف الواقع التاريخية طبقا للنسق، وإدخال قس بن ساعدة كامام مسيحى عربى من الأئمة السبعة بعد المسيح. وإذا بلغ الامام السابع انتقل من الامامية إلى النطقية فى الدور التالى.

٦- اللاحق وهو من يتلو الامام أو يكون مصاحبا له. وهم اثنا عشر مما يتطلب وجود لاحقين لكل امام. وربما أراد السجستانى أن يجمع بين الاسماعيلية التى تقول بالأئمة السبعة والاثنى عشرية التى تقوم بالأئمة الاثنى عشر.

وشرف آدم فى أساسه شيث، هبة الله اليه. وينتقل الدور من هابيل إلى شيث إلى برد إلى مهلائيل إلى فالغ حتى نوح صاحب الدور الثانى فينسخ ما جاء به آدم من الأمر وان لم يكن لآدم شريعة. فالنسخ قد يكون للأمر وليس فقط للشريعة. وجعل نوح قبلته المغرب ثم استرق منه نوره فى أساسه سام ثم إلى أرفخشد إلى غابر إلى هود إلى شالح

إلى صالح إلى أرثمو إلى نافور ولوط وغيرهم وحتى ظهور إبراهيم. فالمغرب يشرق النور طبقا لمنطق التضاد. وتظهر الأسماء الفارسية مثل أرفخشد والعبرانية التى تدل على مصادر الفكر الشيعى، ثقافة فارس ودين إبراهيم. ثم نسخ إبراهيم شريعة نوح وجعل قبلته البيت. ثم انتقل النور إلى أساسه إسماعيل إلى قيدار إلى يامين وشعيب. وأصبحت فترته أولاد يعقوب إلى قيدار ويهوذا ولاوى. وواضح من هذا التسلسل للنور الدفاع عن المعارضة ضد رواية أهل السنة للأحاديث الموضوعة دفاعا عن السلطة. وتتفاوت الفترات بعد نوح. ثم ظهر موسى وهو صاحب الدور الرابع فنسخ شريعة إبراهيم، وتوجه إلى المغرب اقتداء بنوح. ثم انتقل إلى يوشع كفيلا لأولاد هارون. وبعد ستة أئمة رجع الأمر إلى أولاد هارون لأن أولاد يوشع كانوا غير مستقرين، فالاستقرار ضرورى للنبوة. ولا تكفى الحياة الرعوية المتنقلة [1]. وأصحاب الفترات منهم عمران ويوسف وذو الكفل. الفترة أصغر من الدور، والدور أكبر من الفترة. الدور بين نبيين، والفترة مراحل صغرى داخل كل نبوة. وعيسى مثل آدم، انتقل الأمر منه وصية إلى شمعون الصفا. وأصحاب الفترات بعده أصطفانوس ورقيا وإلياس. وأحيانا يبدو شمعون الصفا هوالوحى وأحيانا الاساس مما يدل على ضرورة اتفاق التاريخ مع المذهب حتى ولو على أنحاء مختلفة. ومحمد صاحب الدور السادس. نسخ شريعة من تقدمه من النطقاء، وجعل قبلته مثل جده إبراهيم. وأظهر بواطن شرائع من تقدمه. والأئمة من بعده متممين لشريعته ومحبين لسنته. لا تنسخ شريعة أخرى شريعته. أساسه على بن أبى طالب الذى كان له بمنزلة شعيب من آدم وسام من نوح، وإسماعيل من إبراهيم، وهارون من موسى، وشمعون الصفا من عيسى. وهم أصحاب النطق إلى ظهور الأشهاد. ودوره هو دور القرآن العظيم، وهو الدور السابع. والسؤال الآن: ما هى الفترات بعد محمد؟ هل يمكن معرفتها حتى القائم والقائم بنفسه غير معروف؟ وإذا كان القائم غير معروف وقت ظهوره ولا وقت عودته فكيف يمكن تحديد فترته؟ وإذا كان محمد أتى ببواطن الشرائع فهل يأتى الأئمة ببواطن بواطن الشرائع؟ ومن هم الأئمة بعد محمد؟ ويتضح مفهوم سلالة الأنبياء ليس فقط روحيا بل أيضا جسمانيا. ولا عجب أن يكون الحكم ملكيا وراثيا فيما بعد. وهو أكبر رد فعل على ظلم البيعة والاختيار كما حدث فى السقيفة.

ويتم وصف هذه الأدوار والفترات عل نحو كلى مضافا اليها الشريعة. فأول دور

---

(١) وهو ما تحاول الصهيونية اثباته حاليا من استقرار بنى اسرائيل فى فلسطين ونى كونها قبائل سامية رحل بين الشمال والجنوب.

دور آدم، أول مرتبة النطقاء، وأول وراء الستر. ليس له شريعة لما فيه من قوة الفطرة والحكمة وسجود الملائكة له. لذلك كان القائم تمامه وآخره وصاحب دور الكشف لما استتر من أدوار النطقاء. آدم يستر، والقائم يكشف. وأحيانا آدم يكشف، والقائم يستر. بدأ الخلق بآدم كي يعيده القائم فيظهر البيان، ويزول المستور. أساسه شيث، وسبعة من بعده، واثنا عشر من اللواحق. ومرتبته في العدد الآحاد. ليس له شريعة كشرائع النطقاء من بعده. والمستور أكبر رد فعل على الظاهر، والحق الضائع المستور أقوى رد فعل على الظلم الظاهر، الدولة القائمة. أما نوح والأئمة السبعة ولواحقهم الاثنا عشر فله قوة الرفع وابتداء الشرائع. قوته العشرات. وأساسه ولده سام. ودوره ألف سنة إلا خمسة أعوام. وإبراهيم الدور الثالث. وأساسه إسماعيل الباطن وإسحق الظاهر. والأئمة السبعة من ولد إسحق ولواحقهم الاثنى عشر. وقوته من المائة. وعيسى صاحب الدور الخامس. وأساسه شمعون الصفا. والأئمة السبعة من ولد إسحق.وآخرهم جرجس. وقوته من عشرات الألوف. ومحمد صاحب الدور السادس. يصل اليه النور من الدور السابق وأساسه على. ولواحقه الاثنا عشر. وقوته مئات الألوف. ومحمد بن إسماعيل صاحب الدور السابع من ذرية على. ولواحقه الاثنى عشر. وقوته ألوف الألوف. أول دور الخلفاء الأمجاد. ومنه تمام الثانى، وابتداء النشأة الأخرى، وفتح دور القيامة. وصاحب سدرة المنتهى الذى هو القائم. وقوته ألف ألف. وقام وراءه ثلاثة أئمة. ولا تتحدد فترة القائم الموجود حاليا أم أنه لم يظهر بعد؟ والسابع هو الوحيد الذى له اثنى عشر حجة وليس ستة أئمة، أى النصف. نكص ثلاثة. يهوذا واحد منهم. واستمر تسعة آخرون، ثلاثة فى ثلاثة. وبعد محمد أئمة ستة، والسابع محمد بن إسماعيل. وهو ليس القائم بل الامام السابع، أول الكهف والاستتار. وقام بعده ثلاث أئمة مستورون من ولده أصحاب الأدوار. وبين كل ناطق مستودعون يسبقونه [1].

وهذا كله قراءة للتاريخ طبقا للمذهب. فتحديد دور نوح الف سنة إلا خمس أعوام ليس تحديدا تاريخيا بل مذهبيا. ودور موسى غير مذكور لأنه يكفى أمثلة من باقى الأدوار. وتزوج الرسول اثنتى عشر زوجا ومات عن تسعة. فالحقائق العددية واحدة، والعدد هو الذى يتحكم فى التاريخ. والوفاة ليست مسؤولية الأزواج. كما أن الموضوع ليس استقامتهن بل إشارة متضمنة إلى عائشة وقوفها ضد على.

ويمكن قراءة الجدول ليس فقط رأسيا: القائم، والأساس، والضد، وأصحاب

---

(١) الأصول والأحكام ص ١٠٧-١٠٨.

الفترات، والأئمة، واللواحق بل أيضا أفقيا طبقا للأنبياء السبعة. فآدم هو القائم، واساسه شيث، وضده إبليس وقابيل، واصحاب الفترات برد ومهلائيل ولاؤى، والأئمة هابيل ثم شيث ثم برد ثم ملائيل ثم فالغ. واليوم الأحد والعدد الآحاد. ونوح أساسه سام، وأصحاب الفترات قابيل وتارخ أخو لوط. والأئمة سام ثم أرفخشد ثم غابر ثم هود ثم شالخ ثم صالح ثم أرغوس ثم نافور ثم لوط. واليوم الاثنين، والعدد عشرات، والدور تسعة وخمسون سنة. وإبراهيم أساسه إسماعيل للباطن وإسحق للظاهر. والضد نمرود، وأصحاب الفترات قيدار (إلياس) ويهوذا ولاؤى من أولاد يعقوب. والأئمة إسماعيل ثم قيدار ثم إسحق ثم يعقوب ثم يوسف ثم عمار ثم ابن يامين ثم شعيب. واليوم الثلاثاء والعدد المئات. وموسى أساسه هارون، يوشع بن نون ثم أولاد هارون، والضد قرعون. وأصحاب الفترات يونس وزكريا. والأئمة هارون ثم عمران ثم يونس ثم ذو الكفل. واليوم الأربعاء، والعدد الألوف. وعيسى أساسه شمعون الصفا. والضد يهوذا. وأصحاب الفترات إصطفانوس ومرقيا وإلياس (اليا). والأئمة المسيح أليسع (فياليس)، قس بن ساعدة، الأيادى، واليوم الخميس وعشرات الألوف. ومحمد أساسه على، والضد أبو جهل وأبو لهب. وأصحاب الفترات فتح دور القيامة وابتداء النشأة الأخرى. والأئمة على ثم الحسن ثم الحسين ثم من ذرية إسماعيل حتى محمد بن إسماعيل. واليوم الجمعة. والعدد مئات الألوف. وأول دور الخلفاء ثم تمام الثانى. والقائم لا أساس له، ولاضد، ولا اصحاب فترات، ولا أئمة. اليوم السبت، والعدد آلاف الألوف. وهو رسول مثل محمد. ربما هو المهدى المنتظر. فالتاريخ لم ينته بعد. لذلك وصل حد الشرك بالامام إلى حد الشرك بالله. نهاية التاريخ استئثار بالسلطة ودفاع عن الأمر الواقع، واستمرار التاريخ حركة للمعارضة ورغبة فى تغيير الوضع القائم إلى ما هو أفضل. هؤلاء هم صفوة الصفوة من العالمين الجسمانى فى النطقاء السبعة وهم اصحاب شرائع وأحكام، حلال وحرام. وبينهما ثلاثون نبيا أى فى كل فترة خمس أنبياء مبشرون ومنذرون لما شرعوه. لم يغيروا شيئا بل تابعوا النطقاء. وبين الناطق السادس والقائم السابع أئمة ظاهرون عاملون بالشريعة. لم يغيروا شيئا فيها. ومع السادس سنة الله الجارية [1].

ويبدو من هذه القراءة الأفقية أن الركن والأساس أو الضد قد يكون واحدا أو أكثر، اثنين أو ثلاثة. وقد يكون أصحاب الفترات أيضا اثنين أو ثلاثة. أما الأئمة فسبعة، واللواحق اثنا عشر دون زيادة أو نقصان. ولا يوجد تحديد لزمن الدورة إلا لنوح. ويظهر

---

(١) المذهبة ص ٢٦-٢٧.

النصارى العرب مثل قس بن ساعدة والأيادى كأئمة لعيسى. والقائم لا أساس له ولا ضد ولا أصحاب فترات ولا أئمة. إنما له يوم وعدد لأنه مفتوح على المستقبل. ويتم تحديد عمر آدم بالسنة والشهر واليوم، وتحديد دور نوح بمثل هذه الدقة دون تحديد باقى أعمار الأنبياء ودوراتهم [1].

وفى تصور آخر تختلف ألفاظ الأركان الستة. ويصبح الأساس هو الوحى، وأصحاب الفترات هم الأوصياء. ويظل الأنبياء سبعة [2]. ويلاحظ غياب العدد كلية فى كل الأنبياء، وغياب الأئمة باستثناء عيسى. ويشترك البعض فى الأوصياء والأئمة مثل دحية الكلبى ونوفل وسطيح الراهب فى عيسى. ويظهر أوصياء عرب مثل سطيح ونوفل (بحيرا الراهب) وجرجس. كما يظهر أئمة عرب مثل دحية الكلبى ونوفل وسطيح الراهب فى الحجاز، وبحير الراهب وصهيب المرقونى وكعب فى الشام وسلمان الفارسى فى فارس وزرقاء اليمامة وسيف بن ذى اليزن فى اليمن، مع تعريب تاريخ بنى اسرائيل. كما يظهر أضداد ومن آلهة العرب مثل يغوث ويعوق ونسرا. ويأخذ بعض الأئمة ألقابا

---

(١) عمر آدم مائة سنة، وألفان وثمانون شهرا، وخمسة عشر يوما. دورة نوح تسعمائة وخمسون سنة.

(٢) عاش آدم ٢٠٨٠ سنة، و١١٤٠ شهرا، و١٥ يوما. عاش ١٠٠ بمكة ودفن بها. الوصى هابيل وشيث فى الطائف. والضد إبليس. والأوصياء أنوش وضده بفيانوس ثم فينان، ومهائيل وضده سفارى، ومتوشالح وميخائيل. وعاش فالغ ٥٦ عاما. وعاش يغرد ٧٨ عاما. وعاش نوح ٧٤٢ عاما و٧ أشهر، و١٥ يوما. عمره ٩٥٠ عاما بالجودى. الوصى سام. والضد حام ويفوت ويعوق ونسرا. والأوصياء إدريس (إخنوخ)، وهرمس، وإرفخد (أريل) وغابر، وفالغ (ذو القرنين) وابن هود، وهود (ميخائيل) وصالح. وإبراهيم عاش ١١٥٠ عاما، و٧أشهر، و٨أيام. عاش ١٣ عاما بمكة. الضد نمرود بن كنعان. والأوصياء لوط وعاش ١٢٠ عاما، وإسحق ويوسف، وناقور (يامين) وعمران بن شعيب. وموسى عاش ١١٣٦ عاما، و٧ أشهر، و٢٨ يوما. والوصى هارون وعاش٤٤ عاما. والضد فرعون. والأوصياء طالب بن هارون وأشعيا ودانيال وداوود وسليمان. ودورة عيسى، ٥٧٠ عاما، ١٧ يوما. عاش ٣٢ عاما حملت فيه أمه ٩ اشهر من إسحق بن ابراهيم الوصى شمعون الصفا. والضد يهوذا. والأوصياء حزقيا (حزقائيل) وحزقيل، وبختنصر، وإرميا الصديق، ووصية الكلبى ونوفل وسطيح الكاهن وبحيرا الراهب وصهيب المرقونى وكعب وسلمان الفارسى وزرقاء اليمامة وسيف بن ذى اليزن فى اليمن. وعاش محمد ٦٣ عاما، والوصى على وعاش ٦٣ عاما مثل النبى والموسوى والعجل والسامرى. والضد أبو لهب مثل فرعون وقارون، ويغوث ويعوق ونسرا. والأوصياء الحسن المستودع وعاش ٤٧ عاما والحسين المستقر، وعلى زين العابدين وعاش ٥٧عاما، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق وعاش ٦٥ عاما، وإسماعيل ومحمد بن إسماعيل وأخوان الصفا الأربعة. والقائم ليس له وصى، وهو ليس اسم علم بل صفة مثل المهدى. لا ضد ولا أوصياء ولا أئمة ولا عدد له وكأنه نفيا للشرك والضد عنه.

مثل الحسن المستودع والحسين المستقر. والقائم لا وصى له ولا ضد ولا أئمة ولا عدد ولا دورة له. وأحيانا تذكر الفترة أو العمر بالدقة المتناهية، السنة والشهر واليوم، كالسجل المدنى. وأحيانا لا يذكر شئ على الاطلاق او يكتفى بالسنة أو السنة والشهر دون اليوم. وتدل كثرة أسماء الأئمة على وفرة القيادة السياسية ضد أئمة الظلم والتسلط. وتظهر الأعداد الرمزية مثل العددين ٧،١٢. وتكمل التصورات بعضها بعضا. فاللواحق الاثنا عشر، والأيام وحدة الدورات وتفضيل الأئمة وفترة القائم وعمره ومكان ولادته ودفنه وقبلته ليست مطردة فى كل الأدوار. ويختلف أهل الظاهر وهم العامة عن أهل الباطن وهم الخاصة داخل الشيعة. وتكثر الأضداد عند على نظرا لكثرة أعدائه وتجمع أهواء البشر كلها ضده. وينشأ به تاريخ الأمة مع تاريخ الأنبياء، جعفر مثل يعقوب الذى انتقل الأمر إلى ولده ناقور. ويخرج إخوان الصفا من الامام السابع محمد بن إسماعيل مما يدل على أنهم سابقون على الفكر الشيعى، وأنه كان فكرا جماعيا قبل ان يتبلور فى أفراد مثل السجستانى. ويذكر ذو القرنين ليس باعتباره واقدا يونانيا بل باعتباره أحد الأئمة بعد نوح.

ويظهر حساب دقيق لكل فترة من أصحاب الفترات داخل الدور الواحد. دور آدم ٢٠ سنة + ٤أشهر +١٥ يوما بهذه الدقة المتناهية ربما من أجل إنهاء الفترة إذا ما ظهر القائم من أجل الايذان بالثورة. كما يتم تحديده ضده، إبليس وعمره ١٠٠ سنة ومكان دفنه، سطح جبل أبى قبيس بمكة المشرفة على خلاف ما يرى أهل الظاهر من إطالة عمر النبى حتى ألف عام تعبيرا عن الخيال الشعبى. كان وصيه هابيل وبعده شيث الذى كتم الأمر وأخذ العهود والمواثيق. وأول من ظهر بالشر فى دور آدم. فمسار التاريخ من التجلى إلى الستر عند آدم فى البداية ثم من الستر إلى التجلى عند المقام فى النهاية. ودفن بالطائف. ويكفى تحديد المكان دون الزمان لربط الخيال بالواقع. ثم أتى بعده آنوش، وكان ضده بقيانوس من ولده قابيل. فالشر متوارث مثل الخير دون تحديد زمانى أو مكانى اكتفاء بالسلالة. ثم قام من بعده فينان وهو مهبائيل. وكان ضده سقارى، وأيامه أيام فترة. فالوحى له اسمان تضخيما للعظمة دون تحديد للمكان أو الزمان. ثم أتى بعده متوشالح ثم فحائيل وهو قالغ، وكان عمره ١٥٠ عاما. وهنا يأتى وصيان فى فترة واحدة. والثانى له اسمان. وعمره محدد فى الزمان. ثم قام بعده يزد، إماما لفترة، وعمره ٧٨عاما. وهنا يتناقص العمر. ثم قام بعده إدريس عند علو العظمة وهو أخنوخ. نزلت عليه ثلاثون صحيفة. وأول من خط القلم. سمته الفلاسفة هرمس المثلث بالحكمة. وهذه هى الاشارة الوحيدة ربما لهرمس باعتباره إدريس عند المسلمين، واختوخ عند اليهود، إحالة للآخر إلى ثقافة الأنا. وهنا يبدو موقف الشيعة من تاريخ الأديان موقف المتمثل وليس الرفض.

فالفرق غير الاسلامية جزء من الفرق الاسلامية. وتتداخل الأسماء العبرانية مع الأسماء العربية نظرا لأن تاريخ الأديان هو تاريخ العبرانيين [١].

وتتفاوت الأدوار من حيث طول الفترة وقصرها. فالدور الكبير يبدأ من آدم إلى القائم. كل الوحى وكل التاريخ. والدور الصغير بين كل ناطق وناطق أى نبى ونبى. ويتخلل الدور سبعة أئمة مستقرون فى الفترات التى تحدث لعلل وأسباب. فالأئمة خلفاء الرسل كالأحوال بين مقامين عند الصوفية [٢].

الرقم	النبى	الاسم الصامت	الأئمة الستة	السابع
١	آدم	شـــيث	٦	يرتقى إلى الناطق الثانى
٢	نـــوح	ســـام	٦	يرتقى إلى الناطق الثانى
٣	إبـــراهيم	إســـماعيل	٦	يرتقى إلى الناطق الثانى
٤	موســـى	هـــارون	٦	يرتقى إلى الناطق الثانى
٥	عيســـى	شـــمعون	٦	يوشـــع أم هـــارون
٦	محمـــد	عـــلى	كثيرون	يوشـــع أم هـــارون

وكل نبى له أساسه الصامت [٣]. الامام الأول بعده ستة أئمة. ودور محمد هو دور القرآن، خاتم الدائرات العظمى. فمحمد، خاتم الأنبياء، بعده القائم. ومحمد مثل باقى النطقاء لا يتميز بشئ. وواضح أيضا قبول الأئمة بعد عيسى مثل قبول الأئمة بعد محمد. شمعون الصفا (بطرس) بعد عيسى، وعلى بعد محمد. لكل ناطق صامت يكون قريبا منه واساسا له مثل موسى وهارون. وفى كل دور اثنان صامت وناطق. الناطق ينسخ شريعة من قبله ويأتى بشريعة جديدة. والصامت ينسخ تأويل ما قبله ويأتى بتأويل جديد.

٣- **مراحل التاريخ.** وتكرر نفس الأفكار من أجل التحول من تاريخ الأنبياء إلى فلسفة التاريخ مرة فى سلسلة متصلة واحدة ومرة متقطع دورا دورا. فهناك سبعة أدوار: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، والقائم.

أ- **آدم.** أهم الأنبياء كما يبدو ذلك من حجم الاشارة اليه وظهوره حتى فى الفهرس فى مقدمة الكتاب. هو أبو البرية. لم يكن هناك شئ قبله كما تدعى الهندسية،

---

(١) الأصول والأحكام ص١١٧-١١٨.

(٢) النبوات ص ١٩٣/١٨١-١٨٢.

(٣) مثل الحسن ،الحسين، على زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، إسماعيل بن جعفر، محمد بن إسماعيل. معرفتهم ضرورية قبل الارتقاء الىالقائمين.

ربما مرحلة الصفر قبل الآحاد ما دام العدد لا نهائيا من البداية والنهاية. آدم هو المختار والمستوفى وصاحب الاستحقاق. وآدم لا من أنثى ولا من ذكر فى حين ان عيسى من أنثى دون ذكر. هناك إعجاز فى الخلق منذ البداية. تبدأ النبوة بآدم خليفة الله فى الأرض، سيد الكون. أدله على الأسماء، وأمره بالكشف عنها للملائكة. ضعف عزمه لما أضله ضده الذى استكبر على السجود. فكل شئ له ضد. وهو جدل الصراع بين الحق والباطل، ومن ثم ضرورة الجهاد. والأسماء ليست هى العلوم كما يقول علماء العامة، أهل العمى والتيه أو أسماء أئمة الحق وأئمة الجور كما يقول بعض علماء الشيعة وانما أسماء من اختص من عباده ليقيم عليهم الحجة البالغة. وقد تكون هى الأسماء التى علمها الله له أى اللغة، الاشارات إلى الطبيعة وإشارات الطبيعة له. وربما هى المعانى تأكيدا على دور العقل فى فهم المعانى، علاقة الانسان بالطبيعة كما فعل حى بن يقظان. وربما تكون هى الأسماء التسعة عشر التى تاب الله عليه. والملائكة التى سجدت لآدم اثنا عشر. وهم فى الستر. يتغيبون ويظهرون بغياب القائم وظهوره. وحروف النطقاء السبعة ثمانية وعشرون: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، والقائم، وكذلك حروف أسماء الأوصياء السبعة: شيث، وسام، وإسماعيل، ويوشع، وشمعون، وعلى، ومهدى. وأسماء الأئمة السبعة: على، وحسن، وعلى، ومحمد، وجعفر، وإسماعيل، ومحمد. لم تكن له شريعة لأنه لم يكن هناك قوم بل كانت نبوته على الملائكة وكأن الملائكة مكلفون، لهم ارادات حرة تختار بها الحسن دون القبيح حتى تستحق الثواب دون العقاب. الملائكة مجبرة على الخير والطاعة وبالتالى الثواب. النبوة مرتبطة بالانسان وليس بالملائكة أو بالطبيعة. العقيدة سابقة على الشريعة فى الزمان والتاريخ. لذلك لم تكن لآدم شريعة. وأول من شرع هو نوح. يمكن للنظر أن يكتفى بذاته، حقيقة بلا شريعة تصورا بلا نظام. ويرمز آدم للغرب لأن الذى شرق غرب. والمغرب تسع ركعات. آدم يرمز للمغرب فى حين أنه للفجر أولى، فجر النبوة. وقد يعنى العشاء لأن منه تغشى الرحمة. بداية آدم الكشف الروحانى والجسمانى. وآدم أول "الكلمة" [1]. بعده ستة نطقاء وستة أوصياء، مد من حجة القائم سبعة أحرف. وكل ناطق والأئمة ستة حروف إلا محمد فانه أربعة وعشرون حرفا. حجج القائم ثلاثة حروف ثم ستة وسبعون حرفا لحجج نوح وأئمته من دور آدم لأنه لم يكن له حجج ولا دعاة تسعة وعشرون حرفا لأياديه وحججه. وصعبت أيام دعوته من أجل هابيل. فمجموع الخلق وبدأ الحروف والأيادى ٧٣٠ حرفا حدثت منها

---

(١) يمكن مقارنة "الكلمة" عند الشيعة و"الكلمة" فى انجيل يوضا وعند فيلون السكندرى.

حروف الخلق إلى يوم القيامة وكشف الستر وظهور الكشف. فما هى هذه الحروف؟ وما دلالة العدد ٧٣٠ حرفا؟ هل هذا تفسير لنزول القرآن على سبعة أحرف؟ ليس الحرف هنا فقط حرف اللغة المقروء أو المسموع بل هو الطبيعة والكون، "الكلمة المتجسدة". ولماذا الاختلاف بالزيادة المتدرجة من ستة حتى ستة وسبعين؟ كل ذلك من سمات فكر المعارضة مقابل فكر السلطة، الغموض ضد الوضوح، الباطن ضد الظاهر، الخيال فى مقابل الواقع، الوهم فى مقابل الحقيقة.

هبط آدم وحواء وإبليس من الجنة إلى الأرض نتيجة لتفاعل الأضداد ولقيام الدعوة. من الصامت البيان والهداية مثل آدم وحواء، وكلمتى الشهادة. وتعنى التوبة الرجوع إلى الحالة التى افتقدها آدم، العودة إلى دور الستر، وانقضاء دور النطق وظهور القائم. لذلك أتت التوبة بعد السبع الطوال بازاء الفاتحة. وقبول توبته بظهور القائم بعد مضى أدوار النطقاء. هناك رؤية مأساوية فى حياة آدم وباقى الأنبياء تشبه وضع الشيعة النفسى كمجتمع المضطهدين: صراع الأضداد، ظهور الأوصياء والأئمة لاستمرار المقاومة، وانتصار القائم فى التاريخ إن عاجلا أو آجلا. آدم أول جسمانى عبد الله وأظهر أمره. وكان أعلم من الملائكة وأفضل منهم بالعلم الذى أطلعه الله عليه. لذلك وجب له سجود الملائكة. وهم حجج دور الكشف. وهم اثنا عشر، وأصحاب المراتب والمنازل. خرج عن طاعة إبليس وقابيل لحسده وتكبره على هابيل ظانا أنه يرقى منزلة آدم. فخالف أمره وعصاه. وأصحاب الفترات فى دوره، برد مهلائيل ولاؤى. وواضح أثر الاسرائيليات فى إطلاق الأسماء. أمره الله أن يسكن هو وزوجه الجنة. ووجه محبته، والجنة دعوته، والشجرة بيانه. عند البعض حد القائم الذى أراد آدم التطاول عليه. وعند البعض الآخر البر الذى لا يجوز كشفه لأهل دعوته وهو الأرجح. وتتدخل رمزية الألوان فى التصوير. لما هبط آدم من الجنة مسخوطا كان أسودا ثم أصبح أبيضا لما تاب الله عليه تدريجيا على ثلاثة أيام، ثلثا كل يوم، تأكيدا على التطور والنماء. وقد كان الله قادرا على بياضه فى يوما واحدا بل وفى طرفة عين. فلكل مثل ممثول، ولكل ظاهر باطن. وهى رمزية مستمدة من القرآن فى جدل الأبيض والأسود [1]. وهى جماليات عربية خالصة لأن الأسود جميل فى الجماليات الأفريقية فى المجتمع الأبيض. وواضح أن الفكر الشيعى يحكمه منطق الهوية والاختلاف. إذ يتطابق كل شئ مع كل شئ، الحروف والأعداد والأفعال والأكوان. وفى نفس الوقت يقع التفاوت والاختلاف والتضاد فى كل شئ.

---

(١) الأسابيع ص١٦٧، المذهبة ص٤١١/٥٢/٧١/٧٩-٨٠، النبوات ص١٨٤-١٨٥، الأصول والأحكام ص١٠٤-١٠٥.

ب- ر ع. من النطقاء الخمسة. فالكلمات خمسة أحرف دلالة على النطقاء الخمسة. الكاف نوح لكون الشريعة وكون السفينة، واللام إبراهيم الذى لمعت النبوة والامامة فى عقبه. والميم موسى الذى به تربعت الرسالة. والميم بحساب الجمل أربعون، والألف عيسى الذى لم ينسب إلى أحد من البشر. كما أن الألف لا تتصل بحروف. والتاء محمد الذى به تمت الشرائع. وتلاه صاحب اليوم الآخر. ويبدأ ظهور نوح بتوبة آدم ورجوعه إلى الستر الأول. فيظهر الناطق الثانى. أول من خرج من السفينة، وغرس الكرم لايجاد الخمر كما هو فى التوراة أى أنه نبى الشرائع التى منها مخامرة العقول ومدهشة الأذهان. نوح هو أول من شرع الشريعة. ومدة الدور الثانى ٧٤٢ عاما + ٧ أشهر+ ١٥ يوما. وهو أصغر من الدور الأول، دور آدم. عاش ٩٥٠ عاما أكثر مما عاش آدم. ويتدخل الخيال الشعبى فى الحالتين إذا طالت المدة إلى ألف عام ويختفى إذا قصرت المدة إلى مائة عام وهى حدود الخيال الشعبى الآن إذا ما دعى لأحد بطول العمر والبقاء. ونوح أول رسول من أولى العزم مع أن آدم مثله. ضده حام أى الغرب. والساميون هم الأوصياء. فمعاداة الغرب واجبة، الشرق ضد الغرب، واليهود ضد الغرب. وقيل أن الضد يفوت ويعوق ونسرا، آلهة العرب. الضد له أكثر من اسم. وقد دفن بالجودى. وصيه سام، وضده أنوش بن كنعان أو يفوث الذى يقال أنه عاش ١٦٨ عاما. ثم قام بعده أرفخشد وهو آريل. ويقال له غابر. منه إلى فالغ ويقال له ذو القرنين الذى وصل إلى علم الظاهر والباطن. ثم من بعده هود وهو ميخائيل ثم صالح ثم لوط. وكان عمره ١٢٠ عاما. وكان صاحب فترته قابيل وتارخ أخو لوط. وقد ساح عند اشتداد الظلمة. وقام فالغ بن غابر بالسيف، وهو ذو القرنين بن هود. ويلاحظ تكرار الأضداد وعدم شهرتها مثل فرعون ونمرود ويهوذا وأبو لهب. وبعض الأوصياء لهم أكثر من اسم مثل أرمخشد اى أريل أى غابر، وفالغ أى ذو القرنين، وهود أى ميخائيل. وبعض الأسماء ثقيلة على الأذن مثل أرفشخد بها أصوات فارسية. والبعض له رصيد عبرانى مثل ميخائيل خاصة وأن العبرانيين يعيشون نفس فكرة الاضطهاد، وتأصيلا تاريخيا للفكر الشيعى فى فكر المضطهدين. وهل ذو القرنين الذى نال علم الظاهر والباطن هو الاسكندر وهو معاصر فى القرن الرابع للميلاد بالنسبة إلى الفترة ما بين نوح وإبراهيم من القرن الأربعين حتى القرن العشرين قبل الميلاد. ومن الصعب ضبط هذه التواريخ زمانيا. وكيف تنتشر الدعوة بالسيف، والأئمة دعاة هدى إلا أن يكون الصراع قد بلغ اشده؟ [1].

---

(١) النبوات ص١٨٤-١٨٥، المذهبة ص ٥١، الأصول والأحكام ص ١١٨-١١٩.

جـ- إبراهيم. ولقبه الخليل كما أن آدم الخليفة، وموسى الكليم، وعيسى كلمة الله وروح منه، ومحمد المصطفى، وهو ليس فقط أبو الأنبياء بل هو أبو الشعوب. ينتمى اليه العرب والعجم، الناطق والمستور، الظاهر والباطن. ولا تعنى العجم هنا الفرس بل كل غير العرب مثل البربرى بالنسبة إلى اليونانى. فاسماعيل أبو العرب، وإسحق أبو العجم. وهذه هى القرابة، أن يكون الأب عربيا، وأن يكون الابن أبا العجم، ولا غرابة فى ذلك لأن دور الكشف للعرب، ودور الستر للعجم. العرب العاربة أهل الباطن، والعجم العاجمة أهل الظاهر. إسماعيل مبدع، وإسحق مقلد. والامامة للمبدعين لا للمقلدين. لذلك خرج موسى وعيسى من صلب إسحق المقلد للظاهر حتى أتى محمد من صلب إسماعيل فأظهر الباطن. وقد أخبر الله فى التوراة وفى الانجيل أنه يكون له من ولد إسماعيل اثنا عشر ملكا عظيما، ولم يكن له من ذرية إسماعيل إلا محمد. والعجيب أن إعطاء العرب دور الكشف، والعجم دور الستر يدل على خلو الفكر الشيعى من الشعوبية التى لزمته فى الدراسات الشائعة.

الدور الثالث دور إبراهيم ١١٥٠ عاما + ٧ أشهر+ ٨ أيام. وهو دور أكبر من الثانى، وأصغر من الأول. وضده نمرود بن كنعان أول ملوك الجبابرة. عاش ١١٣ عاما، ودفن فى بيت القدس. كان وصيه إسماعيل وعمره ٩٠ عاما وقبره بمكة. ثم قام من بعده أخوه إسحق ثم ولده يعقوب ثم ولده يوسف ثم ناقور أو يامين ثم عمران ابن شعيب وأصحاب الفترات إلياس وهو قيدار ويهوذا ولؤى. ويلاحظ هنا أن المقصود ليس التحديد الزمانى أو المكانى بل الترتيب الذهنى والنسق الخيالى. فكيف يدفن إبراهيم ببيت المقدس وقد عاش بمكة؟ وكيف يدفن إسماعيل بمكة وأبوه ببيت المقدس؟ ويلاحظ الأسماء العبرية وأصولها التوراتية.

وإسماعيل وصى إبراهيم. والامامة فى عقبه حتى ظهور محمد. ثم تخرج منه إلى على وولده من بعده. واختفى أبناء إسحق تقية من غلبة الفراعنة والأضداد، ودخلوا فى دور الستر. إسماعيل الكشف، وإسحق الستر. إسماعيل الباطن، وإسحق الظاهر. ثم صار أولاد إسحق لواحق وأبواب لولد إسماعيل بالرغم من خلاف البعض. الامام من قيدار بن إسماعيل لا من ولد يعقوب. وما زالت الامامة فى ولد قيدار بن إسماعيل حتى عدنان فحسده أخوه على المرتبة. وكانت العرب تستشيره لحكمته. ثم أخفى أمره، وخرج إلى الشام كما خرج الرسول مهاجرا إلى المدينة. وهو الامام فى عصر موسى. وكان شعيب لاحقه وحجته وصاحب عترته. وهو المخاطب لموسى من الشجرة. واستتر أولاد

إسماعيل تقية من فرعون والأضداد. وظهر أولاد إسحق. ويذكر يوسف فى تأويله للأحلام. فالخمر فى الحلم الظاهر، والباطن هو الحقيقة.

أعلن إبراهيم وصايته لولده إسماعيل فى دور إسحق ثم إلى يعقوب ثم إلى يوسف. ثم وقعت فترة طويلة إلى أن اتصلت الامامة بأيوب ثم إلى يونس ثم إلى شعيب. وهو مقياس موضوعى لطول الفترات وقصرها. كما توجد بعض اختلافات بين حكماء الشيعة فى وصف تفصيلاتها. كما يوجد بعض التعسف فى الواقع كما هو الحال فى كل فلسفات التاريخ حتى تتفق مع الرؤية العامة. ويرفع إبراهيم القواعد من البيت أى الأربعة أركان: إسماعيل ومحمد والقائم وليس لاسحق فيه شئ، ركنان متقدمان إبراهيم وإسماعيل وركنان متأخران محمد والقائم من ولد إسماعيل. كما تقوم صلاة الظهر على أربعة أركان بتسليم واحد. الفرض مثل إبراهيم وإسماعيل، والسنة مثل محمد والقائم. وموسى وعيسى من ولد إسحق. وهنا تتحول الشريعة إلى نبوة، والنبوة إلى تاريخ [1].

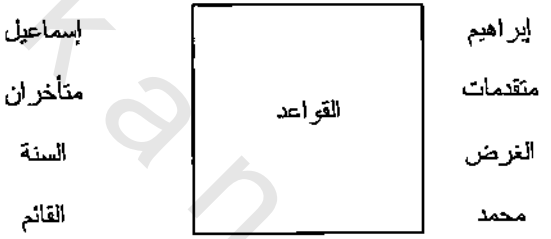

ولما كان كل دور يبدأ لينهار كما حدث لأدوار آدم ونوح من قبل فإنه يحدث الآن لدور إبراهيم. فقد خرقت شريعة إبراهيم. وتهاون أهلها. وتقاعسوا عن القيام بفروضها، وفرطوا فيها مما أدى إلى تبديلها بشريعة أخرى على أيدى ناطق آخر يقيمها. فالنطقاء أطباء النفوس. يظهرون فى الوقت المناسب بأمر الخالق، ويقيمون السياسات الالهية والأحكام التشريعية مما يصلح لذلك الزمان فتصلح النفوس وتزال عنها الأدران. النطقاء مثل الأنبياء أطباء النفوس. وهو تشبيه شائع عند إخوان الصفا والفارابى وابن سينا. يظهرون بأمر الخالق أى بقوانين التاريخ ونضج الثورة. والاصلاح تطهر فردى قبل التغير الاجتماعى، والداخل قبل الخارج كما هو الحال عند الحكماء[2].

الامامة فى نسل إبراهيم بناء على طلبه واستجابة الله له. وهى نظرة عرقية تجعل النبوة وقفا على بنى اسرائيل فى حين عممها القرآن ﴿ وما من أمة إلا خلا فيها نذير﴾.

---

(١) الأصول والأحكام ص١١٩/١٢٤/١٢٧-١٢٨/ المذهبة ص ٦٦/٦٩-٧٠، الكافية ص ٩٢.

(٢) انظر مقدمتنا لترجمتنا لرسالة اسبيوزا فى اللاهوت والسياسة ص ٢٢٧-٢٥٤.

ليست الذرية حقا مكتسبا ﴿ قال لا ينال عهدى الظالمين﴾. وفرق بين ولادة الدنيا وولادة الدين بين الولادة الظاهرة والولادة الباطنة. والنبوة من الولادة الدينية لا من الولادة الدنيوية، من الولادة الروحية وليست من الولادة البدنية، النسب والقرابة والذرية. بل أن ذرية إبراهيم تسود دورته أكثر من إبراهيم ذاته مؤسس الدين الطبيعى [1].

د- موسى. ولقبه هو كليم الله. فقد تكلم مع الله ولم يره. وهو أوسط النطقاء. قبله آدم ونوح وابرهيم. وبعده عيسى ومحمد والقائم. فهو أقواهم. ما قبل موسى يمهد له. وما بعد موسى مستمد منه مثل سليمان. كان قويا ضد خصومه. ولما كان لكل نبى خاصية فان خاصية موسى شريعته ووضع سياسة تميزه عن غيره من الرسل. كما حظر أمته دخول السكن زمنا والجلوس على المائدة فى حين رخص ذلك لنفسه ولأولاد أخيه هارون مما يكسر عموم القانون. كانت شريعته خاصة باليهود وبمن لهم الفضل عن غيرهم. شريعته ناسخة لشريعة إبراهيم. جاء موسى للنهوض بالشريعة من جديد بعد ضياع شريعة إبراهيم بعد ان طهر نفسه واتفق مع عدنان إمام عصره وحكيم دهره على ذلك ضد تغلب الفراعنة والأضداد. نسخ موسى شريعة إبراهيم وألف شريعة جديدة، وبين فرائضها وسننها، وجاهد ضد من تخلف عن قبولها. وأقام أخاه هارون وصيا وعينا ومؤولا فأظهر حقائق التأويل، وأبان معانى التنزيل. وأشرق العالم بنور الهداية. موسى أول ناطق من بيت إسحق، وأول الأنبياء والأركان وذلك لأن إبراهيم بنى الكعبة وجعلها أربعة أركان دليلا على من يأتى بعده من النطقاء، ركنان لموسى وعيسى من بيت إسحق على اليسار، وركنان لمحمد والقائم على اليمين ثم أصبحت الامامة فى عقب عدنان أمام موسى ولدا عن ولد حتى خزيمة فقام بالامامة. وهذا هو معنى رفع إبراهيم القواعد من البيت.

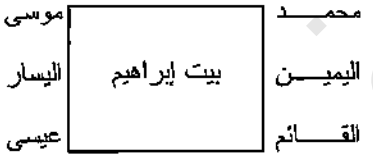

ويمثل موسى العلم الظاهر فى قصته مع الخضر وعدم صبره على الدخول إلى الباطن لمعرفة سبب قتل الغلام وغرق السفينة واقامة الجدار، دلالات الملك الغاضب وذى القرنين والسدان والقوم الذين لا يفقهون. العلم بالأسباب الخفية لأهل الصفوة. السفينة دعوة شعيب إلى موسى وتسلم موسى منه عهد الفتح ولم يكن بعد نبيا. وكان

(١) الأصول والأحكام ص ١٢٨، النبوات ص ١٥٨/١٠.

صاحبه العبد الصالح. الخضر هو سببه إلى الارتقاء. والسفينة دعوة منصوبة بغير اذن. لم يعرف موسى السبب لأنه لم يصل إلى مرتبة النطق. وكذلك قتل الغلام الذى عرف موسى سببه فيما بعد واعتذر عن جهله. أما الملك الذى يأخذ كل سفينة غصبا فيشير إلى صاحب الدور موسى الذى تجب طاعته. أما الجدار الذى يريد أن ينقض فهو موسى الذى يريد أن ينطق دون أجر. ثم قص موسى حلما على العبد الصالح كأنه فى البحر قصبة طويلة عليها طير أبيض ينزل إلى البحر ليأخذ قطرة. فالبحر سادس النطقاء. والقصبة العبد الصالح، والعصفور موسى.

ويستدعى الشيعة ذاكرة الأمة، قصة موسى وفرعون لاثبات نضال الامام ضد القهر. فلا فرق بين الحاضر والماضى. والتاريخ يعيد نفسه، مصعب بن الوليد هو فرعون موسى فى استكباره. أراد موسى من بنى اسرائيل وكلهم ١٦٢٤٠٠٠ اخراجهم من الظلمات إلى النور. فدخل فى الإيمان ما بين ٢٠-٥٠ من الرجال والكهول، الأقلية الصالحة. وكان علماء فرعون ٤٢٠. حاجهم موسى وانضموا اليه. وهذا ما يفعله الامام كل عصر وزمان، الواحد المؤيد من الله. وكل من جعل ندا للامام أو بديلا عنه فقد أشرك. فالايمان بالامام يعادل الإيمان بالله [1].

وموسى هو الناطق، بالنسبة إلى السابق كما أن الأساس هو الامام بالنسبة إلى اللاحق. هكذا كان يخاطبه هارون. وسليمان خامس الأئمة فى دور موسى. وسليمان حامل الكتب. موسى هو الناطق من الأب. وهو السابق. وهارون هو الأساس من التالى وهو الامام. فاذا ما غاب الناطق صار الأساس هو الذكر الناكح الوارث توكل إليه جميع الحدود العلوية.

ودوره الدور الرابع ومقداره ١١٣٦عاما+١٧شهرا+٢٨يوما، بهذه الدقة. عاش ١٠٧ عاما. ودفن فى جبل الطور وليس فى بيت المقدس لأنه تاه فى سيناء مما يكشف عن الصراع على بيت المقدس فى الاسرائيليات. وهو موسى بن عمران من ولد إسحق بن إبراهيم. وضده فرعون ثانى ملوك الجبابرة. وصيه هارون الذى عاش ٨٠ عاما. وقام بعده يوشع بن نون كفيلا على ولد هارون الذى عاش ٦٤ عاما. ثم قام من بعده كالب بن هارون وأشعيا ودنيال وداوود وسليمان الذى قام منه علو الظالمين بالسيف. وكان من أصحاب فتراته يونس وزكريا. فهل قاوم سليمان بالسيف أم داوود مثل فالغ بن غابر،

---

(١) الأسابيع ص ١٦٢، المذهبة ص ٦٧/٣٩-٧٣/٦٨، النبوات ص ١٣٨، الأصول والأحكام ص١٢٩-١٣٠.

وهو اسم كريه يصور الغبار والقتال. وكان شعيب لاحقه وحجته وصاحب فترته. وهو المخاطب لموسى من الشجرة بلسان حجته وهو العبد الصالح. قام بالرسالة، وألف شريعة جديدة، وأبان فرائضها، وجاهد من تخلف عنها. ومن لم يستجب لها كان كافرا. أقام أخاه هارون وصيا له ومعينا فى نبوته وتأويل شريعته فأظهر حقائق التأويل، وبين معانى التنزيل. موسى أول ناطق من بيت إسحق. والركن الأيمن دليل على محمد والقائم المنتظر وهما من ولد إسماعيل. علاقة موسى بهارون مثل علاقة التنزيل بالتأويل، الظاهر بالباطن، الناطق بالصامت، المكشوف بالمستور، محمد بعلى. ولكل ناطق أربعون حدا طبقا للمنقول. لذلك قد يخطئ التنظير العقلى وقد يصيب نظرا لاعتماده على المنقول[1].

هـ- عيسى. ولعيسى وضع خاص مثل آدم فيما يتعلق بخلقه وغيبته.خلق عيسى من أنثى وليس من ذكر كما خلق آدم لا من انثى ولا من ذكر. خلق بفعل الروح فى بطن مريم. وقد أتى بعد دعاء زكريا إلا يبقى وحيدا فوهبه الله يحيى. وهذا حال كل داعية تطول بلواه وتشتد محنته. القابه المسيح عيسى. مرتبته أنه وجيه عند الله ومن المقربين. مسيح السماء، ومسيح آل محمد. وقد أخطأت الغلاة فجعلته عبد الله بن الصادق. فالتأليه والتعظيم إذن عاطفة انسانية تنطبق على أى شخص كما هو الحال فى تحقيق المناط. ويستعمل لفظ "الأيس" الشهير عند الكندى أى الوجود، والأيسيات أى الموجودات، وفعل يتأيس أى يوجد، والأيسية أى الوجودية، لتصوير شخص عيسى. فكلمة الله علة الأيسيات وبقائها. والناطق محل الكلمة فى العالم الجسمانى. فقيل عن عيسى كلمة الله وروح الله. وكل منكر للرسل تزول أيسيته [2].

وهو صاحب الدور الخامس، ومدته ٥٧ عاما دون تحديد شهر ويوم. من ولد إسحق بن إبراهيم. وصيه شمعون الصفا. ضده يهوذا الذى سلمه إلى اليهود. حاول تغيير شريعته والتكبر على وصيه. الامام فى عصره خزيمة. فلما استتر كان زكريا الذى كفل مريم فأصبحت حجته وبابه. اجتمع بها رسول الامام خزيمة وفاتحها بظهور المسيح من دعوتها، وأعلمها أنه صاحب العصر وناطق الوقت. قيل أن حمله قد تم فى ثلاث ساعات أو سبعة ايام أو ستة أشهر، والحقيقة تسعة أشهر كالمعتاد. عاش ٣٢ عاما. وتسلم الأمر من بعده مرقص ويقال له حزقائيل وحرقيل وبختنصر وإرميا الصديق. أصحاب فتراته إصطفانوس، المسيح أليسع، وربما فياليس وهو قس بن ساعدة الأيادى ثم أليا. وكان بين

---

(١) المذهبة ص ٥٦-٥٧، الأصول والأحكام ص١١٩/١٢٢-١٢٣، النبوات ص ١٨٧-١٨٨.

(٢) النبوات ص ١١/٧٠/١٥٧-١٥٨، المذهبة ص ٦٨/٧٢-٧٣/٧٨.

ثلاثة: دحية الكلبى وسطيح ونوفل، ويقال بحير الراهب. حجاب آليا لأن متمم الزمان جرجس، آخر متمم لدور عيسى. كان لديه فى الحجاز دحية الكلبى ونوفل وسطيح الكاهن، وفى الشام بحيرا الراهب وصهيب المرقونى وكعب. وفى فارس سلمان الفارسى. وفى اليمن زرقاء اليمامة وقيل سيف بن ذى يزن لأنه ينادى بظهور محمد ويبشر بقيامه[1].

والفترة بين موسى وعيسى ستة أئمة: أليسع، عزيز، داود، سليمان، زكريا، يحيى. ووقعت الفترة من أولها بعد وصيته. فلما بلغ الأمر شعيا آل داود واتصلت الامام بعده فى سليمان ثم زكريا ثم يحيى قام عيسى الناطق الخاص فى حد التمام والنطق. ثم وقعت فترة طويلة إلى أن اتصلت فى جرجس آخر متمم فى دور عسى. فالفترات بين الأئمة الستة حتى يتم الانتقال إلى الناطق التالى تختلف فيما بينها طولا وقصرا. ويلاحظ على هذا الوصف التاريخى الاضطراب الزمانى، وجعل يختتصر فى القرن السابع قبل الميلاد مع خلفاء عيسى وأوصيائه فى القرن الأول الميلادى. كما يتدخل الخيال الشعبى فى مدة حمل مريم من ثلاث ساعات إلى سبعة أيام وفى جرجس متمم الزمان. ويتضخم دور يهوذا ليس فقط تسليمه عيسى لليهود بل تغيير شريعته ووصيته، فالشرير يكون كذلك إلى أقصى حد. وتتعدد أسماء مرقس وحزقائيل، واصطفانوس يبدو أحيانا هو المسيح اليسع وفيالبس. ويتدخل التراث العربى كبديل للأسماء مثل قيس بن ساعدة الأيادى ودحية الكلبى وبحيرا الراهب وصهيب الرومى وكعب. فالمسيحية دين عربى، فى الشام وفى الحجاز وفى اليمن فى شخص زرقاء اليمامة وسيف بن ذى يزن. كما تظهر فارس كوسط للأوصياء والأئماء فى شخص سلمان الفارسى [2].

لم يكن لعيسى دار هجرة دون الأنبياء بل كان وحده، صمد وضحى بنفسه. وقد نفى الله عيسى عن القتل والصلب للدلالة على أن البعث للأرواح دون الأجساد. فالقتل والصلب الأجسام. والهاء فى آية ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ﴾ إشارة إلى الانية والهوية التى رفعها الله اليه. فالبعث للهويات أى للأرواح. والصليب اسم للخشبة التى يصلب عليها الانسان. وتلك علامة أخبر بها. والعجيب ان المسيح لم يرفع قتل الكافرين الجاحدين له رفعا كليا وان كان لم يجاهد بنفسه لأن تلك علامته، مثل القائم الذى لا يحتاج إلى محاربة أحد من أعدائه. تكفيه الروح. كما ان خلقه، اللين والحلم، يمنعه من ذلك. رسالته الحكمة. الدين والتراكيب والمواليد علة واحدة. فى التراكيب سعدان ونحسان. وفى الدين عيسى

---

(١) النبوات ص ١٨٨-١٨٩، الأصول والأحكام ص ١١٩.

(٢) الأصول والأحكام ص ١٢٤.

بين موسى ومحمد كما أن إبراهيم بين نوح وموسى فى الأخلاق. وواضح اللجوء إلى التنجيم مثل إخوان الصفا والفارابى كثقافة شعبية شائعة [1].

ونبوة عيسى شريعته وسياسته، صور روحانية، وحقائق وعلوم وحكمة، ومتحررة من شريعة موسى انتظارا لدور محمد. ظهر المسيح عيسى بن مريم لتجديد شريعة موسى فى عصر الفراعنة مثل فراعنة موسى. وربما المقصود الرومان والأحبار الذين أفسدوا الشريعة وقتلوا الأولياء والقائمين عليها والعاملين بها. فاستتر خزيمة واختفى. وقام مقامه زكريا الذى كفل مريم التى كانت حجته وبيانه. مريم الحجة، وزكريا الباب. واجتمع بها رسول الامام خزيمة وبشرها بالمسيح، وأعلمها أنه صاحب العصر، وأنالها الله من تأويل ما لم ينله زكريا. وبعد نسخ شريعة موسى أظهر الرحمة والرأفة والحكمة لأنه كان ببيت إسحق وقائم دوره. لذلك سمى قائم القيامات الذى هو بيت إسماعيل، وقائم دوره. وربما جاء ليبشر بمحمد. استبدل بشريعة موسى اللطافة والأمنة والرحمة. فالقوة من الروح. والرهبنة قوة يخشاها الناس. به حال آدم، وحسن يوسف، وخلق داود، وقوة عيسى. وقد اخطأ الجاهلون فى ربوبيته. فهو مثل أخلاقى. ضرب الأمثال للتأثير فى النفوس من أجل الممثولات. تنبأ بالناطق السادس، وأمر حواريه بالايمان به وهو الذى سيأتى بالممثولات. وتلك مهمة التأويل. وواضح حسن الترجمات العربية القديمة للانجيل.

و- **محمد.** لما كان المركب الذى يتلو الأربعة هو السنة عددا تاما لا تزيد أجزاؤه ولا تنقص كانت الأدوار ستة من آدم إلى محمد. وفى كل دور تنشأ الصور الروحانية. وكمال دعوتهم واستقامة أحوالهم بالقائم. أساس الأدوار الرياضيات، فلا فرق بين علم الحساب وفلسفة التاريخ.

محمد هو الناطق، صاحب الدور السادس. ضده أبو لهب. عاش ٦٣ عاما. وأقام بمكة المكرمة، وهاجر وهو ابن ٥٣ عاما. وكان إماما فى المدينة عشر سنوات. وتوفى فى ربيع الأول فى ليلة خلت من يوم الاثنين بهذه الدقة المتناهية. الدعوة السرية فى مكة ثلاث سنوات أطول من الدعوة العلنية فى المدينة عشر سنين: تأسيس التصور أطول من تشريع النظام. وكل رسول يفضل من تقدمه بدرجة أو درجتين. فقد أطلع محمد على مراتب النطقاء ليلة الاسراء والمعراج. ورأى آدم فى السماء الدنيا. وكل ناطق فى سماء أعلى من صاحبه إلى أن بلغ سدرة المنتهى. وهى السموات السبع التى تقابل الحروف

---

(١) النبوات ص٧٠-٧١/ ١٣٠/ ١٨٥/١٨٨-١٨٩، الينابيع ص ١٤٦، الأصول والاحكام ص١٠١/١٢٠/١٣٠.

السبعة، تقدما رأسيا وليس تقدما أفقيا. محمد دور ناطق له دور صامت كما هو الحال بين موسى وهارون [1].

ولمحمد أسماء وألقاب وكنى. له أربعة عشر اسما، سبعة من القرآن، وسبعة من الحديث. من القرآن محمد، أحمد، يس، المزمل، المدثر، الضحى، عبد الله. ومن الحديث الفاتحة التى فتح الله به الاسلام، الخاتم الذى ختم النبوة، الكافى الذى أرسله الله إلى الثقلين كافة، المقتفى الذى اقتفى آثار الأنبياء، المعقب الذى عقب الأنبياء، الحاشر الذى يحشر يوم القيامة على طاعة ولده. ويلاحظ تداخل بعض الأسماء مثل المعقب والمقتفى. وهناك أسماء خفية معانيها مثل: طه، يس، الضحى، أصبحت أعلاما. وله أسماء يشارك فيها غيره من الأنبياء مثل النبى، الرسول، البشير، النذير، السراج، المنير، الشاهد، الشهيد. وله أسماء يشارك فيها غير الأنبياء مثل الامام، الداعى لأنه بين علم من مضى ومن بقى، يوم الجمعة الذى جمع الله فيه الفضائل. وتكرر بعض الأسماء مثل الشاهد والشهيد. وهى كلها ليست أسماء للنبى باستثناء محمد وأحمد. والباقى صفات أفعال وحالات معينة وقت نزول الوحى مثل المزمل والمدثر. والبعض لا أسماء ولا أفعال مثل الضحى، مجرد صورة فنية تنطبق على أى اشراق او إصباح. وعبد الله صورة فنية لكل البشر وللمسيح. والماحى والفاتح والخاتم وظائف مشخصة متضخمة للنبى تجعله يقوم ببعض أفعال الله كما حدث للامام. والبعض مجرد حروف مثل طه، يس. والبعض غير صحيح مشتق افتعالا مثل الفاتح، الماحى، الكافى، المعقب، المقتفى. والبعض يدل على الاستمرار التاريخى وتاريخ الأنبياء، السابق واللاحق. والبعض صورة تشبيهية مثل البشير والنذير والسراج. والبعض يشارك فيه باقى الأئمة. وفى إطار البسملات والحمدلات والصلوات على محمد تظهر بعض الألقاب الأخرى بناء على عواطف التعظيم والتفخيم التى تصل إلى حد التأليه مشاركة لله فى أسمائه. فهو الغفور الودود، خاتم النبيين، إمام المتقين، رسول رب العالمين، الصادق الأمين، صاحب الشريعة، محمد المصطفى، سيد الأوائل والأواخر. وبهذه الطريقة تصبح الأسماء والألقاب لا نهاية لها مثل أسماء الله الحسنى [2].

ومنزلته الخامس من الأئمة طبقا لبعض المتقدمين على القاضى النعمان مثل منزلة الخامس من أولى العزم من النطقاء. وله غيبة كغيبته، وظهور كظهوره. يعلى أمر الله،

---

(١) النبوات ص ١١، الينابيع ص ١٥٣، الأصول والأحكام ص ١٢٠/١١٦-١١٧.

(٢) الأصول والأحكام ص ١٠٠/١١٢/١١٦-١١٧، المذهبة ص ٢٨/٥٢/٨٧، تحفة المستجيبين ص ١٤٦

وينصر الناطق، ويمكن له فى البلاد، وينصره على الأضداد، ويتم به أمره. نصر السماء فى مقابل هزيمة الأرض[1]. ودعوته عامة للناس جميعا. وقد بلغ الرسول دعوته إلى كسرى فى الشرق والمقوقس فى الغرب. وتنبأ بفناء الأضداد. لما شرح الله صدره من المستغلقات قام بنشر ذلك بين أمته كى يهديها من الحيرة والضلال، ويذهب عنها ضيق الصدر وحمل وزر الاستغلاق، ويرفعه إلى أعلى المراتب. وبعد كل مستغلق منفتح. فاذا فرغ من اقامة الشريعة يلتفت إلى الأساس والخوض الروحانى لمنفعة الأمة. ومن خصائص الرسول ألفة الناس له وألفته لهم. استطاع الرسول تأليف القلوب وتطهيرها من الكراهية والشحناء والعداء والبغضاء. فالنبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأرواحهم، والصبر على ما يقول الأضداد والمنافقين وهجرهم وإمهالهم إلى أن يأتى القائم. فعلى يديه يهلكون. وقد غفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر. ما تقدم مشروط بالتوبة، وما تأخر مصادرة على المعصية إلا إذا كان حسن النية والقصد فهما يدفعان إلى ذلك أو أن الحكم بالموازنة، موافاة الحسنات السيئات كما يقول المعتزلة او على الجوهر وليس الأعراض، على الكيف وليس الكم. وله الفتح والنصر المبين. وله الزى المميز لكل من الديانات الثلاث. الاسلام والنصرانية واليهودية [2].

وقد خصه الله بالشريعة، الصلاة واحد وخمسون ركعة فى كل يوم وليلة. خمس صلوات أولهن الظهر دليل محمد. كما خص بالسبع المثانى والقرآن العظيم، وهى الأدوار السبعة. وقد يضاف الحديث ليفيد نفس المعنى. وقد تزوج الرسول باثنى عشر زوجا ومات عن تسع. فلم يستقم الثلاث على الطريقة. والخطاب الموجه إلى نساء النبى يبين تفردهن وعدم مشابهتهن لباقى النساء. وهو موجه إلى الاثنى عشر انتقالا من الازواج إلى الأئمة والأخيرة منهن هى الأساس بالرغم من أن إحداهن فى الظاهر. لما آلت اليه الحدود العلوية صار ذكرا وارثا مستحقا قبل أن يتوجه الخطاب إلى آخر الأنبياء كشاهد ومبشر ونذير وداع وسراج منير. والسابع لا يسبق بالقول، وهو الأمر وهم الباقون ولخاتم الأنبياء رخصته فى الشريعة مثل نكاح فوق الأربعة، ومن تهب نفسها له وهو الناطق. وقد زالت المتعة بنكاح الرسول. كما خص الرسول بتغيير الشريعة ارضاء لزوجاته. ولأمته ترخيص ترك الصلاة فى الليل وتحريم ذلك على النبى. وقد اختلج فى قلبه من المنافقين من يكون أشد وطأة عليه من الليل. وله فى النهار سبح طويل فى الظاهر. تجمع

---

(١) كما هو الحال فى "مدينة الله" عند القديس أوغسطين.

(٢) المذهبة ص ٣٥/٤٧/٥١-٥٢/٥٨-٥٩/٧٨، النبوات ص ١٠٦/١٥٤/١٨٩.

النبوة مكارم الأخلاق. ويضع الأنبياء شرائع عامة لأمتهم لزجرهم عن الشهوات وكان مهمة النبوة الزجر والمنع والتحريم وليس الاشباع واعطاء الحقوق [1].

ولا يذكر محمد إلا وصيه عليا، ابن عمه وصهره، زوج فاطمة الزهراء، إمام بمكة سنة واحدة أو ١٢ سنة لأنه أول من آمن من الصبية. عاش ثلاثا وستين سنة مثل النبى وتوفى فى تمام الأربيعن من الهجرة. واستشهد ليلة الجمعة لأربع عشر خلت من رمضان وفى العشر الأخير منه. أضداده ثلاثة ممثلهم موسى والعجل والسامرى، فرعون وهامان وقارون، يفوت ويعوق ونسرا، تجسد الأضداد السابقة كلها. تولى الأمر بعده ولده الحسن المستودع. عاش ٧٤ عاما وقبره بالبقيع. ثم قام بعده أخوه الحسين المستقر. استشهد فى كربلاء فى العاشر من محرم. ثم قام من بعده ولده زين العابدين. عاش ٥٧ عاما وقبره بالبقيع. وبعده ولده محمد الباقر دفن بالبقيع. ثم ولده جعفر الصادق عاش ٦٥ عاما. وقبره بالبقيع. ثم ولده محمد بن إسماعيل فى حياته وبين يديه حجته. حياة جعفر مثل حياة يعقوب عند انتقال الأمر إلى يوسف ثم إلى نافور. وخرج دعاته وحججه مبشرين إلى اليمن والمغرب وكافة أقطار الشرق مثل عبد الله المبارك، عبد الله بن حمدان، عبد الله بن ميمون، عبد الله سعد بن الحسين. وكان إسماعيل أكمل أولاد جعفر وأعلمهم. وأقام دعاته فى كل مكان. وأخذوا العهد باسمه ثم أوحى إلى محمد ولده فقام جده مقام أبيه كما قام نافور مقام يوسف فى حياة جده يعقوب. وعظمت دعوته حتى قيل أنه صاحب القيامة. وبعده تسلم الدعوة ولده المستور عبد الله بن محمد. ستر نفسه من الأضداد من أهل عصره لأن زمانه كان زمان محنة. والمتغلبون من بنى العباس يطلبون من يشاء اليهم حسدا وبغضا من أولياء الله. ونظرا لاستتار الأئمة قيل إنهم من ولد محمد بن إسماعيل، عبد الله بن ميمون القداح، قداح الحكمة أو عبد الله بن سعيد الحسين أو عبد الله بن المبارك أو عبد الله بن حمدان. وهم الذين كتبوا رسائل إخوان الصفا[2]. ويلاحظ دلالات القاب الأئمة مثل المستودع للحسن والمستقر للحسين. فاللقب يعطى الجوهر والدعوة والرسالة. وكيف يكون الحسن كذلك وقد بايع يزيد؟ هل بايعه تقيه؟ وهل يليق لقب المستودع له؟ لماذا لقب المستقر للحسين الشهيد؟ والبعض تذكر أعماره، وليلة استشهاده، وعمره وسنة وفاته والبعض لا مما يتطلب منطقا للعموم والخصوص. والنسل ليس مطلقا على التوالى. فقد يأتى الحفيد بدلا من الابن مثل محمد بن إسماعيل من جعفر

---

(١) المذهبة ص ٣٣/٣٧/٥٢/٥٥/٥٧/٥٩-٦٠/٧٠-٧١، النبوات ص ٧٦/٩٥/١٧٣/١٧٦.

(٢) الأصول والأحكام ص ١٢٠-١٢١.

الصادق. وقد يكون الأخ مثل الحسين والحسن وليس الابن. وإذا كان الوصى ولدا فاين تذهب الوصاية؟ هل فى أكملهم؟ النسل اذن ليس عاملا مطلقا، والعامل الحاسم فى الولاية والوصاية. فجعفر أكمل أولاد إسماعيل. الفضائل مكتسبة وليست فقط موروثة. ويشبه الجديد القديم، والتاريخ يعيد نفسه، تاريخ دعاة الشيعة مثل تاريخ أنبياء بنى اسرائيل، وصاية إسماعيل مع والده جعفر مثل وصاية يوسف مع يعقوب. ويتم الاقرار بأن إخوان الصفا من الشيعة الاسماعيلية، وان فكرهم نابع من ولد إسماعيل بعد ضياع الأثر والنسل بعد محمد بن إسماعيل، وانتشارها فى اليمن والمغرب مما يفسر وجود الرسائل هناك. كما تدل أخطاء اللغة العربية على مصدرها الشعبى واستخدامها العامى.

وللأئمة أيضا ألقابهم. فعلى بن أبى طالب صاحب اليوم الموعود والحوض المورود والمواثيق والعهود. وهو مجرد سجع وتفخيم للتأثير على النفس. وهناك ألقاب للأئمة وألقاب للفرق، الحسن والحسين السبطان الشهيدان. ذريتهما حجج على كل موجود، زين العابدين الامام الطاهر المحمود، محمد الباقر الامام صاحب اللواء المحدود، جعفر الصادق الامام صاحب النور الموجود، إسماعيل الامام صاحب المقام المورود. وألقاب الفرق مثل الأئمة المستورين عن أعين كل حاسد مطرود، والذرية الفاطمية الطاهرة المتسلسلة من نسلهم إلى اليوم المشهود الذى عدته ٥٠٠٠٠ عام معدود. والقائم الحجة صاحب الزمان بالأمر، صاحب الزمان والعصر. امتد منه سائر الدعاة. والامام الحاضر الموجود، صاحب العهد منه سائر الدعاة. والامام ولى الأمر الحاضر الموجود، صاحب العهد المعهود، الغفور الودود. وكلهم من الاسماعيلية الباطنية دون النزارين فى سرمين والنيرب. والقائم مفتوح تحديد بالاسم تركا للمستقبل بلا تحديد. كل ذلك فى اطار الصلاة والسلام على محمد وآل البيت (١).

وقد قام الشيعة بتخريج كل هؤلاء الأئمة عن طريق تحقيق المناط على طريقة الأصوليين فى شرح آية قرآنية ﴿ محمد رسول الله .. ﴾. وقد ساعد القرآن على ذلك لأنه حمال أوجه. كما أنه يدعو صراحة إلى التأويل مثل ﴿جد ربنا﴾ الذى أفاض فيه ابن عربى. وقد صرح القرآن بالتأويل. فالحرم معناه الاغراء بالدخول فيه كالنساء. ويتكرر نفس الشخص أكثر من مرة فى تحقيق المناط. ويكون السؤال: هل وظيفة الآية تثبيت المناط بتحقيقه أم ابقاؤها على عمومها وحركتها دون تحديد لمناطها فى واقع معين وعلى أشخاص محددين حتى يظل الاجتهاد قائما فى كل عصر. فالتأويل اجتهاد أيضا، ربط

---

(١) الأصول والأحكام ص ١٠٠-١٠١، تحفةالمستجيبين ص ١٤٦، النبوات ص ١٩٠-١٩١.

الفرع بالأصل. والواقع بالنص. وقد ترك النص الواقع غير محدد إلا بكناية، رسما لا اسما ﴿محمد﴾ هو الرسول، وهو الوحيد المذكور باسمه، ﴿ والذين معه﴾ على ابن ابى طالب، ﴿اشداء على الكفار﴾ هم الحسين بن على ﴿ رحماء بينهم﴾ أى الحسين بن على، والركع على بن الحسين، والسجود محمد بن على، والمبتغون فضلا من الله هم الصادق والرضوان المبارك. والسيماهم فى وجوههم من أثر السجود القائم والمثل فى التوراة والانجيل كالزرع هو الأساس، والذى أخرج شطأه الحسن بن على، والذى آزر الحسين بن على، والذى استغلظ على بن الحسين، والذى استوى محمد الباقر، والسوق الصادق، والذى يعجب الزراع المبارك ليغيظ بهم الكفار هو القائم. و﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ المغفرة الذين صدقوا بالأولياء وكذبوا بالأعداء، والأجر العظيم الثواب. ويلاحظ ظهور التقابل بين الحروف والأسماء، العين والميم وعلى لينال مرتبة المعية. تشير الآية إذن إلى الرسول والناطق والأساس وهكذا تقطع الآية لتشير إلى وقائع واشخاص فى الخارج وكما هو الحال فى اللاهوت وليست مجرد بواعث عامة تنطبق على أى وقائع. التأويل هنا تحويل العام إلى خاص، والمعنى إلى واقع، والمجرد إلى محسوس. كما تتكر بعض الأشخاص أكثر من مرة مثل الحسين بن على. وهو تفسير ظنى لا دليل عليه يمكن للمعارض أى الدولة القاهرة اللجوء اليه لحصار المعارضة واستئصالها.

ز- **القائم**. وهو أول المتممين فى دور الحسن القائم بالامامة بعد الوصية. وقد أخبر الرسول ان الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا اى أنهما إمامان سواء أقاما الخلافة الزمنية أم قعدا عنها. الحجة هنا نقلية وليست عقلية. والمتمم الثالث على زين العابدين، والرابع محمد الباقر لأنه أول من بقر العلوم وأظهرها وأحياها، وفرق اللواحق فى الجزائر، وأقام الأجنحة فى البقاع، وجاهد الكفار. والخامس ولده جعفر الصادق. والسادس إسماعيل صاحب الفترة لعلو عظمته من بنى العباس. ولم تكن كالفترات المتقدمة فى أدوار النطقاء بانقطاع عدد الامامة بل الاستتار حظى إبراهيم ومحمد، وجعل الكلمة باقية فى عقبيهما إلى يوم القيامة. والسابع محمد بن إسماعيل. ثم استتر الأئمة لتشريدهم شرقا وغربا. وهناك فرق بين هؤلاء الأئمة فى التاريخ ووجودهم فى الوعى كما مثلتها الأساطير الشعبية ابتداء من الرسول وعلى بن ابى طالب والحسن والحسين، وباقى أئمة آل البيت. وتطول الفترة عندما يعظم الاضطهاد ويشتد. ويغيب الامام تقية، انتظارا لعودته. والقائم متمم النطقاء بعد انتهاء الأتماء فى دور محمد.

ويصعب الحديث عن القائم، فترته، عمره، أضداده، أوصياؤه، أتماؤه لأنه يمثل

المستقبل، بين الحياة والموت، الحضور والغياب، المعلوم والمجهول. ليس له اسم بل صفة ورسم، قائم حاضر، وليس قاعدا غائبا. ويمكن الحديث عنه سلبا أى ما بعد الناطق السادس. ويتداخل مع أتماء وأوصياء الناطق السادس. ما بعد الناطق السادس هو ما قبل الناطق السابع. ومن ثم يدخل على

وبنوه بين السادس والسابع. ليس له بداية إلا فى الأئمة بعد الناطق السادس، ولا نهاية إلا بنهاية الزمان. يقيم أيضا بغديرقم. أفعاله إنسانية إلهية كونية فى آن واحد مثل تكوين الشمس، وانكدار النجوم، وخروج يأجوج ومأجوج، فى هذا العالم وفى نهاية العالم. مهمة القائم استمرار النبوة ليس فى صورة اجتهاد وقياس بل تأويل من المنطق الحسى العقلى إلى المنطق الشعورى، ومن الأفعال إلى النفوس، ومن الجزء إلى الكل، ومن الفرد إلى الشعوب، ومن الواقع إلى التاريخ، ومن الموضوعية التى يمكن مراجعتها إلى الذاتية والكشف [1].

سادسا: من الفكر الشيعى إلى الفكر السنى.

١- **تنظير الموروث الفلسفى.** لم يكن الفكر الشيعى وحده هو الذى قام بتنظير الموروث بل ساهم معه أيضا الفكر السنى. ولم يقم بذلك قادة المعارضة السياسية وحدهم بل أيضا حكماء البلاط.

أ- **أبو الحسن العامرى. فى "انقاذ البشر من الجبر والقدر"** تحول طبيعى من الكلام إلى الفلسفة، ومن المنقول إلى المعقول، ومن الاعتزال إلى الحكمة، بل ومن الفلسفة إلى المنطق أى الفلسفة الخالصة المجرد دون أى أثر من أفلاطون أو الأفلاطونية المحدثة كما هو الحال فى الاستشراق [2]. بل هى محاولة للتحول من الخطاب الفلسفى إلى الخطاب الأدبى حتى ولو بطريقة السمع وبداية التأليف الفلسفى الطبيعى. الموروث فيها أقرب إلى الموروث الشيعى، تاريخ الأديان والثقافة الوطنية الفارسية القديمة مثل الثنوية والمجوسية بالاضافة إلى الثقافة الاسلامية سواء من الكلام كالقدرية والمجبرة أو من أئمة الشيعة مثل جعفر الصادق أو من فقهاء السنة المتعاطفين مع التشيع مثل أبى حنيفة. هذا بالاضافة إلى أصل الوحى فى القرآن [3].

---

(١) الأصول والأحكام ص ١٢٤-١٢٥، المذهبة ص ٥٦، الكافية ص ٩٢، النبوات ص ٥٨.

(٢) أبو الحسن العامرى: انقاذ البشر من الجبر والقدر، رسائل أبى الحسن العامرى وشذراته الفلسفية، دراسة ونصوص، د. سحبان خليفات، منشورات الجامعة الاردنية، عمان ١٩٨٨ص٢٤٩-٢٧١.

(٣) جعفر الصادق، ابو حنيفة (٢)، على بن أبى طالب (١)، المجبرة، القدرية (١)، الثنوية، المجوسية(١)، آية قرآنية (١).

وفى "التقرير لأوجه التقدير" يعود الشرق للظهور، مملكة الشرق دليلا على بزوغ الفكر الجديد، وهى على يمين العالم فى الجبلة[١]. ومن الوافد لا يظهر إلا اللفظ المعرب "الأسطقسات" فى "الفصول فى المعالم الالهية" والكيموسات البلغمية. ومن الموروث تتصدر الآيات القرآنية أصل الموروث الأول ثم الحكماء والطبيعيون والالهيون من الحكماء. ومن الفرق الكلامية تظهر فرقتا الجبر والقدرية. كما يحال إلى الرسول محمد والى إدريس النبى أو هرمس. والرسالة مكتوبة إلى الشيخ أبى الحسين عبيد الله مما يدل على الظروف المحلية للتأليف، جبال الهند والسند ومبادئ التنجيم. ويحال إلى باقى مؤلفات العامرى مما يدل على وحدة الفكر مثل "النسك العقلى والتصوف الملى" و"الارشاد لتصحيح الاعتقاد" [٢].

ب- مسكويه. وتمثل **"فى اللذات والآلام"** نموذجا لتنظير الموروث الذى يتجه إلى "الابداع الخالص" نظر لضعف الموروث فيه. لا يشار إلى الوافد إلا بألفاظ عامة مثل الحكماء والطبيعيون على الاطلاق. أما الموروث فهو أكثر ظهورا مثل فيلسوف الاسلام على بن أبى طالب، وعمار بن ياسر[٣]. وهو شيعى الاتجاه. لديه قدرة على العرض العقلى والتركيز مما يوحى ببداية التحول إلى الابداع الخالص. ويظهر مسار الفكر، إحالة اللاحق إلى السابق، والسابق إلى اللاحق مما يدل على وحدة الموضوع ومنطق الاستدلال، والنسق الداخلى للخطاب. كما يكشف عن التراكم الداخلى وبداية الوعى الفلسفى نظرا لأن المقال كله موجه ضد مذهب أبى بكر الرازى فى اللذة. وتربط بين العلوم الرياضية والأخلاق فى أثر الألحان على النفس ، والموسيقى على الأخلاق. ويظهر أثر الموروث فى تحويل الله إلى خير، والدين إلى أخلاق. فالخير المطلق هو الله تعالى، وهو الكمال الأكمل، واللذة المطلقة، مدرك لذاته وأشرف المعشوقات. واللذة مقصود الهى عظيم فى الأمور الالهية، وهى سبب وجود العالم والنظام الالهى والسياسة الربانية. والبداية بالبسملة والنهاية بالحمدلة والصلاة وعلى محمد النبى وآله. فالتأليف صادر من الموروث تنظيرا له من الداخل دون استعانة بالثقافة الوافدة [٤].

---

(١) التقرير لأوجه التقدير، السابق ص ٣٠٣-٣٤١.

(٢) الآيات (٦)، الحكماء (٣)، الطبيعيون (٢)، الالهيون من الحكماء (١)، محمد، إدريس النبى (هرمس)، الشيخ أبو الحسين عبيد الله (١)، الجبر والقدر (١)، جبال الهند والسند (١).

(٣) مسكويه: فى اللذات والالام ص ١-٩ Extrait du Bulletin d'etudes Orientales de L'institut Francais de Damas ,T. Xvii, - ; M. Arkoun.

(٤) الحكماء (٢)، الطبيعيون (١)، على بن أبى طالب (٢)، عمار بن ياسر (١).

جـ - **ابن سينا.** وتمثل بعض رسائل ابن سينا فى الحكمة والطبيعيات وفى النفس نماذج لما قبل الابداع الفلسفى، تنظيرا للموروث وحده دون تمثل الوافد على الاطلاق إلا فيما ندر وكبقايا من الماضى البعيد. لم يعد المطلوب هو تمثل الوافد كما هو الحال فى مراحل الشرح، التفسير والتلخيص والجامع أو العرض والتأليف والتراكم فى تمثل الوافد أو تفاعله مع الموروث. فقد تم الاجهاز عليه كلية وتحويله إلى جزء من الثقافة الفلسفية حتى أصبح وافدا موروثا أو موروثا وافدا بل تنظير الموروث فحسب حتى يمكن تجاوز الوافد والموروث معا إلى مرحلة الابداع الخالص، والابتداء من المصدر الداخلى وهو الكتاب والسنة، وكأن الحكمة علم كلام جديد لا شأن له بالحجاج والدفاع والخصوم والفرق بل بالتنظير العام والتصورات الكلية للعالم.

ويستعمل ابن سينا الأسلوب الشخصى المباشر وتحليل التجارب الحية. فالفلسفة لم تعد نقلا بل ابداعا. ليست مجرد تجميع وتمثل واستيعاب بل معاناة وتجربة وحياة. وقد استنفذ جهده فى تصفح كتب العلماء. فوجد أن البحث عن القوى النفسانية بحث عويص. واستدعى من أقوال الحكماء والأولياء "من عرف نفسه فقد عرف ربه" و"من عجز عن معرفة نفسه فأخلق به أن يعجز عن معرفة خالقه"، مرة إيجابا ومرة سلبا. لافرق بين سقراط والنبى، بين اليونان والقرآن فى مصدر واحد هو الموروث بعد أن أصبح الوافد مكونا فيه ومتحدا به [1].

وفى "رسالة فى العشق" لا توجد إلا إحالة واحدة إلى تفسير ابن سينا لصدر المقالة الأولى من كتاب "السماع الطبيعى"، لمعرفة العلل الطبيعية والعلة الأولى[2]. وقد يكشف ذلك عن قراءة إلهية للطبيعيات إذ ان العلة الأولى ليست موضوعا للطبيعة بل لما بعد الطبيعة. وقد يدل ذلك على أن الطبيعيات مقدمة للالهيات، وأن البحث عن العلل الأربعة تمهيد للوصول إلى العلة الأولى أوباختصار أن الطبيعيات إلهيات مقلوبة إلى أسفل وأن الالهيات طبيعيات مقلوبة إلى أعلى. ومن الموروث الأصلى يذكر ابن سينا حديثين، واحد غريب، والثانى قدسى. الأول يفيد أن حسن الصورة لا يوجد إلا عند جودة التركيب الطبيعى. وبالحسن تقضى الحوائج. ويصر ابن سينا على أنه حديث بنص القول. والثانى عن العشق المتبادل بين الله والانسان بمواصفات خلقية معينة للإنسان [3].

---

(١) ابن سينا: القوى النفسانية ص١٤٧.

(٢) ابن سينا: رسالة فى العشق ص ١-٢٧.

(٣) "اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه" ،السابق ص ١٦، "ان العبد إذا كان كذا وكذا عشقنى وعشقته"، ص ٢٦.

ولم يذكر ابن سينا فى "**معرفة النفس الناطقة وأحوالها**" أيا من فلاسفة اليونان بل ذكر ست آيات قرآنية وأربعة أحاديث نبوية مما يبين حضور الموروث وغياب الوافد، وان الابداع ليس مشروطا بالوافد وحده بل قد يكون بالموروث وحده. وهو أكبر عدد من الشواهد النقلية فى الرسائل النفسية الست [١]. فى البداية يستشهد ابن سينا بآيتين من القرآن لبيان أن النفس او الروح من أمر الله وأن الانسان لم يؤت من العلم إلا قليلا، وأنها سر على العلماء والدهماء على حد سواء. ويستشهد أيضا بالقرآن لشرح معنى التسوية أى جعل البدن بالمزاج الانسى مستعدا لنطق النفس الناطقة به. واضافة "من روحى" تدل على أن النفس من جوهر مخالف لجوهر البدن وهو البرهان الثالث. فهناك "أنا" جامع للادراكات مخالف للبدن، جوهر فرد روحانى [٢]. ويسمى ابن سينا القرآن الكتاب الالهى بعد الاشارة اليه كوحى يتضمن السؤال عن جوهر النفس. كما يستشهد بالقرآن فى آخر الفصل الثانى فى بقاء النفس بعد بوار البدن عن طريق الكمال بالعلم والحكمة والعمل الصالح فتنجذب النفس إلى الأنوار الالهية وأنوار الملائكة والملأ الأعلى كما تنجذب الابرة إلى جبل عظيم من المغناطيس، وفاضت عليه بالسكينة والطمأنينة حتى ينادى عليها من الملأ الأعلى. ويقسم ابن سينا النفس إلى ثلاثة أقسام عقلا. الأول الكاملة فى العلم والعمل وهم السابقون. والثانى الناقصة فى العلم والعمل، والثالثة الكاملة فى أحدها الناقصة فى الأخرى. هذه القسمة النظرية تنظير لقسمة القرآن. فأصحاب الميمنة هم الكاملون فى العلم والعمل، وأصحاب المشأمة هم الناقصون فى العلم والعمل. أما الدرجة المتوسطة فغير واضحة فى الآية إلا إذا كان المقصود السابقون السابقون أى المنافسة نحو الكمال فيصبحون كاملين فى العلم والعمل. ويظل الاشكال فى الدرجة المتوسطة قائما فى حاجة إلى مزيد من التنظير. هل يتساوى الكامل فى النظر الناقص فى العمل مع الكامل فى العمل والناقص فى النظر أما ان الكمال فى العمل يجب النقص فى النظر مؤيدا بآيات أخرى مثل ﴿ قل اعملوا ﴾ هذه القسمة الثلاثية تعادل قسمة خصال النفس إلى العفة والشجاعة والحكمة ومجموعها العدالة، وهى خصال الكاملين فى النظر والعمل دون الاشارة إلى أفلاطون ولكن تعشيقا عقليا للوافد فى الموروث وجعل الموروث وعاء لتمثل الوافد [٣].

---

(١) ابن سينا: فى معرفة النفس الناطقة وأحوالها، أحوال النفس ص ١٨١-١٩٢.

(٢) يرفض جان بول سارتر وجود مثل هذا الأنا، انظر ترجمتنا ومقدمتنا لكتاب "تعالى الأنا موجود" دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٦.

(٣) معرفة النفس ص ١٨٢/١٨٤-١٨٨/١٩٠.

ويستشهد ابن سينا بأربعة أحاديث. الأول فى الحقيقة ونسبتها إلى قائل الحق تجاوزا التشخيص. محمد قائل الحق وأرسطو هو الحكيم يكمل البعد الأفقى "من عرف نفسه" بالبعد الرأسى "فقد عرف ربه" (١)، من الداخل إلى الخارج، ومن النفس إلى الله (٢). كما يستعمل ابن سينا الحديث للبرهنة على تمايز النفس عن البدن. فمعرفة النفس وليست معرفة البدن طريق إلى معرفة الله. والثانى يثبت به ابن سينا أن النوم أخ الموت فى موضوع بقاء النفس بعد بوار البدن(٣). إذا نام الانسان بطلت عنه الحواس، وصار كالميت. والانسان فى نومه يدرك الغيب والمنامات الصادقة. وهو برهان على تمايز جوهر النفس عن جوهر البدن. والثالث لاثبات النعيم الذى خلقه الله فى السموات من الحور العين والأطعمة اللذيذة وألحان للطيور مع الايحاء بأنه حديث قدسى، صورة للمرتبة الثالثة من النفس، وهى مرتبة المتوسطين أى النعيم الحسى. كما أن الحديث القدسى مرتبة متوسطة بين كلام الله وكلام الرسول (٤). والرابع لاثبات أن العقل هو أول العوالم وأعلاها مرتبة فوق النفس والجسم. يستشهد ابن سينا بالحديث القدسى لاثبات أن العقل له مكان مركزى فى الموروث كما هو الحال فى الوافد بالرغم من تأويلات الصوفية له وزحف التصوف على الفلسفة منذ إخوان الصفا وخلال الفارابى وابن سينا حتى الغزالى. لذلك كان ابن سينا أقرب إلى الطبيعيات منه إلى الالهيات فى حين أن الفارابى كان أقرب إلى النحو والمنطق حتى أتى ابن رشد فزحف علم الأصول على الفلسفة. ويشرح ابن سينا الحديث على أنه ثلاث مقولات طبقا للقسمة الثلاثية المعروفة عند أفلاطون دون تصريح بذلك أو ذكره نظرا لأن الوافد أصبح فى اللاوعى المعرفى من ذكريات الماضى البعيد.

و"فى ماهية الصلاة" فلا يذكر شئ من الوافد. إنما يذكر الموروث الأصلى، القرآن، (مرتان) والحديث (ست مرات). والموضوع جديد على الوافد وأصيل فى

---

(١) هذه الأحاديث الأربعة هى "من عرف نفسه عرف ربه"، "النوم أخو الموت"، "أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"، "أول خلق الله تعالى العقل ثم قال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر. ثم قال: فبعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أعز منك. فبك أعطى، وبك آخذ، وبك أثيب، وبك أعاقب".

(٢) هذا هو طريق أوغسطين، وأنسيلم وديكارت فى الفلسفة الغربية.

(٣) ابن سينا: معرفة النفس ص ٨٢/١٨٦-١٨٧/١٨٩.

(٤) انظر دراستنا: من نقد السند إلى نقد المتن، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الخامس، القاهرة ١٩٩٦، ص ١٣١-٢٤٣.

الموروث. الآية الأولى تثبت أن لله الأمر والخلق، والثانية أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. ومن الأحاديث يفسر الأول أن الصلاة عماد الدين، أنها وسيلة الاتصال بالأفلاك وأداة لتصفية النفس بتشبهها بالأجرام السماوية. الدين هو التصفية، والصلاة عماد الدين. الصلاة قاعدة الإيمان، ومن لا صلاة له لا إيمان له،، ومن لا أمانة له لا إيمان له. والثالث والرابع أن الصلاة مناجاة للرب، والمناجاة تتم بالعقل. والخامس حديث قدسي في صياغته أن المصلي يناجي ربه، ومذكور ثلاث مرات، مرتان في صيغة قصيرة، ومرة في صيغة طويلة. والسادس يميز بين الصلاة الشرعية البدنية العددية الظاهرة في مقابل الصلاة الروحية القلبية الباطنية كما هو الحال عند الصوفية(١).

و"**في الحث على الذكر**" ينظر ابن سينا آية قرآنية واحدة مرتين دون إحالة إلى أي وافد لبيان سلاح ذكر الله لقمع النفس وإيقاظ القلب، وأنه يزداد بالفكر على الذكر استخلاص النية الذكر من عادة المجادلين وسلط الذكر على الفكر لاذابة تخييل الواردين. ويتبرأ عن أحوال الذكر وقوة الفكر بالانابة إلى رب العالمين. كل ذلك تنظير لآية واحدة. كما تتضمن الآية نسيان الخلق في الاستغراق في الذكر، وأن الذكر لا يخلص عن النسيان مع انتشار الحواس في شهواتها، وأنه لا يصفو مع هواجس النفس، وأنه يدخل في السر (النفس)، وتبرز عروقه في القلب. وذكر اللسان يفتح القلب حتى تتم المشاهدة بعد المراقبة والمجاهدة. فيبلغ الانسان منزلة السكينة. وذكر الله والحق من ذكر الناس (٢).

وموضوع التفسير موضوع موروث مباشر، علم نقلي بأكمله حاول ابن سينا تنظيره إلى علم عقلي أسوة بالتفسير العقلي عند المعتزلة كتب فيه عدة رسائل. منها "**الرسالة النيروزية**". ولها عنوان آخر "**في معاني الحروف الهجائية**". وواضح في العنوان الأول أثر الثقافة الفارسية، وفي الثاني أثر الثقافة العربية. وكلاهما من الموروث. موضوعها الحكمة الالهية وليست المصلحة البشرية، كشف سر وليست رؤية واضحة للحق، لطف الواقع من النفس وليس الأثر العملي. الغرض منها فهم فواتيح السور، وهو ما ضرب عمر بن الخطاب السائل عنها بسببها. ويسميها ابن سينا الفرقانية. تمثل سطح

---

(١) الآيتان ﴿ إلا له الخلق والأمر﴾ ، ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾. والأحاديث الست: "الصلاة عماد الدين"، "لاايمان لمن لا صلاة له، ولا إيمان لمن لا أمانة له"، "المصلي يناجي ربه"، "يارب لقد وجدت لذة غريبة في ليلتي هذه فاعطنيها، ويسر على طريقا يوصلني كل وقت إلى لذتي.."، "صلوا كما رأيتموني أصلي"، ابن سينا: في ماهية الصلاة ص ٣٣-٣٥/٣٩/٤١.

(٢) ابن سينا: في الحث على الذكر، ص٢، وهي آية﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾.

العلم، والأسرار مازالت فى العمق. تنظير الموروث يعنى تحويل المنقول إلى معقول عن طريق التأويل، والذهاب من السطح إلى العمق، ومن الظاهر إلى الباطن، ومن الحرف إلى الكون، ومن اللغة إلى الطبيعة، ومن التنزيل إلى التأويل[1]. يبدأ من ثقافة العصر، نظرية الفيض لاحتواء الآخر ثم تأويل الحروف الهجائية المفردة بها قبل تفسير أوائل السور بناء على هذا التأويل وادخالا للآخر فى وعاء الأنا. قسم الرسالة ثلاثة أقسام: الأول ترتيب الموجودات وهى الثقافة الوافدة، نظرية الفيض بعد أن أصبحت موروثة. والثانى دلالة الحروف عليها وهو الوعاء الموروث. والثالث الغرض أى هدف ضم الوافد إلى الموروث. الوافد هنا ثقافة وليس شخصا أو كتابا أو علما. تعنى الألف واجب الوجود، مبدع المبدعات، ومنشئ الكل، ذات غير متجزئ أو متكثر أو متقدم بسبب. لا يوجد أفضل منه، حق وخير وعلم وقدرة وحياة وكأن الفلسفة قد أعادت الذات والصفات من علم الكلام، مؤثرة التنزيه على التشبيه. بل إن المفهوم منها عند الحكماء معنى واحد. وتعنى الباء العقل، أول ما أبدعه الله. وتعنى الجيم النفس، وموادها الأفلاك. وتعنى الدال العالم الجسمانى الطبيعى. وهو نوعان: الأثيرى المستدير، والعنصرى المكون من مادة وصورة. وكلها فى شوق إلى الله. ثم يتكرر الرباعى فى الحروف الأربعة التالية: الهاء تعنى البارى، والواو العقل، والزاى النفس، والحاء الطبيعة، وهى الأفضل. الطاء تعنى الهيولى، والياء ليس لها إضافة تحتها على النحو الآتى:

أ	ب	جـ	د	هـ	و	ز	ح	ط	ى
الله	العقل	النفس	الطبيعة	البارى	العقل	النفس	الطبيعة	الهيولى	ليس لها اضافة تحتها

ثم يتحول الأمر إلى حساب الحروف وحساب الجمل عن طريق الضرب والجمع فالأربعة الأولى، الله والعقل والنفس والطبيعة ذوات أو آحاد. والأربعة الثانية، البارى والعقل والنفس والطبيعة مضافة إلى ما دونها. بعد الآحاد يكون الابداع من إضافة الأول إلى العقل. كما أن الأمر إضافة الأول إلى العقل، والخلق إضافة الأول إلى الطبيعة، والتكوين إضافة البارى إلى الطبيعة. وتزيد الحروف وتشمل اللام والميم والنون والقاف والكاف والسين والصاد دون باقى الحروف. ولكن المهم هو الدلالة وليس الاحصاء الكامل [2]. وأحيانا تكون المعادلة حروفا صرفة دون كلمات كما هو الحال فى المنطق

---

(١) ابن سينا: النيروزية ص ١٣٤-١٣٥/١٣٧.

(٢) العقل غير مضاف= ى = هـ × ب، العقل = هـ × و.

الأمر = إضافة الأول على العقل.

الخلق = إضافة الأول إلى الطبيعة مضافة م = هـ × ح.

الرمزى فى الغرب فيستحيل الفهم كما تستحيل المراجعة. وهى أحجيات غير مقنعة لا يمكن التحقق من صدقها [1]. ثم يطبق ابن سينا فى القسم الثالث عن الغرض حساب الحروف والجمل على أوائل السور. وكلها تخيلات وأوهام مثل خرافات علم التنجيم. وهو موضوع الاعجاز وأسرار البلاغة عند المتكلمين. ويلاحظ أن الحروف فى أوائل السور ليست كلها مذكورة. وهناك حروف أخرى مذكورة ليست فى القرآن مما يدل على إمكانيات تكاثرها مادامت حساباتها أصبحت معروفة والنسج على منوالها ممكنا. ولما كانت الموجودات إما روحانية وإما جسمانية، يتعلق الأمر بكل ذى ادراك، ويتعلق الخلق بكل تسخير [2].

"وفى تفسير المعوذتين" اختار ابن سينا بعض قصار السور مثل المعوذتين التى تشير إلى العلاقة بين الله والانسان ليمارس فيها منهج التأويل تأكيدا على هذه الصلة، وتعميقا للأشعرية عن طريق الاتصال وليس الانفصال. علوم الحكمة هنا تطوير لعلم

التكوين = البارى + الطبيعة = ن = هـ × د.

الأمر + التكوين = م + ن = س.

الخلق + التكوين = م + ن = س.

الأمر والخلق والتكوين = ل + م + هـ = ص.

مبدأ الكل = د ضعف ق.

(١) ى × ح = ى × هـ = ح × خ، ى = ق = ص + ى، ل= هـ+ و، م = هـ × ح، ك = هـ × د، ع = ل + م، س = م + ك، ى + م = ن، لا + م + هـ = ص.

(٢) وذلك على النحو التالى:

ا ل م= قسم بالأول ذى الأمر والخلق.

ا ل ر= الأول ذو الأمر والخلق، الأول والآخر، المبدأ الفاعلى، والمبدأ الفائى.

ا ل م ص= الأول ذو الأمر والخلق، منشئ الكل.

ص= العناية الكلية.

ق= الابداع المستمر على الكل.

كهيعص= القسم للكاف أى عالم التكوين الىالمبدأ الأول بنسب الابداع.

يس= أول الفيض وهو الابداع وآخره وهو الخلق المشتمل على التكوين.

حم= العالم الطبيعى الواقع فى الخلق.

حم عسق= مدلول وساطة الخلق.

طس= العالم الهيولانى الواقع فى التكوين الواقع فى الخلف.

طسم= العالم الهيولانى فى الواقع فى الخلق المشتمل على التكوين.

ن= عالم التكوين وعالم الآخر، النيروزية ص ١٤٠-١٤١.

الكلام، وتنظير للعقائد، وتحويلها من عقائد دينية خاصة إلى تصورات عامة للعالم. ابن سينا أول من حول التفسير إلى موضوع فلسفي، من علم نقلي إلى علم عقلي كعلم مستقل وليس فقط كموضوع جزئي كما فعل الكندي من قبل في تفسير آية ﴿ والشمس والقمر يسجدان ﴾ في رسالة "في سجود الجرم الأقصى". وقد اختار ابن سينا المعوذتين لأنه يسهل تفسيرهما من خلال نظرية الاتصال مثل اختيار الأحاديث الاشراقية. ففي المعوذة الأولى ﴿ قل أعوذ برب الفلق رب الفلق﴾ رب الفلق هو الموجود الأول الخير، والرب هو العناية وليس الاله الذي لا يعتني بالعالم كما هو الحال عند اليونان. والشر في الخلق لا في الخالق. والفاسق هي النفاثات في العقد من خلال القوى الحيوانية والنباتية. وشر حاسد إذا حسد هو النزاع بين النفس والبدن الذي كان رمزه النزاع بين آدم وإبليس. والسوءة تشير إلى كيفية دخول الشر في القضاء الالهي. ويشرح ابن سينا القرآن والحديث ويستعمل حديث "ان لربكم في ايام دهركم نفحات من رحمته إلا فتعلاضوا لها" كما يستعمله الغزالي في "المنقذ من الضلال". وكلها تفسيرات ظنية تكشف عن دخول ثقافة العصر التي أصبحت مزيجا من الوافد والموروث، والصلة بين الخارج والداخل، بين الفرع والأصل، بين المحيط والمركز، بين النقل والعقل حماية للثقافة من الازدواجية المتصارعة بين علوم الوائل وعلوم الأواخر، بين السلفية والعلمانية، بين المحافظة والتجديد دفاعا عن وحدة الثقافة كما يحدث في كل عصر.

وفي المعوذة الثانية ﴿قل أعوذ برب الناس﴾، الربوبية هي التربية والعناية. والناس هم الشعب أو الأمة. ويؤول ابن سينا أسماء الله باعتبارها قوى النفس. الرب بحساب المزاج، والملك بحساب فيض النفس، والاله بحسب شوق النفس. والوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس هي القوى المتخيلة. وهنا يعتمد التفسير على علم النفس كما تفعل الشيعة والباطنية. كما يشرح القرآن بالقرآن مثل الاستشهاد بآية ﴿ فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴾. وتعني التربية المزاج[1].

وفي تأويل "الصمدية" يبدأ ابن سينا بقرآن حر، مفسرا القرآن بلغة القرآن وبأسلوب القرآن، السمع والايقاع، والبداية بالبسملات والحمدلات. والموضوع التوحيد. ولفظ "أحد" مبالغة في الوحدة وكأن القرآن فيه مبالغة وليس فقط التأكيد. وتظهر ألفاظ "الهي" والهية" كثيرا مما يدل على استمرار الموضوع الأول في علم الكلام، كذلك استعمال صفات السلب وصفات الايجاب. الفلسفة اذن دفع للكلام نحو مزيد من التنظير

(١) ابن سينا: تفسير المعوذتين، المعوذة الأولى، تسع رسائل ص ٢٤-٢٩، المعوذة الثانية ص ٢٩-٣٢.

العقلى كما هو الحال فى علم الكلام المتأخر، عرض فلسفى مجرد. لذلك يوجه ابن سينا إلى نفسه اعتراض معترض بطلب البرهان. ثم جاء التفسير فى النهاية صعب الفهم. فكيف تكون به نجاة الناس. وكيف تعادل حينئذ "الصمدية" ثلث القرآن؟ هل تستطيع العامة فهم هذا التأويل وتنال به الخلاص؟ إن الآية، ببساطتها ومباشرتها وتركيزها أفضل من شرحها وتأويلها. لا يعدو التفسير الفلسفى للآيات كونه استيعابا حضاريا للوافد، واستعمال ثقافة العصر فى عرض الموروث الأصيل وعدم تركه منعزلا تجاوزا لازدواجية الثقافة. قد لا تخرج عن التفسير الصوفى للقرآن فى إطار أشعرى عام يظهر فى المقدمة أو الخاتمة سواء كان من الناسخ أو الناشر. فالعمل جماعى. والعقل فى حاجة إلى نقل. وهو حكم عام يتجاوز ابن سينا دور علوم الحكمة [1].

وفى "العرشية" يذكر القرآن (٧مرات)، والحديث (مرتان) مما يدل على حضور التفسير من علوم الحكمة قدر حضور علم الكلام من العلوم النقلية العقلية فيها. وهى آيات يسهل تفسيرها على نحو أشعرى لأنها تتعلق كلها بقدرة الله المطلقة فى الانسان والطبيعة، الآية الأولى تنفى التعدد، وتثبت أن الوحى غير قابل للتغيير والانفعال فى أم الكتاب فى مقابل تفسير آخر، النسخ والاستبدال. الأول يؤثر الثابت، والثانى المتحول. الأول يخرج من كل شئ هالك إلى وجهه، ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾، والثانى يخرج من﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾. والثالثة والرابعة تثبتان القضاء والقدر، وخلق الله الأفعال، والخامسة والسادسة تجعل الخير من الله وأنه يريد اليسر بالانسان لا العسر. والسابعة تبين سيطرة الله على مظاهر الطبيعة، انزال الماء، واحياء الموات، وخلق الحيوان والانسان. ويفسر ابن سينا الحديث القدسى الخاص بصدور الأفعال من العقل الأول سواء كان هو العقل صراحة أم القلم. فالقلم هو العقل. ويستعمل القرآن الحر كأداة للتعبير، تفسير للقرآن المباشر بالقرآن غير المباشر [2].

وفى رسالة **"الفعل والانفعال"** يذكر القرآن (١٣ آية) والحديث (٤أحاديث) بالاضافة إلى قول مأثور واحد، ودون أى ذكر للوافد اليونانى. كلها محاولة لتنظير الصلة

---

(١) ابن سينا: الصمدية ص ٢٠-١٥/٢٤-١٦.

(٢) الآيات هى: ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر﴾، ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾، ﴿ وعنده أم الكتاب﴾، ﴿ الله خلق كل شئ ﴾، ﴿ والله خلكقم وما تعملون ﴾، ﴿ بيده الخير، وهو على كل شئ قدير ﴾، ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾، ﴿ وأنزل من السماء ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا ﴾. والأحاديث القدسية أول ما خلق الله العقل ، أول ما خلق الله القلم. وكذلك آية ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾، العرشية ص١٢/١٥/ ١٨.

بين النفس والجسم وبيان أثر النفسى فى الجسمى وأثر الجسمى فى النفسى، علاقة الفعل الانفعال لا فرق فى ذلك بين الوافد اليونانى والموروث القرآنى بعد أن انضوى الوافد التاريخى فى أعماق اللاوعى المعرفى، وفى نفس الوقت يستعمل هذا المخزون المعرفى لتنظير الموروث مثل الوحى والالهام والمعجزات والكرامات والآيات والمنامات والسحر والعين والمؤثرات والنيرنجيات والطلسمات والحيل، حتى يسمح بادخال هذا العنصر الجديد الموروث فيه. فتجتمع علوم الأوائل مع علوم الأواخر، علوم السلف وعلوم الخلف فى رؤية حضارية واحدة. تفيد معظم الآيات المذكورة العلم الجديد وهو الوحى الذى لم يكن يعلمه الرسول من قبل، ما أسماه المتكلمون السمع أو النقل فى مقابل العقل أو الحس بما فى ذلك القصص. كان الرسول أميا غير حاضر زمن الأحداث المروية. وبعض الآيات تفسير على التفسير الصوفى الاشراقى لآية المشكاة المشهورة التى شرحها الغزالى فى "مشكاة الأنوار" (١). وتذكر آية أخرى تشير إلى التنبؤ بالمستقبل وبانتصار الروم على الفرس. ويستشهد بآيات أخرى تشير إلى انفعالات النفس مثل الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس أوسحر الأعين، وبآية أخرى تعبر عن اتخاذ البعض عبادة الأصنام قربى إلى الله، وبآية تكشف عن أن البرهان فى الطبيعة وفى النفس، فى الخارج وفى الداخل. ويفسر ابن سينا الحديث القدسى الأول بأن الوحى يتم فى حال اليقظة، والنفث فى الروح فى حال النوم. ويفسر الثانى بأن رؤية الرجل الصالح جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة كما يقول الصوفية فى الالهام، والحكماء فى الاتصال، والفلاسفة فى الحدس. ويفسر الثالث ببلاغة الرسول، والرابع بالقدرة على التنبؤ، تنبؤ الرسول بقتل كسرى. كما يستشهد ابن سينا بالآثار والأخبار المروية وبالثقافة الشعبية الشائعة حتى ترتبط الفلسفة بثقافة الجمهور وتصبح نابعة منه ومن حياة الرسول (٢).

---

(١) وقد شرحها ايضا زكى نجيب محمود فى "المعقول واللامعقول".

(٢) الآيات: ﴿ وعلمناه من لدنا علما﴾، ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك﴾، ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسوله ﴾، ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾، ﴿ وكذلك أوصينا روحا من أمرنا، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان. تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ﴾، ﴿ ورسلا قصصنا عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم ﴾، ﴿ يكاد زيتها يضئ ولم تمسسه نار ﴾، ﴿ ألم، غلبت الروم فى أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ﴾، ﴿ الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾،﴿ سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ﴾، ﴿ وما تعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾، ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾. والحديث القدسى: "ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها إلا فتقوا الله، واجملوا فى الطلب"، "أن الرؤيا الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة". ومن جوامع الكلم "ربى قتل=

وفى "رسالة الطير" يظهر القرآن المرسل أو الحديث فى أسلوب ابن سينا باعتباره مخزونا بلاغيا أدبيا كبديل عن النهاية الدينية التقليدية. كما يظهر فى "كتاب السياسة" التفكير والتقدير، وأن الناس سواسية كأسنان المشط، والميثاق الغليظ. ويظهر فى "الزيارة" صور فنية عن شمول العلم الالهى وإحاطته. وفى "حى بنى يقظان" يظهر الأسلوب القرآنى الحر كوسيلة أدبية وتعبير بلاغى مثل البرزخ والحفظة والكرام الكاتبين والعين الحامئة والميثاق الغليظ. وابن سينا أقل من السهرودى وابن طفيل فى استعمال القرآن المرسل [1].

د- **ابن باجه.** ويستمر ابن باجه فى تنظير الموروث مما يبين قدرة الفلسفة على الاستمرار اعتمادا على الداخل وحده دون الخارج، وعلى المكونات الذاتية دون العناصر الخارجية خاصة فى موضوع النفس الناطقة باعتباره بؤرة الموروث، وما يتعلق بها من علوم عقلية.

ففى "**ارتياض فى تصور القوة المتخيلة والناطقة**" يحال إلى الفارابى والزرقالة ويذكر القرآن [2]. وهو نموذج للتراكم الفلسفى من الفارابى والزرقالة ومن العودة إلى الموروث الأصلى، القرآن لمزيد من التنظير للموروث بعد أن أصبح الوافد موروثا من الفارابى والزرقالة. وصورة الفارابى فى ذهن ابن باجه هو الشيخ أبو نصر تأكيدا على مقاييس الحس والعقل الانسانية كمقاييس للصدق. فالفارابى فى ذهن ابن باجه صوفى أقرب إلى الغزالى. ويضرب ابن باجه، اعتمادا على الزرقالة، المثل على التعلم من المصنوع المشار اليه بالفكر والبحث ثم ينتقل إلى نفس المستنبط لاسيما فى الأمور القريبة. فالعلم هنا من الموضوع إلى الذات [3].

= البارحة". ومن الحديث "ان من البيان لسحرا"، وإخباره بموت النجاشى، وقوله إلى رسول كسرى.. فكان كما قال إلى غير ذلك مما نطق به القرآن العزيز. واشتملت عليه الأحاديث الصحيحة، وشهدت بصحته الآثار والأخبار.. وما اجتمعت الأمة عليه من أمة صلى الله عليه وسلم قد أوتى علوم الآخرين مع ما اشتهر من أمره أنه الرسول الأمى". ابن سينا: الفعل والانفعال ص٣-٤/٦-٩.

(١) وذلك مثل: ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾، الطير ص٤٨، فاذا ثبت وفكر وقدر، السياسة ص٨ بل هم سواء كأسنان المشط ص٩، موثقا من الله غليظا ص٩، لا يضرب عن مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، الزيارة ص ٤٦، ويقال الحفظة الكرام والكاتبين منهما، حى بن يقطان ص١٨، وقد سمى فى الكتاب الالهى عينا حامئة.. أو يأتينك موثقا من الله غليظا ص٩.

(٢) ابن باجه: ارتياض فى تصور القوة المتخيلة والناطقة، رسائل حـ٢ ص١٦٠-١٦٩ الفارابى، الزرقالة (١)، الآيات (٣).

(٣) السابق ص١٦٣/١٦٨.

ويستشهد ابن باجه بثلاث آيات قرآنية، الأولى مكررة مما يدل على أن تنظير أصل الموروث ما زال مستمرا، وأن الفكر الفلسفى له مصدره الداخلى المستمر بعد أن تحول الوافد إلى الموروث الكبير. ومنها التفكير فى خلق السموات والأرض تدعيما لإدراك المعقولات وحصول القوة الناطقة بالفعل موهبة تتم بها رؤية المخلوقات للوصول إلى الله وملائكته وكتبه ورسله والدار الآخرة. وهنا تأتى آية التفكر تدعيما للطريق من المخلوق إلى الخالق، موهبة الاتصال بالعقل الفعال. وإذا كان العلم بالله وكتبه ورسله يؤدى إلى الهدى فان نسيانه يؤدى إلى الضلال لأنه يؤدى إلى استبدال الهدى بالله فيكون من المغضوب عليهم أو الضالين. ولفظ الارتياض يعنى التعليم والتعود أى النقل الموجه أو الهادف حتى يصبح جزءا من الموروث. التزيل يصبح تأويلا (١).

وفى هذا الموضوع يرضى ابن باجه عن الغزالى ويستلم له بالرغم من نقده السابق له. ويقبل التصوف، الجرثومة التى ازدوجت مع الأشعرية وقضت على المشروع النهضوى فى الغرب. النبى هو رئيس الصوفية والاشراقيين، وكلهم إلى رسول الله منتسب. فقد تحول الفارابى من المنطق إلى الاشراق. ويدعو ابن باجه القارئ إلى المشاركة والانضمام إلى الزمرة. ويستعمل تشبيهات الشمس والنور والظلمة. ويمكن للحدس العقلى ادراك ما يدركه العقل الاشراقى إذا كانت الموضوعات بديهية رياضية وبموهبة من الله وفيض منه. كما يستعمل بعض التعبيرات القرآنية الحرة. ويكرر الانسان النظر فى المخلوقات حتى يصل إلى الخالق وهو العلم الذى ينكشف للأنبياء. فيتحد الطريق الصاعد والطريق النازل. ويصبح التأويل والتزيل علما واحدا. والانسان فى الأمور المعقولة أشد تشوقا لمعرفة أسبابها لأنه نظر أعلى وأرفع وأنفع. فعن طريق الأسباب يصل الإنسان إلى الله وملائكته وكتبه ورسله والحياة الآخرة. والناس متفاوتة فى موهبة المعرفة بحسب ما يعطيه الله فى أول الخلق من الاستعداد لقبولها. والموهبتان الاستعداد والنطق، ليسا مكتسبين إلا بالتوفيق من الله للعمل، وهذا هو الكمال الانسانى، ولا يتم إلا بما أتى به الرسل من الله. ويؤدى اتباع الهوى إلى الشقاء والضلال. سماع الأنبياء وطاعتهم هو نفس طريق التفكر فى المخلوقات، لا فرق بين البصيرة والبصر،

---

(١) هذه الآيات الثلاث هى: ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾، ﴿ نسوا الله فأنساهم أنفسهم ومن نسى نفسه فقد ضل ضلالا بعيدا﴾، ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾، الارتياض ص ١٦٥/١٦٨-١٦٩.

بين الوحى والطبيعة. يعلم الله كل شئ ويقدر كل شئ. وعلم الانسان مستمد من الأشياء، وقدرته قائمة على الأسباب. ويحول ابن باجه الأسباب من العمل إلى النظر، وهو بداية الاغتراب. ويحاول الجمع بين العقل والاشراق، بين المعرفة الانسانية والمعرفة الالهية فى إطار صوفى إشراقى أقرب إلى التصوف منه إلى الفلسفة، وإلى حكمة الاشراق عند ابن سينا وابن طفيل منه إلى منطق البرهان عند الفارابى وابن رشد. كما يحاول التوفيق بين الحرية والجبر فى نظرية الكسب بما تتسم به من غموض وأقرب إلى أحوال الصوفية كما هو كمواهب منها إلى حقائقهم كمكاسب. وإذا كان التفاضل فطريا فكيف يكون الاستحقاق؟ ويتم الخلق بالعلم لا بالارادة، والصنع بالأسباب أى بالقوانين. والاستنباط أشرف من الاستقراء لأن الذات أشرف من الموضوع. والعلم من الذات أى الداخل أشرف من العلم من الموضوع أى الخارج. كل ذلك تنظير لا واعى لآية ﴿ وفى الأرض آيات للموقنين، وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ وجمعا لا واعيا بين أرسطو وأفلاطون، وصبا للواقد فى الموروث. يتعدد خطاب ابن باجه، ويتنوع بين العقل والقلب، بين الحكمة والتصوف. وينتهى الخطاب الرياضى المنطقى الطبيعى إلى خطاب عقلانى صوفى فيما بعد الطبيعة. ويستعمل ابن باجه الأسلوب العربى مثل زيد وعمر وكمثل للمبتدأ أو الخبر أو الفاعل فى النحو أو الموضوع والمحمول فى المنطق [1].

وتبدأ الرسالة وتنتهى بالإيمانيات مع نداء للقارئ ودعوة له للمشاركة فى الطريق وكأن الفلسفة طريقة صوفية أو دعوة أشعرية، لا فرق بين المؤلف والقارئ. وقد تكون النهاية أكثر من مجرد ترحم أو دعاء أو بسملة أو حمدلة بل إشارة إلى جماعات الصوفية وعقائدهم والمؤمنين وكأنه داعية شيعى. فتصوف ابن باجه وعقلانيته يجعلانه حلقة اتصال بين المشرق والمغرب، بين الغزالى وابن رشد، بين الفارابى وابن مسرة. ولا يأتى ذلك من الوافد، ابرقلس وايضاح الخير أو أفلوطين والتاسوعات بل من الموروث، من التصوف الاسلامى وإلا تحول الأصل إلى فرع، والفرع إلى أصل كما هو الحال فى الاستشراق وتوابعه [2].

"وفى العلم الانسانى والعقول الثوانى والعلم الالهى أو فى مراتب العلم" يحيل ابن باجه إلى الزرقالة مستمدا منه المثل على التعليم من الذات قبل الموضوع والميكانة التى

---

(١) الارتياض ص ١٦٦-١٦٨/١٦٠-١٦١/١٦٣.

(٢) وذلك مثل عبد الرحمن بدوى، وجمال الدين العلوى.

استنيطها ثم بعد ذلك يعقل الذات مع الموضوع [1].

هـ - **الشيخ حسن المعدل.** واستمد الفكر الشيعي محولا تاريخ الديان إلى فلسفة التاريخ حتى القرون المتأخرة. ففي "**معرفة النفس الناطقة والعلوم الغامضة**" للشيخ حسن العدل (٦٥٩ هـ) يتحول تاريخ الأديان إلى الداخل إلى قوى النفس وقوى البدن وانحساره عن الخارج والصراع السياسي بين الثورة القادمة ودولة الظلم والطغيان. فأولوا العزم من الأنبياء مع القائم يقابلون آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد والقائم قوى النفس السبع والمميزة، والحافظة، والناطقة، العاقلة، والمفكرة، والذاكرة، والمتخيلة، وقوى البدن السبع الجاذبة، والماسكة، والدافعة، والمصورة، والهاضمة، والغاذية، والنامية على النحو الآتي[2]:

قوى البدن	قوى النفس	الأنبياء	الأئمة
الجاذبة	العاقلة	آدم	علي
الماسكة	المفكرة	نوح	السبطان
الدافعة	الذاكرة	إبراهيم	علي بن الحسين
المصورة	المتخيلة	موسى	محمد الباقر
الهاضمة	المميزة	عيسى	جعفر الصادق
الغاذية	الحافظة	محمد	إسماعيل بن جعفر

وكل إمام له لقب بعد محمد الغفور الودود، فعلى صاحب اليوم الموعود، والسبطان الشهيدان وعلى ذريتهما الحجة على كل الوجود، وعلى بن الحسين الطاهر المحمود، ومحمد الباقر صاحب النور الموقود، وجعفر الصادق صاحب السر الموجود، وإسماعيل بن جعفر صاحب المقام المورود، والذرية الطيبة إلى اليوم المشهود.

وفي "**مبتدأ العوالم وبدأ دور الستر والتقية**" تعود فلسفة التاريخ الأولى انطلاقا من تاريخ الدين، وتنظير للموروث وحده. فيذكر آدم ثم إبراهيم (الخليل) ثم نوح ثم إسماعيل ثم إسحق ثم موسى والنمرود ثم هابيل وسام وحام ثم هند وتاريخ عيسى وعدنان[3].

---

(١) العلم الانسانى ص ١٨٧.

(٢) الشيخ حسن المعدل: معرفة النفس الناطقة والعلوم الغامضة، أربع كتب حقانية، تحقيق وتقديم مصطفى غالب، مجد ١٩٨٧ ص ١١٥-١٢١.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٣١٤٢.

فيتداخل الأنبياء مع الأضداد. كما يذكر الامام ثم إبليس ثم الحارث بن مرة وهو إبليس على الأرض. ومن البيئة الجغرافية المحلية يذكر سرنديب وبوسباط [1]. ويركز على الأنبياء والأضداد: آدم وإبليس، إبراهيم ونمرود، موسى وفرعون، عيسى واليهود كلهم وليس يهودا فحسب، ومحمد وأبو لهب. ولكل نبى دور منذ آدم حتى ينتهى دور المشيئة ويبدأ دور الستر والتقية. ويعاد توظيف مصطلحات الوافد مثل العقل الكلى، ويستعمل أسلوب القرآن الحر. ويتم الجمع كأساليب للتعبير بين الشعر والنثر بعد أن يعود الشعر فى العصور المتأخرة حافظا للعلوم كما كان الحال قبل الوحى حافظا للآداب. يعبر المؤلف عن فكره بالشعر والنثر، ويشرح شعره نثرا. والشعر أقدر على التعبير عن الحالات النفسية. لذلك فضله الصوفية كأداة للتعبير. وتخاطب الرسالة القارئ لتشركه فى الفكر كخطوة نحو اشراكه فى الدعوة. وتبدأ بالبسملات وتنتهى بالحمدلات.

و- على بن حنظلة المحفوظى الوادعى (٦٢٦ هـ) [2]. ويستمر الفكر الشيعى فى تنظير الموروث عن طريق تحويل علم الكلام إلى فلسفة فى الدين ثم تحويل فلسفة الدين إلى فلسفة فى التاريخ. ففى **"ضياع الحلوم ومصباح العلوم"** يتم التحول من علم الكلام إلى الفلسفة، ويرتكز الكلام على عقيدتين، التوحيد والمعاد، التوحيد لب الالهيات أو العقليات والمعاد لب السمعيات أو النبوات. والتوحيد مبدأ الخلق. والمعاد منه مذموم ومنه محمود [3]. وتسود نظرية الفيض لربط الله بالعالم بدلا من الخلق. وتتداخل الامامة مع الكون. فالامامة هى القامة الألفية، والدعوة الذكية، والعلوم الحقيقة، والذرية الامامية، والمرتبة الروحانية.

ثم تتحول فلسفة الدين إلى فلسفة فى التاريخ عن طريق التواصل بين الأئمة والأنبياء، بين آدم وموسى وعيسى وفاطمة والحسن والحسين وأمير المؤمنين وسليمان ونوح وداود والحارث الأعور مخاطب على وإبليس فى جدل واحد بين الأنبياء والأئمة والأضداد. ولقد وصى إبراهيم لاسماعيل كما يوصى الامام لامام. وأولاد إسحق خدم لأولاد إسماعيل. وعيسى صاحب الشريعة ثم محمد. وبين محمد وجده إسماعيل ثلاثون

---

(١) آدم (٢٥)، إبراهيم (١٥)، الخليل (٢)، نوح (١١)، إسماعيل (٨)، إسحق (٧)، موسى، النمرود (٣)، هابيل، سام، حام (٢)، هند، تاريخ، عيسى، عدنان (١)، الامام (٧)، إبليس (٤)، الحارث بن مرة (٢). سرنديب، بوسباط (١).

(٢) السابق ص ٧٩-١١١.

(٣) يدور الكتاب على أربعة أبواب: التوحيد، المبدأ، المعاد المحمود، المعاد المذموم.

إماما، فالامامة تكرار للنبوة. وكما يستشهد بالقرآن والحديث يستشهد أيضا بالتوراة فى ترجمة عربية رصينة. وأكثر النصوص عن الأحوال النفسية للمضطهدين، إسماعيل الذبيح، وعيسى على الصليب[1]. ويظل القرآن هو الموروث الأصلى، والمصدر الأول للفكر الشيعى. وتتوجه الرسالة إلى القارئ للتواصل مع الكاتب. وكما تبدأ بالبسملات تنتهى بالحمدلات.

ز- **الطوسى:** وفى **"شرح مسألة العلم"** للمحقق خواجه نصير الدين محمد الطوسى (٦٧٢ هـ) يتم التعرض لمسألة العلم، وهو موضوع مشترك بين الكلام والفلسفة فى صيغة حوار افتراضى "قال ... يقول" [2]. وبطبيعة الحال يتصدر المتكلمون ثم المعتزلة والحكماء ثم الأشعرية والأوائل ثم المنطقيون كفرق كلامية قبل ذكر أسماء الاعلام مثل الحسن البصرى وفخر الدين الرازى وهشام بن الحكم وصاحب المختصر[3]. ومن الموروث الأصلى تذكر آيتان فى الصلة بين الإدراك والعلم فى الإنسان وهل يمكن قياسهما على الله مثل ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير﴾، ﴿ وتراعهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ﴾.

وتضم الرسالة أربعا وعشرين مسألة عن أقسام العلم والمعلوم المستقبلى والمعدوم، والعلم البديهى والنظرى، والعلم بالمتقدمين والنتيجة والإدراك والعلم. ثم يتم الانتقال إلى العلم الالهى كصفة زائدة على الذات، والعمل بالجزئيات، وصلة العلم بالقوة والإرادة، وصلته بالكلام والعناية واللطف والهداية والجود وباقى الصفات. وهى موضوعات كلامية صرفة. نابعة من أصل الموروث ولا شأن لها بالوافد [4].

---

(١) القرآن (٨٠)، الحديث (٣)، إسماعيل (٨)، إبراهيم (٥)، الخليل (١)، إسحق، محمد (٢)، ادم، موسى، عيسى، فاطمة، الحسن، الحسين، أمير المؤمنين، سليمان، نوح، داود، الحارث الأعور، إبليس (١).

(٢) المحقق خواجه نصير الدين الطوسى: شرح مسألة العلم، حققه وقدم له عبد الله نورانى، مطبعة جامعة مشهد، ٣٨٥ ق، ١٣٤٥ ش. وله عدة القاب: الجناب الكريم، السيد السند، العالمى العاملى، الفاضلى الفضلى المحقق المدقق، الجمالى الكمالى... الخ، السابق ص ١٧-١٨، وتتكاثر الألقاب للسائل والمسؤول مثل الامام الهمام، سيف الإسلام، علامة الأنام، لسان الحكماء والمتكلمين، جمال المحققين، كمال الملة والدين، أبو جعفر أحمد بن على بن سعيد سعادة . وحمدانى الزمان وربانى البيان، قطب أرباب العرفان والبرهان، الناهض إلى أعالى أفق عليين، السارح فى مسارح المتألهين، الناطق عن مشكاة الحق المبين، سلطان الحكماء والمتكلمين، نصير الحق والملة أعلى مناصب العلويين، السابق ص ١٨-١٩.

(٣) المتكلمون (٩)، المعتزلة (٥)، الحكماء (٣)، الأشعرية، الأوائل(٢)، المنطقيون (١)، هشام بن عبد الحكم، الحسين البصرى، فخر الدين الرازى، صاحب المختصر (١).

(٤) شرح مسألة العلم ص ٣٧.

والرسالة فى علم الكلام وفى الفلسفة فى آن واحد تدل على تحول الكلام المتأخر إلى فلسفة وتحول الفلسفة المتأخرة إلى كلام. وهى أقرب للحوار، والسؤال والجواب، "قال.. يقول"[1]. ويبدأ بعشرة أبيات من الشعر. فالشعر ثقافة العرب لو جمد الموروث وتحجر [2].

وينقد المعتزلة لقولهم الحقائق الثابتة، وان المعدوم شئ. كما ينقد هشام بن الحكم لجعله العلم تابعا للاعتقاد. وينقد اعتبار العلم اضافة شعور العالم بالمعلوم عند أبى الحسين البصرى وفخر الدين الرازى. ويصاغ الموضوع فى صيغة تساؤلات مثل العلم تابع أم ليس بتابع [3]. ثم تأتى التأكيدات أن العلم فعل وانفعالى، أما علم الله ففعلى غير انفعالى ويعرف حقيقة العلم مع التعريفات السابقة. ويعرض للصلة بين الادراك والوجود والذهن، وأقسام الإدراك وعلم الله، ونقد أن العلم هو الاضافة. ثم تأتى بعد ذلك أربع وعشرون مسألة تدور أقل من نصفها حول العلم الانسانى والنصف الآخر أو أكثر حول العلم الالهى. وقد يتداخل العلماء فى بعض المسائل. والعلم الانسانى فى الغالب مطروح فى صيغة تساؤلية ما دام الأمر فيه وجهات نظر مختلفة. بل أن العلم الالهى أيضا فى أكثر من نصف مسائلة معروض أيضا بصيغة تساؤلية[4]. وأحيانا تعرض موضوعات العلم الالهى بصيغة تقريرية ايجابية مثل بعض موضوعات العلم الانسانى [5].

---

(١) سؤال الامام كمال الدين هيثم على بن هيثم اليحرانى والمسؤول أبو جعفر أحمد بن على من سعيد بن سعادة الذى رفعها إلى الطوسى للاجابة.

(٢) السابق ص ١٧.

(٣) مثل العلم تابع أو ليس بتابع؟ ٢- العلم بان الشئ سيوجد هل هو نفس العلم بوجوده إذا وجد أو علم آخر؟ ٣- فى أن العلم بالمعدوم هل يقتضى نبوة أم لا ؟ ٦- فى أن العلم بالمقدمتين هل يكفى فى حصول العلم الثالث أم يتوقف على علم آخر ؟ ٧- فى أن العلم بالمقدمة الكلية هو علم بالنتيجة بالقوة أو العقل. ٨- فى أن الإدراك الحسى أمر زائد على العلم أو هو نفس العلم؟ ١١- فى أن العلم هل يصح أن يكون مؤثرا كالقدرة أم لا؟ ١٢- فى أن العلم وان لم يكن مؤثرا كالقدرة فهل يصح أن يكون مخصصا كالإرادة أم لا؟

(٤) ٩- فى أن الإدراك أن كان زائدا على العلم فهل يصبح اثباته للبارى تعالى أم لا؟ ١٠- فى أن الإدراك أن لم يكن زائدا على العلم فهل يصح فى البارى أن يكون عالما بالجزئيات على الوجه الذى يعلمها عليه أم لا يعلمها إلا على وجه كلى؟ ١٤- فى أن علمه سبحانه هو ذاته أو لازم ذاته وهل هو لازم واحد أو لوازم كثيرة مترتبة أو دفعى؟ ١٥- فى أن كونه تعالى حيا هل يرجع إلى كونه تعالى عالما أو وصف زائد على ذلك؟ ١٦-فى أن كونه تعالى مريدا يرجع إلى كونه عالما هل هو أمر زائد عليه؟ ١٨- فى انه تعالى يصح وصفه بانه متكلم أزلا ام لا؟ ١٩- فى أن علم البارى تعالى أن صح أن يكون مؤثرا فهل يصح أن يكون علمه سببا لوجود الممكنات كلها ويتحقق الجبر أولا ولا يلزم ذلك؟

(٥) العلم الهى: ٢٠- فى عنايته ولطفه وهدايته. ٢١- فى معنى حكمة ووجوده تعالى. ٢٢- فى معنى قدرته أو فاعليته. ٢٣- فى معنى أزليته ووحدانيته. ٢٤- فى أن جميع صفاته حقيقة أو كلها سلبية =

ح- ابن النفيس. وفى "الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية" لابن النفيس (٦٨٧ هـ) يختفى الوافد كلية مع أن أصولها فى "حى بن يقظان" عند ابن سينا والتى يرجع أصولها إلى "سلامان وأبسال" اليونانية [١]. ولا يظهر من الموروث إلا النبى، خاتم النبيين دون ذكر ابن سينا. وفاضل ابن ناطق هو المؤلف الخيالى وكامل هو صاحب السيرة الخيالى. ولم يظهر من أسماء الأنبياء إلا يعقوب والعيص وعيسى وإسماعيل، مع صفات زهرانى ويهودى وهاشمى وكافر وخارجى ومجوسى واليهود [٢]. ومن أسماء البلدان تظهر مكة. ولا يستشهد إلا بآية قرآنية واحدة ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ فيما يأتى به النبى من صفات الله. هى أقرب إلى الدين منها إلى الفلسفة، ومن أصول الدين منها إلى أصول الحكمة، ومع ذلك هو حديث النفس "مونولوج" كما تدل على ذلك عبارات مثل "ثم تفكر فقال" [٣]. وتحيل القصة إلى باقى مؤلفات ابن النفيس. فهى جزء من كل ويبدو فيها ابن النفيس الطبيب[٤].

وهى أقل قيمة من الناحية الفلسفية من "حى بن يقظان"، لابن سينا ولابن طفيل، تقوم على دفاع صريح عن النبوة، وخاتم النبيين بطريقة المتكلمين وليس بطريقة الفلاسفة. موضوعها النبى وليس الله، إثبات سيرته الكاملة وليس إثبات وجود الله عن طريق التأمل فى الطبيعة كما هو الحال فى "حى بن يقظان". هى أقرب إلى علم السيرة منها إلى علوم الحكمة.

وتقوم على قسمة رباعية. كيفية وجود كامل فى الجزيرة. وتحتوى على نظرية التولد الذاتى وكيفية تعرفه على العلوم والنبوات ثم سيرة الرسول ثم شريعته ثم التنبؤ بالحوادث بعده. فالقصة مركزة على شخص الرسول. وتقوم على شخصية واحدة كما هو الحال عند ابن سينا وليس على شخصيتين مثل ابن طفيل للاشارة إلى الطريقين طريق الوحى وطريق العقل، طريق النبوة وطريق الحكمة. والاسم نفسه له دلالته "كامل" دلالة

= أو اضافية أو تنقسم إلى صفاته إلى القسمين المذكورين، السابق ص ٤٥-٤٧، العلم الانسانى ١- فى قسمة العلم إلى الاقسام التى ينبغى أن تكون له. ٤- فى العهلم الحاصل بيهئة ما سبب حصله؟ ٥- فى حصول العلم النظرى وكيفية لزومه، السابق ص ٣٣-٣٦.

(١) ابن النفيس: الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية، تعليق وتحقيق عبد المنعم محمد عمر، مراجعة د. أحمد عبد المجيد هريدى، القاهرة ١٩٨٧.

(٢) خاتم النبيين، النبى (٨٧)، كامل (٤٧)، فاضل بن ناطق (٥)، مكة (٤).

(٣) السابق ص ١٦٢.

(٤) على ما بيناه فى غير هذا الكتاب، السابق ص ١٥٧.

على خاتم النبيين، والمؤلف "فاضل ابن ناطق" أى الفضيلة ابنة النطق وليس "حى بن يقظان"، الحياة بنت اليقظة، ولا حياة دون يقظة [1].

والعجيب إدخال العقل فما لا دخل فيه مثل تبرير الشرائع والتنبؤ بالحوادث المستقبلة بعد موته وما يحدث بعده، والمعاصى فى أمته وعقوبتها وحال الكفار وأحوال بلادهم، وسلطانهم وهذه الملك المتاخم لها، وما يحدث فى العالم العلوى والعلم السفلى. ولو كان الأمر فى بداية الإسلام وعدم الاستقرار السياسى لكان نوعا عن المصادره على التاريخ، فالعقل هنا مجرد أداة لتبرير الدين بصرف النظر عما يمكن وعما لا يمكن. ولا حرج من البداية أن يعلن عن المطلوب إثباته وهو وجود الله واعتباره مقدمة. فالله تعالى لكرمه لا يمنع مستحقا حقه ويعطى كل مستعدما ما يستعدمه[2]. ولابد أن يوجد لهذه الموجودات موجد وهو الله تعالى وان يكون عالما متقن الصنع، معتنيا بكل شئ. فالمطلوب إثباته فى النهاية تم الاعلان عنه فى البداية. والله هو الذى أحكم الخلقة والصنعة بما فى ذلك شعر العانة. وهنا يظهر الطبيب القاص الحكيم. وقد أخبر الله النبى أن يبلغ شرعه ويعرف الناس بجلاله وبأحوال المعاد. وما دام ذلك مبلغا من النبى فما وجه الحاجة للبحث عنه؟ والله تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه ولا فى جهة، ولا يشار اليه بالحس وهو ما حاول الفلاسفة البرهنة عليه وبيان استحالته، وتذكره القصة بلا برهان كقواعد الايمان.

وتكثر العبارات الدينية فى البداية والنهاية. فالمؤلف هو الفقير إلى الله تعالى، عفا الله عنه مع البسملة والحمدلة والصلاة على خير الأنبياء والمرسلين. وينتهى الكتاب بالاستعانة بالله وحده والصلاة على خير أنبيائه وصحبه وأصفيائه، ونفس الشئ يقال بالنسبة للنبوة لا جديد فيها يثبته العقل وكأن القصة مجرد سيرة تقليدية من سير الوعاظ المحدثين، نسبه وموطنه، وتربيته، وحاله، وهيئته، وعمره، وأولاده، ودعوته، واسمه، وكتابه [3].

ط – **إدريس عماد الدين القرشى (٨٧٢ هـ)**. ويستمر الفكر الشيعى حتى القرن التاسع منظرا للموروث ومطورا لعلم الكلام إلى فلسفة فى الدين، ثم محولا فلسفة الدين إلى فلسفة فى التاريخ. ففى **"كتاب زهور المعانى"** لإدريس عماد الدين القرشى. لا يظهر

---

(١) السابق ص ١٤٩، اكبرها الرابع ثم الثانى وأصغرها الرابع.

(٢) السابق ص ١٦٩–١٧٠.

(٣) السابق ص ١٥٢/١٥٨–١٥٩/١٦٢–١٦٦/١٩٣/١٤٩/٢٤٤.

الوافد على الاطلاق [1]. وان ظهر خافتا فمن خلال الموروث مثل اختيار المأمون أحد الأئمة بعرض المجسطى عليه، والاشارة إلى هرمس باعتباره النبى إدريس، واستعمال لفظ "السسوفسطائية" لفظا معربا، وقسطا بن لوقا من المترجمين [2].

ولا يعتمد إلا على الموروث الأصلى القرآن والحديث والأنبياء والأئمة وأضدادهم. يتجاوز القرآن الحديث ثلاثة أضعاف. ومن يتصدر محمد والرسول والتراكم الفلسفى التاريخي لمجتمع المضطهدين، ويتفاعل النص مع الواقع التاريخي ويتم التأويل ويتم نسيج التصور للعالم [3]. وتذكر بعض الأحاديث الضعيفة، فالمهم المتن وليس السند. وصحة المتن المتنى فى مطابقته مع النفس وليس فى مطابقته مع قول القائل أو الراوى[4]. يتم التعبير أحيانا بالشعر لأنه أقرب إلى التعبير عن المأساة كما هو الحال فى الشعر الملحمى ويستعمل أسلوب القرآن الحر والحديث الحر كجزء من الخطاب الفلسفى لاثرائه بلاغيا وفنيا. وتظهر أفعال القول لرواية أقوال الداخل. أفعال القول إذن ليست خاصة بالوافد، أرسطو أو غيره بل هو أسلوب فى التعبير، فى النقل عن الآخرين، يستعمله القرآن والحديث، وظهر فى كافة العلوم النقلية والعقلية.

والحكيم الفاضل ليس أرسطو، والحكماء الفضلاء ليسوا اليونان. وإذا اطلقت الألقاب الأولى التى نشأت للوافد، أصبحت على العموم تشير إلى الموروث الذى اصبح الوافد جزءا منه. كما تظهر بعض مصطلحات الوافد مثل الهيولى والصورة بعد ان استقرت وأصبحت جزءا من الموروث الثقافى العام الذى لا تمايز فيه بين الوافد والموروث بفعل التراكم التاريخى.

وكما يظهر الموروث الأصلى فى القرآن يظهر أيضا الموروث فى التوراة استشهادا به على تاريخ الأنبياء تأصيلا للجديد فى القديم وعودا إلى الجذور حتى يمكن أن تهز أبنية الظلم فى الحاضر.وكثير من الروايات ظنون وتخيلات ينقصها البرهان. وبعض الأحاديث القدسية موضوعة لأنها تسمح بالخيال مثل كتاب "بدأ الخلق" فى البخارى وهى

---

(١) إدريس عماد الدين القرشى: كتاب زهور المعانى، تقديم وتحقيق مصطفى غالب، مجد، بيروت،١٩٩١.
(٢) السابق ص ٢١٢/٢٨٦/٢٩٦/٣٣١.
(٣) القرآن (٢٩٢)، الحديث (١٠٠).
(٤) فضل اليمن على الشيعة، أو فضل عمان على الخوارج، وفضل السعودية على الحنابلة، وفضل مصر على وحدة الأمة: والمؤلف هو "مولانا وسيدنا داعى الجزيرة اليمنية وأمين الدعوة الطيبة عماد الدين عمدة العلماء الموحدين أدام الله تأييده".

أحاديث طويلة لأنها من صنع الخيال المنطلق فى إبداعه. ولا تهدف إلى بيانات عملية كما هو الحال فى الأحاديث الصحيحة القصار. وكل التأويلات لتحقيق المناط وتركيب النصوص على الأئمة والأوصياء والأضداد وكأن النصوص نزلت فى هذه المواقف الجديدة. لذلك تتعين النصوص فى أسماء الأشخاص. بل يتم تأويل الشرائع لتعميمها وإطلاقها من حدودها الخاصة إلى حدودها العامة مثل تأويل أركان الاسلام الخمس. فالتأويل يقوم بحركتين من العام إلى الخاص فى تحقيق المناط، ومن الخاص إلى العام فى تأويل الحدود(١).

ويتم التحول من الكلام إلى الفلسفة، من الخلق إلى الفيض، ومن الامام الشرعى إلى الامام الكونى. ويدل العنوان كله على ذلك، على التوحيد والابداع والكمال ثم ارتقاء الجسمانى إلى الروحانى (٢). ويتجلى التوحيد فى الابداع أى الخالق فى المخلوق حتى يتحقق فى الامامة الكونية (٣). ويتم نقد نظرية الذات والصفات والأفعال لتى تحولت إلى جوهر صنمى عقلى بديلا عن الأصنام الحسية من أجل بيان تجليات الذات الالهية فى الكون بالطريقة الصوفية. ولفظ الابداع وسط بين الخلق والفيض، وأقرب إلى التصور الفنى منه إلى التقرير الوصفى. ويقل المعاد لصالح النبوة. كما يقل الايمان والعمل لصالح الامامة. ويتضخم التوحيد على حساب العدل نظرا لغياب العدل فى الدنيا وثورة التوحيد على الظلم. والوراثة أفضل من الاختيار. العلم والملك وراثة أفضل من سوء التأويل وسوء الاختيار.

ومن الفلاسفة يتصدر حميد الدين الكرمانى وكتابه الشهير "راحة العقل" ثم السجستانى فى "اثبات النبوة"، وإخوان الصفا ورسالتهم خاصة "الجامعة"، ومؤلف "ضياء العقول". ويحيل إلى مؤلفين "الروضة"، "جلاء العقول وزبدة المحصول" لعلى بن محمد بن الوليد (٤). وتكثر أسماء أعلام الخلفاء والأمراء والعلماء بما يفوق المائة مما يدل على

---

(١) انظر دراستنا: من نقد السند إلى نقد المتن، دراسة فى علم الحديث، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الخامس، القاهرة ١٩٩٩، ص ١٣١-٢٤٣.

(٢) العنوان الكامل "كتاب زهر المعانى فى توحيد المبدع سبحانه ومعرفة كمال الأول والثانى وحصول عالم الجسم وارتقائه إلى العالم الروحانى".

(٣) يتكون الكتاب من واحد وعشرين بابا، الثلاثة الأولى فى التوحيد، ومن الرابع حتى الحادى عشر فى الإبداع أى الطبيعيات، ومن الثانى عشر حتى السابع عشر فى تاريخ الأنبياء، ومن الثامن عشر حتى الواحد والعشرون فى الامامة.

(٤) ويذكر أيضا كتاب "الابتداء والانتهاء"، "تأويل الزكاة" لجعفر بن منصور، "رسالة العماد" للمؤيد فى الدين، ولنفس المؤلف "تنبيه الهادى والمستهدى" ، السابق ص ٢٧٣/٢٨٧/٢٩٣-٢٩٥/٣١٥.

مدى تفاعل الفكر الشيعى مع الموروث [1]. كل ذلك رد فعل على الاستبعاد والاقصاء من رجال السلطة لرجال المعارضة الذين يذكرهم التاريخ. ومن البيئة الجغرافية المحلية تذكر ديار مصر، والاسكندرية، والقاهرة ومسجد عمرو بن العاص، وبرقة والقيروان ومدن الشام، والشام، وأنطاكية، وملك الروم، ومن الأقوام العرب والعجم. ونظرا لهذا العدد الضخم من الأسماء جعل الفكر أقرب إلى التجميع منه إلى الإبداع، يظهر فيه التراكم التاريخى أكثر مما يظهر فيه النقل النوعى.

ومن الأنبياء من يتصدر محمد الرسول، ثم موسى، ثم آدم، ثم عيسى، ثم إبراهيم، ثم إسماعيل، ثم نوح، ثم هارون، ثم إسحق ويوشع بن نون، ثم سام، ثم يحيى، ثم مريم وتوما، ثم زكريا وفنحاس وداود ثم لوط وشيث وشعيب [2]. ويذكر أضداد الأنبياء مثل إبليس ويهوذا وأبو جهل وأبو لهب كما يذكر النصارى وبنو إسرائيل واليهود وهاروت وماروت. ويعاد بناء فلسفة التاريخ على نحو تقليدي قديم النبى والضدد المقيم والوصى. لكل نبى مقيم، قابيل وهابيل، فالأنبياء أدوار تمثل مراحل التاريخ وكلها تمثل ارتقاء وتقدما وانتقالا من الظاهر إلى الباطن على عكس تصور أهل السنة الذى يقوم على الانهيار المستمر من الامامة إلى الخلافة إلى الملك العضود، من الصحابة إلى التابعين إلى تابعى التابعين كما هو معروف فى كتب الطبقات، طبقات المعتزلة، وطبقات الصوفية، وطبقات الحنابلة ... الخ.

---

(١) حميد الدين الكرمانى (٣٥)، راحة العقل (١٢)، حميد الدين قسى (٢٣)، جابر بن عبد الله الانصارى (٢٢)، إسماعيل (٢١)، مولانا المعز، ولى الله (٢٠)، المهدى (١٧)، المنصور بالله (١٦)، المستنصر بالله (١٢)، عبد المطلب (١١)، إسحق، نزار، إسماعيل بن جعفر (١٠)، أبو بكر (٩)، خديجة، المستعلى بالله (٨)، المأمون (٧)، موسى بن جعفر (٦)، العزيز بالله (٥)، المنصور أبو على، عمر (٤)، هشام بن عبد مناف، عائشة، إبراهيم بن الحسن الحامدى، جعفر بن منصور اليمني، قيدار بن إسماعيل، الفضل، الحاكم بأمر الله، حاتم بن إبراهيم، أبو القاسم، يحي بن زيد، يزيد، على بن الحسن، عثمان، أبو ذر، محمد بن أبى قحافة(٣)، زيد بن عمر، كميل بن زياد، سليمان الفارسى، السجستانى (اثبات النبوات)، على بن المنصور، ميمون القداح، عبد الله بن رواحة، خالد بن زيد الجعفى، محمد بن على، محمد بن إسماعيل، أبو جهل، سلمان الفارسى، ابن سنان، كسرى، أحمد بن عبد الله (٢)، وحوالى خمسون علما كل منهم مرة واحدة.

(٢) محمد (٦٧)، الرسول (٦٢)، موسى (٤٢)، آدم (٤١)، عيسى (٤٠)، إبراهيم (٣٤)، إسماعيل (٢١)، نوح (١٥)، إسحق، هارون، يوشع بن نون (١٠)، سام (٧)، يحي (٥)، مريم، توما (٣)، زكريا، فنحاس، داود (٢)، لوط، شيث، شعيب، يعقوب، ذو الكفل، أيوب، سليمان (١).

النبى	الوصى	المقيم	الضد
آدم	ســـام	هـــنيد	إبـــليس
نـــوح		لاقـــح	ايـــنه
إبراهيم		صـــالح	الـــنمرود
موســـى		جدعـــان	فـــرعون

ويستمر هذا التصور الجدلى للتاريخ على نفس النمط نظرا لاستمرار النبوة فى الامامة. فالمستنصر بالله ضده نزار أو محمد بن أبى قحافة. ويتكرر هذا الموقف فى كل عصر من أجل شحذ الصراع بين الامام وضده [١].

ومن الأئمة وآل البيت يتصدر أمير المؤمنين ثم الحسين وفاطمة ثم جعفر الصادق، وهم قادرون على اجراء المعجزات مثل حوارى السيد المسيح. وبين التشيع والنصرانية، وبين التشيع واليهودية هناك عناصر قربى. لذلك كثيرا ما ينصره المستشرقون. والأديان كلها تهدف إلى غاية واحدة بالرغم من تعدد مراحلها، ويصل حد الاشادة بالقدماء أئمة وأوصياء وعلماء إلى غياب النقد، ووصول الأمر إلى درجة التقديس ما يتنافى مع الاجتهاد والتطور وارتقاء التاريخ والفكر السنى والفكر الشيعى عالمان مغلقان، تصوران متضادان للعالم، تضاد السلطة والمعارضة، الدولة وخصومها، الأمر الواقع والتغيير فى المستقبل، شرعية الماضى وشرعية المستقبل. وكل باب له وحدته يبدأ بالبسملات والحمدلات وينتهى بها مما يبين أن الفكر خارج من الموروث وتنظير لعناصره [٢].

٢- **آليات الابداع.** ويقوم تنظير الموروث على الاختصار دون التطويل والتركيز على المعنى وتجاوز العقول إذا كانت الفكرة واضحة والموضوع جليا، والعقل قادر على الامساك به وتحويله إلى نظرية. لذلك تتم العودة إليه باستمرار فى حالة الاستطراد والتذكير به [٣].

كما يظهر أسلوب النقد والتمحيص والتنبيه على الأوهام والجهل وبيان المحال والتناقض. فالفكر عملية تحقق وبرهان، ونقد ومراجعة، ترمى إلى تبديد الأوهام مما يدل على أهمية المعرفة وتبديد الوهم. وتوصف الأوهام بأنها عامية أى أنها أقرب إلى أوهام

---

(١) السابق ص ٣٢٢.

(٢) أمير المؤمنين (٨٧)، الحسين (٤٦)، الحسن، فاطمة (٣٠)، جعفر بن منصور (١٥)، الباقر، محمد بن إسماعيل (١٢)، إسماعيل بن جعفر (٨)، زين العابدين (٤)، محمد بن جعفر، على بن الحسين (٢).

(٣) ابن سينا: النفس الناطقة ص ١٩٩، الصلاة ص ٤٠، الزيارة ص ٤٦، الجوهر النفيس ص ٣٧٢، الفعل والانفعال ص ٣٠، الموت ص ٥٠.

السوق والأفكار الشائعة والأحكام الخاطئة[1]. ويفضل لفظ الجهل والفساد والخلف والمحال والبطلان. والغاية تبديد الوهم، وتصحيح الفكر والعودة إلى البرهان. بل يوجه النقد إلى القارئ ان وقع ضحية هذه الأفكار الشائعة والذى يظن ان السعادة فى الطعام والشراب والنكاح. ويتفاوت النقد فى الرسائل. يغيب فى القصيرة نظرا لتركيزها ويكثر فى الطويلة لأسهابها [2]. بل إنه يوجد أيضا فى باقى الأشكال السابقة للعلاقة بين الوافد والموروث. ففى "الإشارات والتنبيهات" مثلا تظهر عناوين فرعية مثل "وهم وتنبيه"، "أوهام وتنبيهات" [3].

ويظهر الأسلوب الاسلامى الأصولى فى تخيل الاعتراض والرد عليه مسبقا حتى يمكن بناء الفكر نظريا متسقا مع نفسه. ويتم ذلك عن طريق فعل السؤال: فان سأل سائل أو فعل القول: فان قال قائل. وقد يكون السؤال موجها للمؤلف، وقد يكون على العموم ليس موجها لأحد، تأكيدا للفكر الموضوعى المستقل. قد يكون القول لقائل، وقد يكون الفعل مبنيا للمجهول بصرف النظر عن القائل. وهو قول متخيل لأنه بصيغة الاحتمال. ويظهر لفظ الاعتراض لبيان ان القول اعتراض وليس مجرد قول. والاعتراض أدق. كل اعتراض قول وليس كل قول اعتراضا. ولا يرد على الاعتراض إلا بعد التحقق والتيقن. وينطبق ذلك أيضا على "الاشارات والتنبيهات"[4].

كما يكشف الأسلوب وطريقة التعبير أن المؤلف يصف فكره وفكر محاوره ورؤيته لمساره ووحدته ومنطقه واستدلاله. يذكر بما سبق ويخبر بما هو لاق حتى يظهر التواصل بين مراحل الفكر والعلاقة بين المقدمات والنتائج، واتجاهه نحو غاية وقصد هو الموضوع ذاته. وتظهر عبارات الربط من أجل بيان وحدة الفكر فى البداية ثم تقل عندما يبرز الموضوع. وينطبق ذلك على باقى أشكال التأليف [5].

والرسالة علاقة متبادلة بين المؤلف والقارئ وأحيانا بين الناشر والناسخ والقارئ

---

(١) وهو ما حاوله بيكون فى أوهامه الأربعة المعروفة فى الفلسفة الغربية الحديثة.

(٢) ابن سينا: أحوال النفس ص ٢٠٧/٩٣، معرفة النفس ص ١٨٣.

(٣) وهم وتنبيه (١٧)، أوهام وتنبيهات (١)، الاشارات والتنبيهات ص ٢١٦/٢١٣/٨٥/٥٧/١٧، العشق ص١٩، البواعث ص ٢٢٠، أجوبة البيرونى ص ١٣٦.

(٤) القوى النفسانية ص ١٥٨، معرفة النفس ص ١٩٠-١٩١، الصمدية ص ٢٠، أحوال النفس ص ٩٤، الاشارات ص ٢٦.

(٥) معرفة النفس ص ١٨٥، أحوال النفس ص ١١٩/١٠٥/٧٣/٤٥/١٥٢/١٥٠/١٢٢/٧٨٩/٦٨/٦٥، القوى النفسانية ص ١٥٥/١٥٣/١٥٠، وأيضا العشق ص ١١، السعادة ص ١٨.

لما كان الناشر والناسخ يتمثلان موقف المؤلف على نحو تصاعدى لاشتراكهما فى نفس القضية. فالدعوات من المؤلف للقارئ بالسعادة ومديد العمر، والدعوة له بنيل الرغبات، وتحقيق الأمنيات والسعادة فى الدارين وصرف المكروه ودوام السلامة. وقد تصبح مخاطبة القارئ، مناجاة له إذا كان من الصوفية مثل أبى سعيد، تتقلب إلى مناجاة الله، مرة أفقية، ومرة رأسية[1]. الفكر نفسه تجربة مشتركة بين الكاتب والقارئ وليس عملا فرديا بلا قضية أو جمهور. هذه لتجربة المشتركة هى مقياس اليقين ومحك النظر ومعيار العلم. ما يقوله المؤلف يعلمه القارئ بفطرته وعن طريق السمع والرواية. وإن لم تكن لدية تجربة أو علم سابق يعطيها المؤلف إياه. دور المؤلف الزيادة فى التوضيح. وشرط مشاركة الآخر فهمه وتأمله. وشرط الفهم والتأمل كبح الشهوات والتخلص من الأهواء وصفاء النية. الأخلاق شرط العلم. والطهارة تسبق المعرفة. ويقبل شك المستمع ويرد عليه، والله أعلم. وقد يأمر المؤلف القارئ بالعلم والاعتبار تنبيها له وإيقاظا لشعوره. وأحيانا يكون الأمر فى صيغة مناشدة بل ومناجاة بين شقيقين طلبا للسعادة الأبدية. وينتهى الأمر بالدعاء إلى القارئ وكأنها علاقة بين شيخ ومريد، مرشد ومسترشد، وعظ فى مسجد، مكافأة وجزاء، نصيحة وتناصح، وطلب الخير للاثنين، خير النصح وخير الاسترشاد بغية النجاة فى الدارين. وإذا كان العمل صوفيا أدبيا فان مخاطبة القارئ تتحول إلى مناجاة وابتهال ومناشدة بالصداقة والأخوة. وأحيانا يكون الخطاب للشخص الثالث على الاطلاق غير المحدد بل المخاطب كقضية أمة. فمن عاهد الله أن يسير بهذه السيرة وفقه الله إلى ما يتمناه. وقد يتحدث ابن سينا عن القارئ الغائب باعتباره آخرا تسهيلا عليه. وأحيانا يقوم الناسخ بتقطيع نص المؤلف إلى فقرات ويصدره بقال الشيخ اشتراكا مع المؤلف فى مساره مثل العلاقة بين المقرئ والمستمع [2].

وتظهر وحدة عمل ابن سينا فى الاحالة إلى باقى مؤلفاته الجزئية حتى تظهر وحدة الرؤية الكلية والمذهب العام. كما يحيل لكتاب إلى آخر فى نفس الموضوع كما تحيل "رسالة النفس الناطقة" إلى رسالة "معرفة النفس" على مراحل مختلفة من العمل. فقد كتب ابن سينا الثانية قبل الأولى بأربعين عاما بطريقة أهل الحكمة البحثية. فالكتابة فى نفس الموضوع قد تكون بأكثر من طريقة، تمثلا للوافد أو تمثلا للوافد وتنظيرا للموروث أو

---

(١) القدر ص ١، الزيارة ص ٤٤، أجوبة البيرونى ص ١٢١/١٤٧/١١٩-١٢٠.

(٢) أحوال النفس ص ٦٧/٩٤، الطير ٤٢-٤٣ الالهيات (١) ص ٢٨٣/ ١٥٣/١٥٥/٤٣٧، الرعد ص ٣، السعادة ص ٥/٢١، العهد ص ١٥٩، السياسة ص١٧، أجوبة البيرونى ص ١٥١/١٤٧، الجوهر ص ٢٥٨/٢٦٠-٢٦٣/٢٧٤-٢٧٥.

تنظيرا للموروث فقط أو إبداعا خالصا عن طريق الحكمة البحثية أو الحكمة الذوقية [1]. وقد يحيل العلم بأكمله مثل علم النفس إلى باقى العلوم كالأخلاق. إذ يتبين من الأخلاق أنها والعادات تابعة لمزاج البدن، ويشمل الوظائف الشرعية والسنن الملية والعبادات البدنية والمالية أى الشرع. وقد يحيل موضوع النفس إلى العلوم الطبيعية نظرا لارتباطه بالأجرام العلوية وتأثير العالم العلوى فى العالم السفلى. فكل علم تثبت مقدماته فى علم آخر [2].

وتظهر البيئة الدينية فى البسملات والحمدلات فى البداية والنهاية والوسط، فى أول كل مقالة أو فى آخرها فى كل المؤلفات،. كما تظهر الصلوات والتسليمات على الرسول وآله وصحبه. كما تظهر بعض الدعوات الصوفية ومصطلحات وغايات الاشراق كما هو الحال فى المؤلفات الكلامية الأشعرية، ودعوات الكريم بالتيسير والاتمام بالخير، ودعوة الله بالتوفيق بمنه وجوده وكرمه، وربط كل شئ بالمشيئة الالهية فى تأليف الفصول القادمة والاستعانة بها. ولا فرق فى ذلك بين المؤلف والناسخ والقارئ والمالك بائعا أو شاريا. فالمهم النص كوثيقة حضارية وكعمل جماعى يكشف عن دلالات عامة. ويكشف ذلك عن الجو الدينى العام للتأليف طلبا للهداية إلى طريق الحكمة الذوقية ودعاء بحشر الجميع مع أهلها. وقد يزداد على البسملة الدعوة بالتوفيق والاناية والاستعانة والتوفيق وادرك المطالب العالية والنجاة يوم الحساب والمنفعة بالعلم وبنيل الغايات والسعادة فى الدارين ودوام السلامة. ويمكن أن تحتوى الخاتمة الدينية على دعاء أو شهادة على خصم.

ويوصف الله بكثير من الأوصاف الفلسفية مثل واهب العقل أو واهب العقل والكمال. ويتكرر الوصف فى معظم الرسائل، بالاضافة إلى مبدع الكل. وتتوالى الصور البلاغية مثل الذى خلق العدم بنور الوجود، ملهم الصواب. ويوصف بأنه واهب القوة مع عديد من العبارات ذات السمع والايقاع اللفظى كما هو الحال فى الدعوات والابتهالات والمواعظ والمواجيد. الله ملهم الصواب، ومنور الألباب، واهب العقل، والمتكفل بالعدل. كما تكشف المقدمات الدينية عن نظرية الاتصال الشهيرة فى الفلسفة الاشراقية. فالله

---

(١) النفس الناطقة ص ١٩٧/١٩٩، العشق ص ١٤.

(٢) الصمدية ص ١١٥، المعوذة الأولى ص ١٤، المعوذة الثانية ص ٢٩، معرفة النفس ص ١٨١، السعادة والحجج العشرة ص٥، الأجرام العلوية ص ٣٨-٣٩، أقسام للعلوم ص ١٠٤، إثبات النبوات ص١٢٠، النيروزية ص ١٣٢، القوى النفسانية ص ١٤٧، الأضحوية ص ٣٤/٣٠، أحوال النفس ص ٢٤٥، النفس الناطقة ص ١٩٩، العهد ص ١٤٢، علم الأخلاق ص ١٥٦/١٠٨ن المطر ص ٤٨، الصلاة ص٢٨، العرشية ص ٢، حى بن يقظان ص ٢٢/٦/٢، الذكر ص ٣، وأيضا سر القدر ص ١٤٩، المبدأ والمعاد ص٢٥١/ ٢٥٥، علة قيام الأرض ص ١٦٣/١٥٢، أجوبة البيرونى ص ١١٩، السياسة ث ٢، الموت ص ٤٩.

مخاطب، والإنسان مخاطب، والاشراق خطاب لمدافعة الخطأ وملازمة الصواب. وذلك لا يحدث عند العامة بل فقط فى قلوب الأولياء المؤيدين منه والذين خلصت سرائرهم، وصفت ضمائرهم كما أشرق على الموجودات فأبدع الأفلاك، وخلق الأركان، وأنشأ النبات، وأكمل الحيوان ثم خص الإنسان بشرف المنطق والفكر والبيان حتى ليبدو أنه خلق كل شئ من فضالة الإنسان. لذلك استحق التعبد والتضرع. وتتم صياغة كل ذلك فى أسلوب أدبى. فالأدب هو الرابط بين الفلسفة والتصوف، والإنسان مركز الكون وقصده فى كلا العلمين [1].

وكذلك يوصف الرسول ببعض الصفات مثل صاحب الشريعة. وتتجدد صفات الرسول أيضا مثل واسطة عقد العدل، قلادة جيد الفضل، الحامل لواء الحمد، ملاح سفينة الرشد. وهى أقرب إلى الصور البلاغية منها إلى التصورات العقلية. وقد تصبح الصفات والصور لا شخصية بل عامة مجردة مثل شموس الدلالة، بدور الهداية، أعلام الدعوة إلى ينبوع الخير والشر والسعادة فى البداية والنهاية، رسول الثقلين، النبى الأمى، أكمل البرية، سيد المرسلين، خير البرية والمطهرين من كدورات البشرية، سيد الأولين والآخرين. وتكشف الألفاظ الشيعة لابن سينا عن كثرة تعظيم الرسول مثل السيد والمولى والملاذ وكثرة الدعاء لشريعته وحزبه وحمد الله أولا وأخيرا وظاهرا وباطنا. بل أن اسمه يتضمن الأسماء المحببة إلى الشيعة من آل البيت مثل على والحسين، فهو أبو على الحسين بن سينا[2].

وتكشف بعض النهايات عن أسلوب التأليف المحلى، العمل باعتباره وثيقة شرعية يتحدد وقت كتابته وزمن الفراغ منه والدعوات للناسخ وطلب المغفرة له بل وللقراء أيضا مع تحديد وضعه، العبد الفقير لله، واسمه، ونسبه، ومذهبه، وتاريخ وفاته هجريا. فلم يكن الميلادى قد ظهر بعد فى الوعى التاريخى الإسلامى[3]. وقد تصدر كل رسالة بآية تجعل

---

(١) الصمدية ص ٢٤، المعوذة الأولى ص ٢٩/٢٤، العرشية ص ١٨، الفعل والانفعال ص ١٠، الزيارة ص ٤٨، علة قيام الأرض ص ١٦٤، الصلاة ص ١٢٨، الموت ص ٥٧/٤٩.

(٢) أحوال النفس ص ١٤٢/١٤٠/١١٧/١١٠، النيروزية ص ١٤١/١٣٥، الحدود ص ٧٢-١٠٣/٧٣، سر القدر ص ٢٤٥، العرشية ص ٢، المبدأ والمعاد ص ٢٥١، الذكر ص٢، علة قيام الأرض ص ١٥٢، الرعد ص٢، الموسيقى ص٢، الجوهر ص ٢٥٨، معرفة النفس الناطقة وأحوالها ص ١٨٢/١٨١/ ١٩٩/١٩٥/١٩٢، فى القوة الانسانية وادراكاتها ص ٦٠، الاجرام العلوية ص ٥٩، أقسام العلوم ص ١١٨، اثبات النبوات ص ١٣٢، القوى الانسانية ص ٧٠، عيون الحكمة ص ٣٨.

(٣) السياسة ص ١٧/١٢، الرعد ص ٤-٥، الجوهر ص ٢٥٨، الفسق ص ٢٧، الصلاة ص٢٨-٤٣/٢٩، الزيارة ص ٤٥، القدر ص ٢٥، الموسيقى ص١، الفعل والانفعال ص١، النفس الناطقة ص ١٩٩.

موضوعها قرآنيا أى رد الحكمة من الخارج إلى الداخل. فالآية هى الحل والحامل والموضوع والموجه والنموذج والمثل، يختار الناشر الآية المناسبة لموضوع الرسالة ويصدرها بها فوق عنوانها الاصلى، مثل وضع "**الله يفعل ما يشاء**" فوق عنوان رسالة "الفعل والانفعال"[1].وباقى رسائل ابن سينا المنشورة فى حيدر أباد مع الدعوة لحراستها من الفتن والمخاطر الداخلية والخارجية. فلا فرق بين النص والموقع، بين العمل والمدينة، بين الفكر والأمة، بين العقل والتاريخ. ويعلن عن الطبع فى هذه البيئة الدينية مع ذكر التاريخ الهجرى والصلاة والسلام على الرسول ومقابلة الطبع على النسخة القديمة وتحديد مكانها ورقمها وتصنيفها ومقابلتها مع النسخ الأخرى فى أماكن أخرى، وذكر المصحح وألقابه وخبرته واسمه والدعوة له بالسلامة. بل لقد قلد المستشرقون ذلك فسمى المستشرق نفسه العبد الفقير إلى رحمة ربه. كما سمى ليدن المحروسة.

وتقترن بالدعوة إلى الله الدعوة إلى السلطان. ويشتق اسم الرسالة من اسمه كما فعل ابن سينا فى "الرسالة النيروزية" لخدمة السلطان مولانا نيروز مع الدعوة لإدامة عزه ومدح جود اليد، وعرض خدمات ابن سينا حكيم البلاط له، وإعطائه أربعة ألقاب: المولى، والشيخ، والأمير، والسيد. ويكررها مرتين فى مقدمة الرسالة. ثم يتواضع ابن سينا لدرجة الخضوع والتذلل، ويعتبر نفسه واحدا من القوم، من الرعية، من السواد الأعظم، يريد إعطاء هوية فكرية وليست دنيوية وكأن الفكر صناديق ومعلبات للخزانة الكريمة وليس للعقول، للأمير وليس لمجموع الأمة. بل يحتاج ابن سينا إلى مقابلة الأمير لمشافهته بها، والوقوف على الاعتاب السنية فى الحضرة الملكية [2].

٣- **تنظير الموروث المنطقى والعلمى.** ولم يقتصر التنظير على علوم الحكمة وحدها الطبيعيات والالهيات والنفسانيات بل امتد أيضا إلى آلة العلوم المنطقية وإلى العلوم الرياضية مثل الفلك والطبيعة مثل الطب والتى أصبحت علوما موروثة خالصة حتى ولو كانت فى بداياتها وافدة بعدد أن تحول الوافد إلى موروث. واستمر من القرن السادس حتى القرن الثالث عشر بداية فجر النهضة العربية على عكس الحكم الشائع أن الفلسفة انتهت بعد ابن رشد.

---

(١) آية ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾، فوق "رسالة فى السعادة والحجج العشرة على أن النفس الانسانية جوهر». وآية ﴿ والله يقضى بالحق ﴾ فوق "سر القدر"، وآية ﴿ لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ فوق "الرسالة العرشية فى توحيده تعالى وصفاته" حيدر أباد الدكن، أصانها الله من الشرور والفتن.

(٢) النيروزية ص ١٣٤-١٣٥/١٤٠.

أ ــ **نظير الموروث المنطقى.** ويبدأ ذلك عند ابن رشد المعروف بالشارح الأعظم وأكبر متمثل للواقد وشارح وملخص وجامع له. ويقوم ابن رشد بذلك فى مقالاته الصغرى. ففى كتاب "**العبارة لأبى نصر**" لا يظهر إلا الموروث كدليل على التراكم الفلسفى من الفارابى وكما هو واضح فى العنوان[١]. يظهر أبو نصر ثم ابن وهيب والقراء وأبو بكر[٢]. ويستعمل ابن رشد نفس المنهج الشارح ولكن هذه المرة للفارابى وليس لأرسطو، للداخل وليس للخارج، للموروث وليس للواقد. فأول عبارة فى المقال للفارابى. والموضوع لغوى محلى صرف لا شأن له بالواقد، ودلالة الاسم المشتق على المعنى والموضوع، وصلة اللفظ بالمعنى بالشئ. فالكلمة تدل على الفعل فى الزمان المحصل وعلى المعنى والموضوع. ولا يشارك المعنى الأسماء المشتقة لأنها تشير إلى شئ وليس فقط إلى معنى. ورباط القضية يحيل إلى هذا الشئ. ويتجه ابن رشد إلى عدم تخطئة الفارابى. فالفيلسوف البرهانى لا يعارض الفيلسوف المنطقى. إذ أن حكيمها يشارك فى منطق البرهان. ويعارض الفيلسوف الاشراقى سواء كان الفارابى أو ابن سينا. وكعادة ابن رشد فى الشرح يستنبط النتائج من المقدمات، ويصف مسار الفكر، بداياته ونهاياته، ويتتبع منطق استدلاله، ويراجع احكامه. ويبدأ المقال بالبسملة وطلب العون من الله والصلاة والسلام على محمد وينتهى بالله أعلم.

وفى "**انعكاس القضايا**" يغيب الواقد كلية ولا يحضر إلا الموروث، أبو نصر، ثم ابن سينا دون أرسطو أو أحد من شراح اليونان [٣]. ولا توجد إحالات إلى مؤلفات أو مجموعات، هناك إشارة واحدة لبعض الفاضلين دون تحديد لهويتهم، من الواقد أو الموروث [٤]. وبالرغم من أن الفارابى أكثر ذكرا إلا أن المقال كله نقد لمذهب ابن سينا فى انعكاس القضايا. فقد رد ابن سينا على الفارابى فى الممكنة ولم يرض عنه. كما رد ابن رشد على ابن سينا وفقا لتشنيعه. ويراجع رده من المتقدم إلى المتأخر، من الفارابى إلى ابن سينا إلى ابن رشد لبيان الانحراف فى الفهم، ومن ابن رشد إلى ابن سينا إلى الفارابى لتجاوز هذا الانحراف والعودة إلى الأصول على نحو تراجعى، من المتأخر إلى المتقدم. فابن رشد مع أبى نصر ضد ابن سينا. الأول يحاصره من النهاية والثانى يحاصره من البداية. وأبو نصر برئ وابن سينا متهم. هذا حكم القاضى أبى الوليد. ابن

---

(١) ابن رشد: من كتاب العبارة لابى نصر، مقالات ص ٨٣– ٨٦.

(٢) أبو نصر (٣)، ابن وهيب القراء، أبو بكر (١).

(٣) مقالات ص ١٠٠–١٠٥.

(٤) أبو نصر (٥)، ابن سينا (٤).

سينا يعاند وابن رشد يفك عناده، لو كان ابن رشد مقلدا وتابعا لأرسطو لما محص أو نقد أو حكم. يتمثل إبداع ابن رشد فى البحث عن الحقيقة والحكم بين المتخاصمين. ينقد ابن رشد مذهب ابن سينا فى انعكاس القضايا، وهو مذهب الفارابى نظرا لمعاندة ابن سينا لأرسطو فيه. ويقوم بعملية تطهير للأصول من الفروع. ولا يعرض بل يأتى بجديد، ويأخذ موقفا، ويتناول كل ما هو فى حاجة إلى تطهير كما هو الحال عند فقهاء الحنابلة. يشك ابن سينا فى قول أرسطو أن الجزئية الموجبة الممكنة تنعكس ممكنة، وكذلك فى الضرورية الجزئية الموجبة تنعكس ضرورية، وفى السالبة المطلقة تنعكس كلية. ويعاند قول أرسطو بالمواد ناقلا المنطق من المستوى الصورى إلى المستوى المادى كما حاول الفارابى من قبل، ويناقض نفسه، ويخرج من السياق، ويكرر شكوكا قديمة أمكن الرد عليها. يبحث ابن رشد عن صحة أشكال القياس. وهو الذى يقول وليس فقط أرسطو. وقوله هو الحق دون تعصب. وأن لم يبدأ المقال بالبسملة إلا أنه ينتهى بالحمدلة وبأن الله أعلم.

وفى "**من كتاب البرهان لأبى نصر**" يغيب الوافد كلية ويحضر الموروث [1]. ويظهر التراكم الفلسفى المنطقى من الفارابى إلى ابن باجه وابن وهيب والفراء. ويحيل إلى كتاب البرهان لأبى نصر كما يتضح فى العنوان [2]. وألفاظ الكتاب هى ألفاظ أبى نصر. فلا داعى للحيد عنها بدعوى إصلاح المعنى لأن المعنى الجديد يمكن التعبير عنه بألفاظ أبى نصر. وقد أصاب أبو نصر فيما اشترط فى جنس الفصل أن يكون محمولا اولا كما عرض لذلك فى كتاب "**البرهان**". وقد أصلح ابن باجه لفظ الفارابى فى القراءة وأرجعها إلى خطأ الناسخ، وبرأ أستاذه منه. فليس يمكن أن يكون جنس الفصل المقوم جنسا للموضوع مانعا لأن يكون محمولا أولا. وقد استكره البعض اللفظ، وأخرجوه من معناه الجائز فى العربية. وقد قام بمثل هذا الاصلاح فى كتاب مقابل بكتاب أبى عبد الله مالك بن وهيب وهو كتاب صاحبه الفراء. ويبحث ابن رشد عن الاتساق المنطقى والوضوح الفكرى بعيدا عن التناقض والغموض. ويتوخى الدقة فى اقتضاء الكلام لمقتضى الحال دون زيادة أو نقصان. ويستعمل أسلوب القول والاعتراض . فقال أرسطو لا تعنى التبعية له بل أسلوب الجدل والتمايز بين الأنا والآخر. بل انها عادة قد تكون أحيانا من الناسخ تقطيعا للحجج ومساعدة على فهمها. فالنص عمل حضارى مشترك بين المؤلف والناسخ والقارئ والمالك. وأحيانا يكون القول بضمير المتكلم أو المخاطب أو

---

(١) ابن رشد: مقالات ص ٢١٥ – ٢١٩.

(٢) الفارابى (٣)، ابن باجه، ابن وهيب، الفراء (١).

الغائب، مفردا أو جمعا. ويجعل ابن رشد اللغة العربية وليس اللغة اليونانية أساس الاستحسان أو الاستهجان اللغوى فى القضايا المنطقية. وكما يبدأ المقال بالبسملة وطلب العون من الله الرب والصلاة والسلام على محمد ينتهى بالحمدلة.

واستمر تنظير الموروث فى القرن السابع فى "**المختصر فى المنطق**" لابن عرفة (٧١٦ – ٨٠٥ هـ) [١]. وهو إمام جامع الزيتونة مما يدل على اشتغال رجال الدين بالمنطق كبديل عن الجدل الكلامى. هدفه تعليمى تعليم المنطق بعد أن تداخل فى العلوم. يعتمد على اقتباسات كثيرة مما يظهر فى أسلوب "قال" و"قلت". ويظهر التراكم التاريخى فى كثرة الاسماء للاعلام أو للكتب مع الالقاب مثل الشيخ الامام، مع ظهور الوعى التاريخى والتمايز بين المتقدمين والمتأخرين، ويظهر أكثر من خمس وعشرين مؤلفا وعالما. يتصدرهم السراج ثم الخونجى وابن واصل ثم الأثير ثم الشيخ وهو فى الغالب ابن سينا ثم الفخر ثم الفارابى ثم الكشى ثم الكابتى ونصير الدين السمرقندى. ثم ابن الحاجب، وابن الحباب، وابن التلمسانى، وابن الاندراسى، والأيلى، وابن البديع. ثم الأشعرى، والقرافى، والشيرازى، وعز الدين بن عبد السلام [٢]. كما يحال إلى عديد من المؤلفات المنطقية مثل الكشف، والموجز، والمجمل، والرسالة، والملخص، والشفاء، والاشارات، وشرح الإشارات. ويكثر ذكر الأقدمين ثم المتأخرين ثم المحدثين مما يدل على ارتقاء الوعى الفلسفى. ولا يذكر اليونانيون إلا مرة واحدة من ذكريات الماضى البعد بعد أن ورثهم المسلمون. وبالاضافة إلى الاكثار من ألقاب العلماء وهى سمة العصر تظل الايمانيات، البسملة والصلاة على محمد وآله وصحبه إلى يوم الدين والدعوة بالتوفيق والدعاء بطلب حسن العون [٣].

ويستمر تنظير الموروث المنطقى حتى القرن الثانى عشر فى "**الجواهر المنتظمات فى عقود المعقولات**" **لأحمد السجاعى** (تـ١١٩٧هـ) وشرح المؤلف نفسه مع حاشية

---

(١) ابن عرفه: المختصر فى المنطق.

(٢) السراج (٣٧)، الخونجى، ابن واصل (٣٣)، الاثير (١٧)، الشيخ (١٦)، الفخر (١٥)، الفارابى (٨)، الكشى (٥)، الكابتى، نصير الدين السمرقندى (٣)، ابن الحاجب، ابن الحباب، ابن التلمسانى، ابن الاندراسى، الايلى ابن البديع (٢)، الأشعرى، القرافى، الشيرازى، عز الدين بن عبد السلام، الامام(١)، ومن المؤلفات: الكشف (٧)، الموجز، المجمل (٢)، الملخص، الرسالة، الشفاء، الاشارات، شرح الاشارات (١)، ومن الفرق: الأقدمون (٥)، المتأخرون (٢)، المحققون، اليونانيون (١).

(٣) مثل الشيخ الفقيه العالم العلامة والصدر الشهير، الخير النبيل، المتفنن الأصيل، نسيج وحده، وفريد عصره... برد الله ضريحه، وأسكنه من أعلى الجنان فسيحه...، السابق ص ٥٩.

شيخ الاسلام الشيخ حسن العطار (تـ ١٢٥٠ هـ) مما يكشف عن طبيعة هذا العصر المتأخر وظهور التراكم الفلسفى وعيش الفكر على ذاته، تأليف على تأليف، شرح على متى، وحاشية على شرح، وتخريج على حاشية. ويستعمل القرآن فى الشرح مثل ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ كمثل لاضافة المعرفة إلى المعرفة [١]. ويتعلق بالكلام أكثر من تعليقه بالمنطق. فالكلام منطق العقيدة كما أن المنطق هو آلة العلم. بل إنه يتعلق بالطبيعيات نظرا لتداخل موضوع المقولات بين المنطق والطبيعيات. فالموضوع هو الجوهر والأعراض[٢]. ويعتمد على الموروث وحده، من الفرق على المتكلمين ثم الحكماء ثم الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة و"شيوخنا"، ومن الأعلام ابن السبكى، والزركشى، والشهاب الخفاجى، والسعد التفتازانى، والنظام وابن سينا، وابن دريد. ومن المؤلفات على شرح المقاصد، وشرح الطوالع، وشرح التجريد والمواقف. وواضح الاعتماد على الشروح أكثر من الاعتماد على المتون فى عصر الشروح والملخصات. وينتهى العمل كالعادة بالحمدلات كما يبدأ بالبسملات. ويأخذ الله صفات المنطق مثل تنزيهه عن الكم والكيف، بالاضافة إلى الاستعاذة من شيطان الجن والانس فى الدنيا ويوم الثناء[٣].

واستمر تنظير الموروث المنطقى فى القرن الثالث عشر حتى فى الحواشى مثل **"حاشية شيخ الاسلام والمسلمين رب المريدين المرحوم الشيخ ابراهيم الباجورى على مختصر العلاقة المحقق سيدنا الشيخ محمد السنوسى فى فن المنطق"**. وهو عنوان طويل مركب يدل على تداخل النصوص والتراكم الفلسفى الداخلى بين المتون والشرح والحواشى والتخريجات بطريقة التناص بحيث تصبح الشروح أضعاف النص الأول كمركز حوله حلقات مع فصل بين النواة أو القلب وبين الأوراق المغلقة لها كما هو الحال فى الشرح الكبير عند ابن رشد للوافد. فهو تراكم معرفى مغلق على ذاته، حضارة تعيش على ذاتها، تستلهم ذاكرتها، جمل يجتر فى عصر القحط والجفاف ما طعم من قبل أيام الوفرة والرخاء. يتم التراكم على نحو دائرة ابتداء من المركز وليس على نحو طولى، قراءة اللاحق السابق وتطويره ونقله واعادة بنائه من عصر إلى عصر.

---

(١) أحمد السجاعى: الجاهر المنتظمات فى عقود المعقولات، صبيح، القاهرة ١٣٥٧.

(٢) الفرق ص ١٥، المتكلون (٩)، الحكماء (٦)، الفلاسفة، المعتزلة، الأشاعرة، شيوخنا (١)، المؤلفات: شرح المقاصد (٤)، شرح الطوالع، المواقف (٣)، شرح التجريد (٢). الاعلام: ابن السبكى، الزركشى، الشهاب الخفاجى، السعد التفتازانى، النظام، ابن دريد، ابن سينا (١).

(٣) الجواهر المنتظمات ص ٥-٣٨/٦.

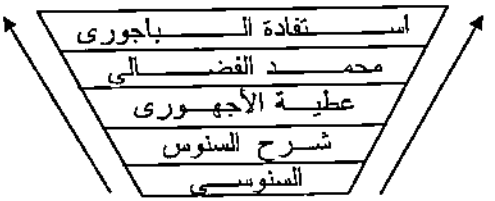

وكان هناك وعى تاريخى بهذه الأنواع الأدبية مثل التقييد والتقرير[1]. ويصل حد التراكم إلى ضياع النص الأول وتغطيته بطبقات من الشروح والحواشى والتخريجات اللغوية والفقهية والكلامة لدرجة التطويل الذى يخلو من الفائدة أو تجديد حتى شرح البسملة وإعرابها نظرا لغياب مادة جديدة، بل شرح لفظ بلفظ مما يدل على غياب المعنى وضياع الشئ لحساب اللفظ دون أى فعل للقراءة أو التأويل لدرجة ضياع النص الأول فتصبح الشروح مجرد حشو لغوى، ملأ فراغ، تغطية مساحة دون مُضمون قديم أو جديد. كل ذلك يدل على الحالة العقلية للعصر وأوضاعه الذهنية وتوقف الحضارة عن الإبداع والانتقال من مرحلة الابداع التى قامت على العقل إلى مرحلة الاستدعاء الثانية التى تقوم على الذاكرة [2].

وتأتى مادة الشروح من العلوم النقلية طالما أن العقل قد توقف عن الابداع، مجرد تجميع من مواد كلامية وفقهية ولغوية أوصوفية. ويبرز الشعر العربى، ثقافة العرب الأولى نابعا من الوعى العربى قبل الاسلام. ويتحول إلى شعر تعليمى من أجل حفظ المادة بأسلوب العرب الأول، الشعر. ويخرج الشرح عن موضوع المنطق إلى بعض المسائل الكلامية. مثل قدم العالم وحدوثه،، أو إلى النحو وعلوم اللغة، والنحو هو منطق العرب كما أن المنطق هو نحو اليونان. وربما تظهر بعض المواد الطبية نظرا لاستمرار الموروث الطبى إلى عصر متأخر لفائدته العملية.

وينتهى الوافد كلية لصالح الموروث، سواء الأصل القرآنى أو الأحاديث النبوية. والحديث يتصدر القرآن لغلبة الرواية على الدراية كمواد وللحواشى أو أسماء الاعلام مثل اليوسى، ثم ابن عرفه، وابن سينا، ثم امام الحرمين، ثم الفارابى والشافعى. فيختلط

---

(١) حاشية شيخ الاسلام والمسامين، رب المريدين المرحوم الشيخ إبراهيم الباجورى على مختصر العلامة المحقق سيدنا الشيخ محمد السنوسى فى فن المنطق، المطبعة الخيرية، صححه محمد صالح بن المرحوم محمد أكرم بن المرحوم محمد جعفر شاه (بدون تاريخ).

(٢) يقول الفقير ابراهيم البيجورى. هذه تغييرات غرر على شرح المختصر، لخصتها من تقرير اشيخ عطية الأجهورى مع زيادة من تقرير شيخنا محمد الفضالى.

الحكماء بالفقهاء. نظرا لأن الفقهاء، أصبحوا حكماء العصر، ثم الاجهورى وامرؤ القيس نظرا لعودة شعراء العرب يحتلون مراكز الثقافة بعد انجسار علماء المسلمين. ثم يختلط الفقهاء بالمتكلمين بالمناطقة بالأنبياء وأضدادهم أو بالفرق مع إحساس بالتمايز بين المتقدمين والمتأخرين وبتنوع الثقافات الفارسية واليونانية، الموروث الشرقى والموروث الغربى بعد أن أصبح كلاهما جزءا من الموروث العام. فاذا ظهر الوافد مثل "شرح ايساغوجى" شيخ الاسلام فلأنه أصبح موروثا ولم يعد وافدا. كما تظهر أمثلة محلية مثل التركى والزنجى والجرجسى. ويضرب المثل يزيد وعمرو على عادة الأسلوب العربى. وتظهر الايمائيات فى البسملة والحمدلة فى البداية والنهاية بل وفى العنوان فى ألقاب الشارح. ومن ثم تحول المنطق إلى علم من العلوم النقلية، ويكون التنظير قد تم لحساب النقل(١).

ب ــ **تنظير الموروث العلمى.** ولما كانت العلوم العلوم قسمان، علوم رياضية وعلوم طبيعية فقد عم تنظير الموروث هذه العلوم خاصة علم الفلك من العلوم الرياضية. وعلم الطب من العلوم الطبيعية نظرا لفائدتها العملية. ففى علم الفلك "**قضية معدل السير عند بطليموس**" لابن سينا وأبى عبيد الجوزجانى نموذج لتنظير الموروث الفلكى ووضع بطليموس فى العنوان من الناشر مما يجعله أقرب إلى العرض الجزئى منه إلى التراكم الفلسفى وتنظير الموروث العلمى. إذ أن العنوان الأصلى "مختصر فى معنى فلك معدل السير ومعنى الميل والالتواء والانحراف لأفلاك التداوير استخرجته من كتاب كيفية تركيب الأفلاك مصنف الشيخ الجليل أبى عبيد عبد الواحد بن محمد الجوزجانى". وهو يدل على أنه اختصار وبالتالى أقرب إلى التلخيص، قام به ابن سينا من كتاب آخر "كيفية تركيب الأفلاك" للجوزجانى. ولما كان خاليا من الوافد اليونانى تماما مما لا يجيز للناشر وضع اسم بطليموس والا كان الوافد حاضرا فيه واجابة عن سؤال محلى، وتلخيص لنص موروث كان أقرب إلى تنظير الموروث لتراكم فلسفى داخلى من الجوزجانى صاحب النص إلى ابن سينا صاحب العرض. فهو نص له مؤلفان كبداية للتأليف الجماعى. هو تناص بين نصين من أجل خلق نص واحد. وهى مشكلة واحدة تعرض لها المؤلفان وانتهيا إلى نتيجة

---

(١) من الأصول الأولى: الحديث (٣)، القرآن (٢)، الحديث (٦)، ابن عرفه، ابن سينا (٥)، امام الحرمين(٤)، الفارابى، الشافعى (٣)، الاجهورى، امرؤ القيس (٢)، الباجورى، الفضالى، السنوسى، الحسن بن على، ابن يعقوب، الثعلبى، ابن الحاجب، الآمدى، الحسن بن سهل، الزركشى، الاصبهانى، ابن التلسمانى، ابن الحباب، ابن مرزوق، العقبانى، خوتجى، الكاتبى، السعد، الكمال ابن أبى الشريف، على الملوى، شيخ الاسلام. ومن الأنبياء ابراهيم (١)، وضده "النمرود" (١)، ومن الفرق: الحشوية، أهل السنة، المعتزلة، الفلاسفة (١). ومن التاريخ المتأخرون (٤)، والمتقدمون (٣)، ومن الثقافات الفارسية، اليونانية (١).

واحدة. فسبب التأليف محلي صرف. هو تأليف إبداعي خالص لولا ذكره للجوزجاني فأصبح تراكما فلسفيا، تنظيرا للموروث[1]. ويشار إلى الفرغاني في فصوله[2].

وهي مشكلة فلسفية خالصة، التناقض بين التصور الرياضي والطبيعي من ناحية والتصور الذاتي. أثارها ابن الهيثم في "الشكوك على بطليموس". فالبطء والسرعة في الحركة ليس في ذاتهما بل لقربهما أو بعدهما من الرائي. ويستعمل المؤلف ضمير المتكلم "أقول" وليس الغائب "يقول" مما يدل على درجة عالية من الابداع. ويتضح ذلك أيضا في وصف مسار الفكر بين الاجمال والتفصيل والسابق واللاحق، والمقدمات والنتائج، والأسباب والمسببات. ويبدأ المقال بالبسملة وينتهي بالحمدلة والترحم على الناس والله أعلم [3].

وفي **"شرح الدائرة الهندية في معرفة سمت القبلة" لحسين الحسيني الخلخالي** (ت١٠١٤هـ) يتم تنظير الموروث الهندي، الوافد الشرقي [4]. وفيها يتم رصد سرنديب نصف النهار في منتصف المعمورة وترثها مكة عرضا وطولا. ويغيب اللوافد اليوناني كلية. وهو تنظير للموروث بثلاثة آيات قرآنية كونية عن الشمس وعشق الليل والفجر [5]. وكان الدافع محليا صرفا، لما كانت الصلاة أشرف الطاعات بعد الايمان وأمر الله تعالى بها في أوقاتها كما يحيل إلى الواحدي مفسرا مع كل ألقاب التعظيم والتفخيم الممكنة التي تميز هذا العصر[6]. وكما تبدأ الرسالة بالبسملة والحمدلة تنتهي بالصلاة على نبيه محمد

---

(١) ابن سينا، أبو عبيد الجوزجاني: قضية معدل السير عند بطليموس، جورج صليبا، مجلة معهد التراث العلمي العربي، حلب، سوريا، المجلد الرابع، العدد الثاني ١٩٨٠ ص ٢٥٤ – ٢٦٩.

(٢) "إني لم أزل كنت شديد الميل إلى معرفة علم الهيئة، ومتوافر على قراءة الكتب المصنفة فيه إلى أن بلغت إلى معنى فلك معدل السير ومعنى الميل والانتواء والانحراف لأفلاك التداوير. فلم أكن أعرف ذلك، ولم يكن يبين لي وجهها فأخذت أتفكر في ذلك واجتهد زمانا طويلا إلى أن يسر الله تعالى ذلك لي وانفتح على وتصورتها وتبينت كيفيتها وأنا لا أدري انجلوا بذلك على غيرهم أم لم يقطنوا له مثل الشيخ الرئيس أبي علي رحمه الله. فاني سألته عن هذه المسألة فقال اني تبينت هذه المسألة بعد جهد وتعب كثير ولا أعلم أحدا. فاجتهد أنت فيها فربما انكشفت لك كما انكشفت لي. وأظن اني ما سبقت إلى معرفة هذه المسائل"، السابق ص ٢٥٧.

(٣) السابق ص ٢٥٦/٢٦٥-٢٥٧/٢٦٩.

(٤) حسين الحسيني الخلخالي: شرح الدائرة الهندية في معرفة سمت القبلة، تقديم وتحقيق دريد عبد القادر نوري، بغداد ١٩٨١، وزارة الأوقاف والشؤن الدينية، الجمهورية العراقية.

(٥) الآيات القرآنية ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ﴾، ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾، ﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾.

(٦) مثل الولي العلامة بدرسماء الملة الحنيفية، السابق ص ٣٤.

سيد الأولين والآخرين وعلى آله وأصحابه أجمعين. وتختتم الرسالة بتاريخ تأليفها ونسخها مع كل التعبيرات الايمانية الممكنة [١].

وبالرغم من أن الطب كان وافدا فى البداية منذ عصر الترجمة إلا أنه اصبح فى النهاية موروثا يتم تنظيره دون الاعتماد على الوافد. ففى **"أصول تركيب الأدوية" لنجيب الدين محمد بن على بن عمر السمرقندى (ت ٦١٩ هـ)** يغيب الوافد كلية. تقصر الفصول. ويتحول الطب إلى علم عملى فى الممارسة الطبية ويتحول إلى صيدلة دون ذكر لديسقوريدس الذى انزوى إلى اللاشعور المعرفى. بل تظهر البيئة المحلية فى أسماء الأدوية: الهليج البصرى، والأسود الهندى، والعود هندى، والتمر هندى، والملح الهندى، والصمغ العربى، والأنطاكى، والأرمنى مما يدل على انفتاح الحضارة الاسلامية شرقا إلى فارس والهند والصين، وشمالا الىاليونان وتركيا، وغربا إلى الاندلس، وجنوبا إلى افريقيا. وتعود أحاديث الطب النبوى إلى الظهور مثل "الحمة فيح من فيح جهنم فابردوها بالماء". وفى التعبيرات الايمانية الأخيرة يعبر عن الله بصفات طبية مثل الشافى والمداوى والمبرئ، ووصف الدواء بأنه إلهى إذا ما كان نافعا بالاضافة إلى التعبيرات التقليدية، وأن الله هو الموفق وأعلم بالصواب واليه المرجع والثواب[٢].

وفى **"المغنى فى البيطرة" للملك الاشرف عمر بن يوسف القسائى** يقوم تنظير الموروث على التجربة الشخصية دون الوافد اليونانى وفى صيغ مختصرة يتخللها السمع الذى يميز العصور المتأخرة. ويتصدر الخيل باقى الحيوانات نظرا لظروف البيئة العربية[٣]. يبدأ بالأسباب ثم بالعلامات وينتهى بالعلاج. ولا يخلو الطب من رؤية أدبية لألوان الحيوان وطباعها أسوة بالجاحظ"[٤]، وبناء على إحساس قرآنى بالألوان فى

---

(١) "والحمد لوليه، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله الطاهرين وعشرته المنتجين، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير القائمين. تجدد كتابتها على يد العبد الفقير محمد الطالوى بدمشق الشام، والحمد لله والصلاة على محمد"، السابق ص ٦٥.

(٢) نجيب الدين محمد بن على بن عمر السمرقندى: أصول تركيب الأدوية، دراسة وتحقيق نجلاء قاسم عباس، مركز إحياء التراث العربى، جامعة بغداد، بغداد ١٩٨٩.

(٣) الملك الأشرف عمر بن يوسف القسائى: المغنى فى البيطرة، تحقيق د. رمزية محمد الأطرقجى، مركز إحياء التراث العربى، جامعة بغداد، بغداد ١٩٨٥. وهو كتاب منهجى يدرس فى كلية الطب البيطرى فى اليمن .

(٤) "فهذا الكتاب مختصر جمعناه فيما جربناه وجربه أهل الخبرة من حكماء الخيل من أهل اليمن فى أمراض الخيل"، السابق ص ٨.

الطبيعة[1]. اما الواقد الشرقى فقد أصبح جزءا من الموروث مثل العلامات المحمودة والعلامات المذمومة لحكماء الهند [2]. أما الموروث الأصلى فانه يقتصر على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية دون أسماء الأعلام. ويظل التصور الاسلامى أو التوجه القرآنى هو العامل الموجه لتنظير الموروث الطبى وأساسه النظرى. فالحيوان خلق من أجل الإنسان، زينة للحياة الدنيا ومنافع له مثل النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة[3]. وبطبيعة الحال تكثر التعبيرات الايمانية التى تعبر عن ازدواج الأشعرية بالتصوف فى هذا العصر المتأخر خاصة الاعتماد على المشيئة الالهية فى العلاج والله تعالى أعلم [4].

---

(١) انظر دراستنا: "الاخضر والأصفر فى القرآن الكريم"، هموم الفكر والوطن جـ١ التراث العصر والحداثة، القاهرة ١٩٩٨، ص ٥٧-٦٨.

(٢) السابق ص ٤١ – ٤٢.

(٣) وهى آية ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة ﴾.

(٤) إن شاء الله تعالى (١١٩)، والله تعالى أعلم (١٥)، فافهم ذلك إن شاء الله تعالى (١١)، والله أعلم (٥)، إن شاء الله (٣)، باذن الله تعالى، إن شاء الله تعالى، والله سبحانه وتعالى أعلم، والله تعالى أعلم بالصواب، والله الشافى، حادث من الله تعالى (١).

obeikandl.com